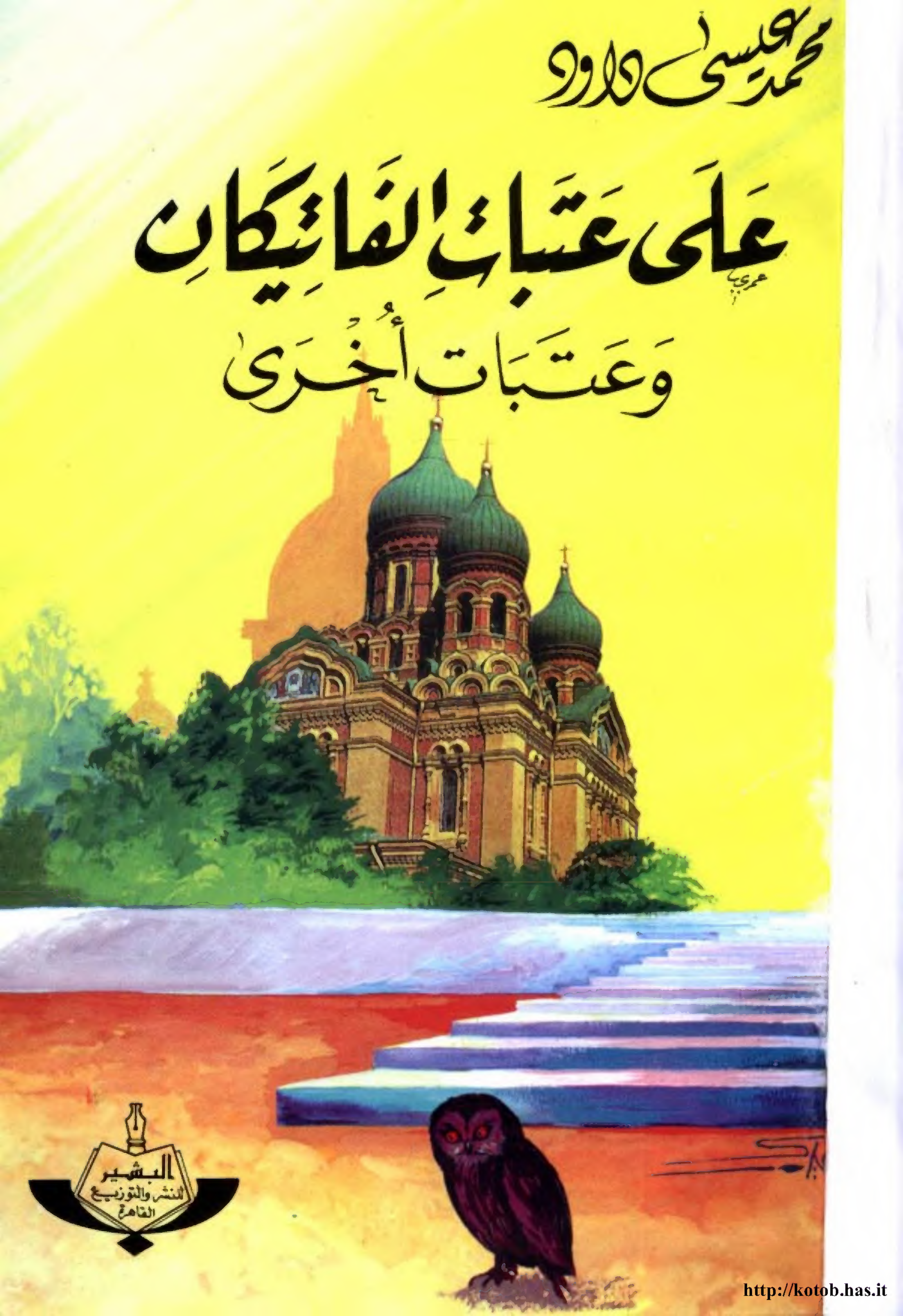


محمد عيسى داود
على عتبات الفاتيكان
وعتبات أخرى
البشير
للنشر والتوزيع
القاهرة
http://kotob.has.it

دار البشير - القـاهـرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥طريق المعادى الزراعى ص . ب ١٦٩ المعادى . ت : ٣١٨٧٣٦٨

محمد عيسى داود

على عتبات الفاتيكان

وعتبات أخرى

دار البشير
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.

(الآية ٤١ من سورة إبراهيم)

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾.

(الآية ٢٨ من سورة نوح)

كَلِمةٌ فى البَدْءِ

هذا الكتاب (على عتبات الفاتيكان .. وعتبات أخرى) .. ليس كل شئ عن الفاتيكان .. وليس الكتاب كله ـ أيضاً ـ عن الفاتيكان عاصمة المذهب المسيحى الكاثوليكى .. نحن سنقف فى فقرة من فقرات الكتاب على (عتبات الفاتيكان) ؛ لأن الفاتيكان ليس له مدخل واحد ، أو باب واحد ، أو عتبة واحدة .. إنه مملكة متعددة المداخل والمخارج كجحور الثعلب على حدّ تعبير كاتب فرنسى !!

أنا أؤيد المذهب القائل بأن كل شئ يدور بالفاتيكان فى الظلام .. وأن مَنْ يقف على عتبات الفاتيكان سيفهم لأول وهلة أن هذه الدولة هى أعظم مخزن فى الكرة الأرضية لأعظم الوثائق السماوية الصحيحة غير المحرفة ، وثائق الأجيال السابقة من أول صحف إبراهيم عليه السلام ، وأن مَنْ ينجح فى الوقوف على عتبات الفاتيكان سينال شيئاً من هذا !!

وإن كنت تطرقت فى هذا الكتاب إلى لُمْعة من هذا ، إلا أننى أَلحتُ إلى أن هذه الدولة على ضآلتها هى أغنى دولة فى العالم . وهو غِنى مخبوء ، وأيضاً منظم فى إطار من السرية التامة .

أما ما فى الفاتيكان من وثائق خطيرة ، ومعلومات مثيرة ، فلعل الله عز وجل ييسِّر الأمر لبعض مَنْ يقف على عتباته بأن ينال منها ولو مجرد تراجم لمعلومات بلغات قديمة ميتة ، أو فقرات ونصوص تُحِقُّ الحق وتُبطل الباطل .

ثم فى الكتاب (عتبات أخرى) غير (عتبات الفاتيكان) .. لا بُدَّ لكلّ مسلم ومسلمة من الوقوف عليها ؛ لأنها مدخل إلى حقائق كثيرة ، ومعانٍ كبيرة !!

* * *

* وهذا الكتاب محاولة لإيضاح خفايا حتى عن مسيحيينا بالشرق ، فى أيام كثرت فيها الدعوة للحوار بين الأديان .. وأنا مع وحدتنا الوطنية . بل أنا محب فعلاً لمسيحيينا لقربهم منّا كمسلمين ، بل تلاحمهم معنا .. ومن أصدق أصدقائى شاب مسيحى تجمعنا

مودة منذ أكثر من ٢٥ عاماً منذ كنا فى صفوف الدراسة وحتى الآن .. ويقولها لى صراحة : (لا أنكر مواقفك معى ، بل أفخر بأنك أخى الأكبر) .. والرجل الذى أئتمنه على مخطوطاتى وهى لا تزال بكراً هو (عم چورچ) أفضل رجل رأيته بمصر يكتب على الآلة الكاتبة ، ويصون السر ويؤتمن على أثمن معلومة كما تأتمنه على الذهب والمجوهرات .. ومن أفضل الفلاحين فى عزبتى الصغيرة (موريس) و (شحاتة) الشهير بـ (شحات) وهما من الندرة التى أثق بها .. أما (أم مجدى) زوجة شحات فإنها أمينة على ما تأتمنها عليه لدرجة تفوق خيالك .. ومن أحبّ الناس لقلبى فى فكره وأدبه الجمّ د. عادل أسعد بولس ، الذى أتمنى أن يكون جميع مسيحيينا بأدبه وعلمه وصدره الرحب وحبه للإسلام واحترامه لسيد الخلق محمد ﷺ !!

مع إيمانى بأن الإسلام غنى عن الجميع وعن شهادات الجميع ، لأنه دين الله الرسمى . والله عز وجل غنى بذاته عن كل خلقه ، فلو آمنوا جميعاً ما زاد ذلك فى مُلْك الله شيئاً ، ولو كفروا جميعاً ما نقص ذلك من مُلكه عزّ وجلّ شيئاً !! فهو الله .. الأول بلا بداية .. والآخر بلا نهاية .. وكل ما سواه أصله عدم .. !!

ولم يَقُلْ أحدٌ مطلقاً بعداوة بين (مسلم) و (مسيحى) خاصة فى مصرنا الغالية .. والمسلم الحق موقفه من المسيحى موقف (بر) و (رحمة) و (عدل تام) .. ورائع أن الله عز وجل طالب المسلم الحق فى علاقته بالمسيحى أو الذمى الطيب بما طالبه به تجاه والديه (البر) و (القسط) : ﴿ لا يَنْهَاكُم اللهُ عَنِ الَّذين لم يُقاتلُوكُم فى الدِّينِ ولم يُخرِجُوكُم مِنْ دِيارِكُم أنْ تبرُّوهُم وتُقْسِطُوا إليهِم إنَّ اللهَ يُحبُّ المُقْسِطينَ ﴾ .

(الممتحنة : ٨)

والمسلم الحق فى قلبه وعقله ومسلكه مع المسيحى نور قول الله عز وجل :

﴿ ... ولَتجِدَنَّ أقْرَبَهُم مَوَدَّةً للَّذينَ آمَنُوا الَّذين قالُوا إنَّا نَصارَى ذَلِكَ بأنَّ مِنهُم قِسِّيسِينَ ورُهْبَاناً وأنَّهم لا يَسْتَكْبِرُونَ * وإذا سَمِعُوا ما أُنزِلَ إلى الرَّسُولِ ترى أعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ مِمَّا عرَفُوا مِنَ الحقِّ يَقولُونَ ربَّنا ءَامنَّا فَاكْتُبْنا مع الشَّاهِدينَ * ومَا لَنا لا نُؤمِنُ باللهِ وما جاءَنا مِنَ الحقِّ ونَطْمعُ أن يُدْخِلَنا ربُّنا مع القومِ الصَّالِحينَ ﴾ (المائدة : ٨٢ ـ ٨٤)

** فى مطالع القرن الثانى عشر الميلادى وقف البابا (أوربان الثانى) ليعلن للشعوب المسيحية أن المسلمين كفار ويجب ذبحهم ..!! هذا البابا الشاذ الذى كان يقول بأن كل معاشرة زوجية تحمل معها ذنباً يجب التكفير عنه !! هذا البابا الذى أشعل شرارة

نار شيطانية ضد المسلمين هو نفسه الذى كان يتولى بنفسه بيع زوجات رجال الدين المسيحى فى أسواق النخاسة ، بينما كنيسته شبهها المؤرخون المسيحيون بمرادف لبيوت الدعارة .. وهذا البابا نفسه خرج عليه أحد كبار علماء الدين المسيحى المسمى (جراتيان) يوبخه فى عدائه للمسلمين بلا سبب منطقى ، ويخطئه فى تكفيره لهم مع أنهم مؤمنون بالله ويحترمون المسيح وأمه ، كما خطأه فى حربه لزواج رجل الدين وأعلن بملء فيه أن رجل الدين بإمكانه الزواج مع ترك منصبه ، والزيجات السابقة لا يستطيع أى قرار إلغاءها لأن الرب عقدها فلا يستطيع بشر فسخها !!

ونحن لا نلزم المسيحيين بفكرة بابوية إلا إذا التزموا هم بها .. ولا ننكر أبداً أن صوت العقلاء والمنصفين كان يعلو بين الحين والحين .. وآخرهم الأمير تشارلز ولى عهد انجلترا ، مع رفضنا لاتجاهاته السلوكية التى لا تمتُّ لأىِّ دين بصلة !!

وللحق ؛ فلقد أبطلت الكنيسة الكاثوليكية فى النصف الثانى من القرن العشرين ما سبق أن أعلنه (أوربان الثانى) ، وخرجت وثائق المجمع الثانى للفاتيكان فى الفترة من سنة ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ م بقول المجتمعين : « إن كنيسة المسيح تعترف بأن مبادئ عقيدتها قد بنيت لدى الرسل والأنبياء طبقاً لسر الخلاص الإلهى ، فهى تعترف فعلاً بأن جميع المؤمنين وهم أبناء إبراهيم حسب العقيدة ـ داخلون فى رسالة ذلك النبى وبدافع المحبة نحو إخواننا فلننظر بعين الاعتبار إلى الآراء والمذاهب التى وإن تباينت كثيراً عن آرائنا ومذهبنا ، فإنها تضم نواة من تلك الحقيقة التى تنير قلب كل إنسان يولد فى هذا العالم . ولنعانق أولاً المسلمين الذين يعبدون إلهاً واحداً ، والذين هم أقرب إلينا فى المعنى الدينى وفى علاقات ثقافية إنسانية واسعة » .

وفى عام ١٩٧٧م عقد فى قرطبة المؤتمر الثانى للحوار المسيحى الإسلامى ، وقد ألقى كلمة الافتتاح الكاردينال (أنريكى ترانكون) مطران مدريد ورئيس أساقفة أسبانيا ، فكان مما قاله :

[« ... إننى كأسقف أود أن أنصح المؤمنين المسيحيين بنسيان الماضى ، كما يريد المجمع البابوى منهم ، وأن يعربوا عن احترامهم لنبى الإسلام .

إن المجهودات الفكرية واللاهوتية التى يتسم بها هذا المؤتمر تهدف إلى غاية بعيدة ، إلى البحث بكل أمانة فى البراهين التى تحمل المسيحيين على تقدير محمد نبى الإسلام تقديراً إيجابياً استناداً إلى العقيدة المسيحية وطرق فكرنا اللاهوتى ..

إن هذا شىء هام جداً بالنسبة للمسيحى ، إذ كيف يستطيع أن يقدر الإسلام

والمسلمين دون تقدير نبيهم والقيم التى بثها ولا يزال يبثها فى حياة أتباعه ؟ إن ذلك سيكون دليلاً على عدم المحبة والاحترام للمسلمين الذين يجب أن ننظر إليهم بتقدير كما بحثنا فى المجمع الكاثوليكى . لن أحاول هنا تعداد قيم نبى الإسلام الرئيسية الدينية منها والإنسانية ، فسوف يلقيها عليكم الإخصائيون واللاهوتيون المسيحيون بالمؤتمر .. غير أننى أريد أن أبرز جانبين إيجابيين ضمن جوانب أخرى عديدة ، وهما إيمانه بوحدة الله وانشغاله بالعدالة .

أما إيمانه بالله الأحد فهو سمة رسالته وحياته . إنها أهم عقيدة تركها لأمته . وأما دعوته إلى العدالة مع شتى التطبيقات الدينية والاجتماعية فهى ما تزال قائمة ، بيد أنى أود أن أخص بالذكر دعوته إلى سواسية الناس رجالاً ونساءً وإلى تحقيق العدالة بينهم »] !!

وفى مؤتمر قرطبة ألقى الدكتور (ميجيل كروث إيرناندث) بحثاً عن « الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التى كونتها المسيحية القديمة عن النبى محمد » . ومما جاء فيه : [« سبق أن أكدت فى مناسبات سابقة ـ وقررت عدة مرات ـ الاستحالة من الوجهة التاريخية والنفسية لفكرة النبى المزيف التى تنسب لمحمد ما لم نرفضها بالنسبة لإبراهيم وموسى وأصحاب النبوات الأخرى من العبرانيين الذين اعتبروا أنبياء . إنه لم يحدث أن قال نبى (منهم) بصورة بينة وقاطعة إن عالم النبوة قد أغلق .. وفيما يتعلق بالشعب اليهودى فإن عالم النبوة لا يزال مفتوحاً ما داموا ينتظرون المسيح المخلص .. أما فيما يتعلق بالحركة المسيحية فإنه لا يوجد أى تأكيد قطعى يدل على انتهاء عالم النبوة ، وأى قارئ لرسائل القديس بولس وآثار الحواريين وسفر الرؤيا يعلم ذلك جيداً .. وفيما يتعلق بى شخصياً فإن يقينى أن محمداً ﷺ نبى ، لدرجة أننى حاولت فى دراسة لى كتبت ١٩٦٨م أن أشرح كيف أن محمداً كان نبياً حقاً من وجهة النظر الدينية المسيحية وكيف أن الله أراده نبياً برغم وجود الديانة المسيحية »] !!

كذلك ألقى (إجناثيونايت) أستاذ تاريخ الثقافة بالجامعة المركزية بمدريد بحثاً له ، فى مؤتمر قرطبة بعنوان : « إلى أى مدى يعتبر محمد نبياً من قِبَل المسيحيين » .. ومن أهم ما جاء فى محاضرته : [« ... أنّ محمداً ﷺ هو نبى إحدى الديانات الكبرى المعاصرة .. إن الإسلام اليوم هو أكبر قوة حية ، وهو الذى يدفع تيارات العالم الثالث ويجمع بين ١٠٢ دولة من الدول النامية وغير المنحازة فى مواجهة أغنى ٣٠ دولة فى العالم الأول الرأسمالى والصناعى ، وفى مواجهة ٢٠ دولة من دول العالم الثانى الشيوعى ، ولا ننكر أن له أتباعاً كثيرين منا فى الدول الرأسمالية دخلوا فى دينه طواعية .

وإذا كانت المسيحية قد تشعبت ليس فقط إلى ٢٦٠ مذهباً موجوداً الآن ، وانقسمت إلى ثلاث شعب كبيرة : الأرثوذكسية الشرقية ، والبروتستانت ، والكاثوليك ، وكذلك البوذية تشعبت إلى المهايانة والهينيلنة ، والزن اليابانى ؛ فإن الإسلام ما يزال يحتفظ بأساس وحدته .

إن الإسلام ليس استمراراً فحسب بل وتقدماً كذلك .. وفى أفريقيا نجد أن هناك شخصاً يعتنق المسيحية مقابل شخصين يعتنقان الإسلام ، ولا نريد أن نعرض للبوذية أو غيرها من الديانات التى تعانى من حالة انقراض واضح .. ولماذا نرى أن الاتحاد ضرورى بين أتباع الديانات ؟! من الممكن استنتاج الإجابة مما عرضناه سابقاً ، ذلك أنه لم يحدث قط فى تاريخ الإنسانية أن زحف الإلحاد بهذه الصورة . لقد كانت الديانات تتصارع فيما بينها للسيطرة على أتباعها ولكنا اليوم أمام الدفاع عن العقيدة الجامعة ؛ أى الإيمان بالله بعد أن أصبح هذا الإيمان فى حالة خطر . وفى نهاية الأمر ومع ترك الاختلافات الموجودة بين العديد من الديانات ، ومع النظر فيما يجمع بيننا ، نتساءل : أليس الإله واحداً ؟! أما فيما يتعلق بالأنبياء فهم مشتركون : محمد وموسى وعيسى .

وهكذا فإن الوحدة أمر حاسم ومهم لتخليص البشرية وعقائدها المشتركة فى الإله . ويجب أن يكون ذلك بالدرجة الأولى بين الديانتين الكبيرتين : المسيحية والإسلام ، حتى يمكنهما بعد ذلك جذب البوذية واليهودية والهندوكية .

لهذا فإن الخطوة الأولى نحو الهدف الواسع والبعيد هى دراسة وفهم وتقدير عيسى ومحمد : وهما نبيان مؤسسان ومحبوبان من جميع المؤمنين »] .

* * *

** والمسلم الحق لا يعرف التعصب الدينى ، أولاً : لوثوقه من قوة عقيدته ، وثانياً : لأن دينه يأمره بأنه لا إكراه فى الدين . وحقائق التاريخ تؤكد رعاية الإسلام لأهل الكتاب وإحسان المسلمين معاملتهم للمسيحى واليهودى .. وإذا كان هناك دعوة للتحول من التعصب المسيحى للسماحة ، فمن ذا الذى ينادى بضد هذا التحول الطيب ؟! وإذا كان هناك صادقون فى دعواهم لدراسات نبيلة ونزيهة لتعاليم الإسلام ، فإننا نتشوق لهذا الوعى المتأخر .. إن الأحقاد نبت غريب على المسلم الواعى .. واستغلال الدين سبة قبيحة لا تليق .. والأحقاد الطائفية زرع لم تعرفه البلاد الإسلامية خاصة مصر .. وربما يعجب غير الفاهمين إذا قلنا لهم إن الإسلام الذى حرّم الخمر بشتى أشكالها وأسمائها والخنزير ، يرى أنهما مال متقوم لدى المسيحى ويغرم المسلم بإتلافه .. والمسيحى الصادق فى توجهه

للقربى من المسلم لا بد أن يكف عن تزوير الحقيقة ، وادعاء أن الإسلام انتشر بالسيف ، فالإسلام ما رفع السيف إلا فى وجه أعدائه المعتدين ، وإلا لجاز للمسلم أن يقول إن المسيحية ما هى إلا الحروب الصليبية وإن المسيح قال مما قال فى أناجيلهم المتداولة : « ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً » .. والمسلم النابه يعلم أن قول الله عز وجل : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا لا تتَّخذُوا اليهُودَ والنَّصارَى أوْلياءَ ﴾ (المائدة : ٥١) .. إنما يعنى اليهودى والنصرانى المحاربَ الذى يهاجم الإسلام .. أما المسالم فنحن مأمورون ببره والعدل معه .. وإلا فما معنى الحديث الشريف : « من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها توجد من سبعين عاماً » .. ؟! .. وكذلك ما معنى قول النبى ﷺ : « مَنْ ظلم معاهداً ، أو انتقصه حقه ، أو كلَّفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ؛ فأنا حجيجه يوم القيامة » .. ؟!

ومن التاريخ الإسلامى ما يؤكد هذا الفهم المستنير ، فقد حدث أن مَرّ عمر بباب قوم وعليه سائل يسأل ، وكان شيخاً ضرير البصر ، فضرب عمر عضده وقال له : مِن أىِّ أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى . قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله وأعطاه ما وجده ، ثم أرسل به إلى الخازن لبيت المال وقال له : « أعط هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهِرَم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ..

إن عاطفة عمر ومسلكه تجاه هـذا اليهودى نابعة من فهم واعٍ لدينه . وروى يحيى بن آدم فى كتاب الخراج أن عمر لما تدانى أجله أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله : (أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيراً ، وأن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وألا يكلفهم فوق طاقتهم) ..

والقاعدة الإسلامية الأصيلة فى معاملة أهل الكتاب المسالمين أرسيت دعائمها منذ العصور الأولى لبعثة النبى محمد ﷺ وارتكزت على القول بأن (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ، والقرآن أعلنها صراحة : ﴿ لا إكْراهَ فى الدِّين ﴾ فالإسلام كله نوايا حسنة .. والمسلم ليس لديه خطط سرية فى التعامل مع الآخرين إنما هو مسفر فى أعماله ونياته كما الشمس .. والتزام المسلم بدينه يضمن للمسيحى الطيب واليهودى الطيب ما هو للمسلم سواء بسواء .

محمد عيسى داود

على عتبات الفاتيكان
.....
مملكة الأسرار

البابا .. وثروات الفاتيكان

ما هى موارد الفاتيكان ؟!

ومِنْ أين تأتى أموال البابا ؟ ومَنْ يتصرف فى مصيرها .. وكيف ؟ وما هى قيمة كنوز الفاتيكان ؟!

فى باريس صدر أول كتاب يتحدث عن أكبر الكنوز سرية فى العالم ، فهو يكشف النقاب عن أسرار موارد الكنيسة و (الحبر الأعظم) !!

اسم الكتاب (Les Finances du Vatican) يعنى : (مالية الفاتيكان) ، من منشورات (چى. أوتيه. باريس) ، وعدد صفحاته (٢٠٥) صفحات ، ومؤلفه هو (چان جاك تيارى) ، صحافى فرنسى معروف ، واختصاصى فى شئون الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية ، وله فى هذا الموضوع كتب متعددة منها : (الفاتيكان السرى) ، (الحياة اليومية فى الفاتيكان فى القرن ١٩م) ، و (مذكرات أحد الكرادلة السياسية) ، وغيرها .. والكتاب ملئ بالكثير الكثير مما يجب أن نعلمه .. فما القصة ؟!

* منذ القرون الأولى للكنيسة تلقّى الكرسى الرسولى بعض الممتلكات والأراضى عن طريق الهبة أو الإرث ، شكلت النواة الأولى للدولة الفاتيكانية .

ودولة الفاتيكان تغطى مساحة ٤٤ هكتاراً ، ويمكن للزائر النشيط أن يدور حولها فى حوالى ٦٠ دقيقة فقط مشياً على الأقدام !! ومداخلها تتمثل فى ثلاثة أبواب كبرى : (باب البرونز)، (باب قوس الأجراس) و (باب القديسة آن) .

ويقع القصر البابوى لرئيس دولة الفاتيكان فى ميدان القديس بطرس ذى الأعمدة الفخيمة ، وفى العادة يطل البابا على شعبه كل يوم أحد من نافذة ضخمة ذات بلكون عظيم من الطابق الثالث لقصره البابوى الفخيم !!

وهناك تمثال كاليجولا الشاهق إلى حدود ٤٠ متراً بوزن ٣٢٠ طناً ، يصنع جمالية قرب المكان الذى يقال إن القديس بطرس صُلِبَ فيه !! وفى قلب الكنيس الكبير تجد أحواض الماء المباركة أو المقدسة ، كل حوض أكبر من أحواض السباحة بالنادى الأهلى والزمالك والترسانة ، والعمود الواحد فى هذا الكنيس الفخيم أكبر حجماً من كنيسة عادية فى إحدى قرى مصر أو لبنان !! أما كرسى البابا فهو كرسى ضخم مصنوع من الذهب والبرونز وزخارفه الغريبة تعود للقرن الثانى الميلادى !!

وبخلاف كلِّ دول العالم فإن دولة الفاتيكان لا تعرف الجمارك لكنها تملك جيشاً وثكنات ، وللفاتيكان أيضاً أمن داخلى فبعدما ألغى البابا بولس السادس فكرة الجيش أوجد حرساً داخلياً زيهم أزرق جميل ، يرفعون السلاح لحماية البابا خاصة أثناء ترتيله فى الصلاة ، مع اتصالهم الدائم من خلال أجهزة حساسة بمراكز الشرطة ومكافحة الإرهاب !! .. وللفاتيكان إذاعة هى الوحيدة فى العالم التى تبثُّ فى ٢٧ لغة ، كما أن لهـذه الدولة أكاديميةَ علوم ، ومطابع حديثة ، وستاداً ، وبنكاً مركزياً ، ومحاكم ، ومتاحف ، كما أن فيها سجنين ، ومحطة خاصة لتوليد الكهرباء .

وسكان الفاتيكان يحملون (جنسية فاتيكانية) .. هذه الْجنسية التى تسمح لحاملها فى إيطاليا بتسهيلات وخدمات ضخمة كإعفائه من الضرائب والخدمة العسكرية وشراء وقود السيارات بسعر التكلفة ، والحصول بكتمان شديد على الكحول والسجائر الأمريكية !! وعموم حاجات الفاتيكان يؤمنها متجر (آمونا) الضخم الذى يقع داخل المدينة ، وهذا المتجر يبيع للفاتيكان ـ وبنصف الثمن ـ كل ما يحتاج إليه من زيت وخبز وحبوب ، حتى الأقمشة !! وللصحافة فى عاصمة الكنيسة مكانة هامة ؛ إذ على محدودية الدولة إلا أنه يصدر فيها أربع صحف .

** وفى باب مسماه (مملكة الأسرار) قال (جان جاك) : لقد ارتفعت الأحداث ضد الكنيسة على مرّ العصور متهمة إياها بالنزعة المادية والجرى وراء الكسب المادى ، ولم يكن هدف الكنيسة فى أى وقت مادياً ، وهى لم تَحِدْ عن أهدافها الروحية ، ولكنها لكى تصل إلى تحقيق هذه الأهداف تحتاج إلى موارد مالية تؤمن لها حياتها الاجتماعية .

وإنه لمن الصعب التطرق لموضوع ميزانية الفاتيكان قبل القرن ١٩م ؛ فعالم الفاتيكان سرى .. شديد السرية . وليس ذلك فحسب ، بل إن كلمة (ميزانية) لم يكن لها ورود فى هذا العالم الذى لم يعرف : لا (الإيصالات) ولا (السجلات) !!

ولكن الثابت فى التاريخ أنه منذ سنة ١٨٧١م قررت الحكومة الإيطالية منح الفاتيكان مبلغاً سنوياً قيمته ثلاثة ملايين ليرة إيطالية من الذهب ، وهذا المبلغ ظل الكرسى الرسولى يرفضه لخلاف على السلطة بينه وبين الحكومة الإيطالية ، حتى تمت المصالحة بينهما سنة ١٩٢٩م ؛ فقبض الفاتيكان هذا المبلغ الضخم الذى كان تراكم على ذمة الحكومة الإيطالية على مدى ٥٨ عاماً ، فاتفق على أن يكون إجمالى المستحق للفاتيكان (١٥٠) مليون ليرة إيطالية نقداً ، وشيكاً بأسهم قيمتها (مليار) ليرة .

وبالإضافة إلى هذا المبلغ الكبير وقتئذ اعتمد الفاتيكان ـ ولا يزال ـ على المعونات التى يتلقاها من المسيحيين فى شتى أنحاء العالم . وهذه المعونات تتخذ شكل العلاوات التى ترسلها الرهبانيات والأبرشيات المنتشرة فى العالم أجمع من جهة ، ومن جهة أخرى الهبات التى يقدمها للفاتيكان بسخاء المؤمنون بالمسيحية فى كل مكان ، وإنه لمن الصعوبة بمكان معرفة قيمة هذه المعونات ولو بالتقريب ، وإن كان البعض قد ذهب إلى القول بأن مجموع ما تعود به هذه الهبات يربو على المليونى دولار سنوياً !!

ولقد سبَّب عدم وجود مالية مُعْلَنة للفاتيكان معارضات كثيرة من قِبَلِ الكرادلة الأجانب وخصوصاً كرادلة الولايات المتحدة الأمريكية .

ومثل هذه الانتقادات هى التى كانت قد دفعت البابا (ليون الثالث عشر)

قديماً ، وبالتحديد سنة ١٨٧٨م ، إلى إنشاء إدارة سُمِّيت (إدارة ممتلكات الكرسى الرسولى) ، مهمتها الإشراف على أمور الحبر الأعظم المالية ، والتى استمرت فى العمل حتى مجئ البابا بولس السادس . ولكن .. أنَّى لنا تقدير قيمة هذه الممتلكات فى غياب أية وثائق معلنة ؟! وكيف يمكننا مثلاً تقدير ثمن لوحات وتماثيل أشهر الفنانين العالميين أمثال (مايكل أنجلو) ، و (رافاييل) ، وآلاف التحف واللوحات الأخرى ، والكتب النادرة التى تعجُّ بها متاحف الفاتيكان ومكتباته .

ولكن الثروة الحقيقية للفاتيكان ليست فى كل هذا ولا ذاك ، إنها تتمثل فى تلك الأرباح الطائلة التى يجنيها من تجارة الرأسماليين المستثمرة هنا وهناك ، ومن تجارة السوق المالية والعقارات العديدة التى يملكها فى شتى أنحاء العالم ..

فبالنسبة للأموال المنقولة ذكرت بعض الصحف أن البابا (ليون الثالث) كان قد سلَّم قبل وفاته لأحد الكرادلة مبلغاً قدره (٣٠) مليون فرنك ، وعاد هذا الكردينال وسلمه بدوره إلى البابا (بيوس العاشر) سنة ١٩٠٣م ، ولكن الحقيقة فى نظر المؤلف أنه عند وفاة البابا (بيوس التاسع) سنة ١٨٧٨م كان مجمل ما يملكه الفاتيكان من أموال يقارب العشرين مليوناً من الفرنكات الفرنسية ، وضع منها قسم فى بنك (روتشيلد) ، والقسم الآخر فى بعض المراكز البابوية الآمنة فى (روما) .

أما فيما يتعلق بالشق الآخر من ثروة الفاتيكان غير المنقولة ، فهو يمتلك بالإضافة إلى المدينة وملحقاتها وبعض المقاطعات والعديد من المراكز الدينية ، عدداً كبيراً من الأبنية الضخمة فى إيطاليا وغيرها من دول أوربا ، ومنها فى (باريس) على سبيل المثال : بناية فى جادة الرئيس ويلسون ، وفى شارع الجامعة ، وبناية فندق ساحة الكونكورد الشهير ، وكذلك بناية الـ (بان أميركان) الفخمة فى جادة الشانزليزيه الشهيرة ، وفى سنة ١٩٦٩م باع الفاتيكان إحدى بناياته التى تقع فى ٣٤ جادة الرئيس كيندى فى باريس ، بقرب مبنى الإذاعة والتليفزيون ، بمبلغ مليون وثلاثمائة وخمسين ألف دولار .

** وفى باب عن (جواهر الفاتيكان) قال المؤلف : ومن ضمن ما يملك الفاتيكان من جواهر ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر ، ذلك التاج المشهور المحلّى بـ ٢٧٥ حجراً من الحجارة الكريمة النادرة ، وهو ثالث تاج فى العالم أهمية بعد تاج العرش البريطانى ، وتاج الملكة إليزابيث الثانية . وقد بلغ معدل قيمة الأرباح التى يجنيها الفاتيكان سنوياً مليونى فرنك ونصف المليون ، ويضاف إلى ذلك أموال بطاقات زيارة المتاحف وغيرها من الرسوم ، ويبلغ ذلك وحده ما يفوق المليون ونصف المليون فى السنة ، عدا الأرباح غير المعروفة التى تتدفق على خزائنه من تجارة البناء ومصانع السكر التى يملكها فى إيطاليا .

** وفى حديثه عن توظيف الأموال وإحسان إدارتها قال (چاك تيارى) : عندما تولّى بيوس الحادى عشر العرش البابوى اختار رجلاً تبيّن فيما بعد أنه من أمهر رجالات المال فى العالم ، ليدير خزانة الفاتيكان ويتولى جميع أعماله المالية !! هذا الرجل وهو (برناردينو نوجارا) استطاع أن يوظّف أموال الفاتيكان هذه بذكاء وحذق فى جميع أنحاء العالم ، فجنت أرباحاً طائلة لا يمكن تقديرها .

وعندما جاء البابا (بيوس الثانى عشر) قدّر بعض الخبراء أن ميزانية الفاتيكان كانت تبلغ حوالى ٥٠٠ مليون دولار موزعة هنا وهناك ، وخصوصاً فى إيطاليا وأمريكا وسويسرا وإنجلترا .

أما عن البنوك التى كان للكرسى الرسولى - ولا يزال - علاقات ممتازة معها فهى عديدة ، منها ما هو معروف ومنها ما يلفُّه ستار من الغموض أو الكتمان والسرية الشديدة ، ونذكر منها : (بنك كريدى دوسويس) فى چنيف ، و (هاميروس بنك) فى لندن ، و (مورجان بنك) فى نيويورك .

وللدلالة على مدى متانة العلاقات بين الفاتيكان وبنك چنيف ، يذكر المؤلف أن أحد المدراء السابقين لهذا البنك ، وهو المركيز (هنرى مايار دوز) عيّنه الفاتيكان مديراً لأعماله .

أما بنوك الفاتيكان ، أو التى يملك قسماً كبيراً من أسهمها ، فإننا نذكر منها : (بنكودى سانتو سبيريتو) ، وهو من أقدم بنوك العالم ، و (بنكودى روما)

المعـروف ، والذى كان قـد أسسه الفاتيكان نفسه سنة ١٨٨٠م ، بطلب من البابا (ليون الثالث عشر) ، واختص بشراء وبيع الأسهم العقارية ، وهذا البنك تمكن بعد سنتين مِن تأسيسه ، أى سنة ١٨٨٢م من شراء غالبية أسهم الشركة الإنجليزية التى كانت تؤمّن المياه لروما ، ثم تملّكها وحوّلها إلى شركة إيطالية باسم (ول إكوا أنتيكا مارسيا) التى أدارها الفاتيكان حتى سنة ١٩٦٢م حيث باعها لشركة خاصة . كما أن (بنكودى روما) كان يستثمر أيضاً ولفترة طويلة شبكة الأوتوبيسات والترولى فى إيطاليا .

** أما فى مجال الشركات والأسهم فإن المعلومات المتداولة فى الأوساط المطلعة تجعل من الفاتيكان أقوى مؤسسة مالية فى إيطاليا ، وعلى سبيل المثال فإن ما يملكه الفاتيكان فى شركة (ساد) الكهربائية من الأسهم تبلغ قيمته ٢٦٦ مليون فرنك فرنسى ، كما يملك فى شركة (إديسون) ما قيمته ٥٠٠ مليون فرنك ، وفى شركة (بينى ستابيلى دى روما) ما يُقدّر بـ ٦٧٠ مليون فرنك . وبالإضافة إلى ذلك فإنه يملك كامل أسهم شركة قطن (ماينو) فى ميلانو وغيرها من الشركات والمصانع والمؤسسات التجارية والمالية والصناعية والعقارية ، ويكفى للمرء أن يتصفح لوائح الشركات .

وحسب هذه المعلومات ، فإن مبالغ أضخم من هذه يمتلكها الفاتيكان فى المجموعات الصناعية والمالية القوية فى إيطاليا : كـ (السنترال) ، و (فينسيدر) ، و (تيرنى) ، و (فيات) ، حيث للفاتيكان (٧٤,٠٠٠) سهم ، بقيمة ١٤ مليون ومائة ألف ليرة إيطالية حسب قيمة العملة ونسبة أرباحها سنة ١٩٧٧م .

أما عن السياسة التى يتبعها الكرسى الرسولى فى إدارة أعماله ، فهى سياسة تهدف إلى الاستثمار الموزّع الذى لا يركز على مكان واحد فى العالم ، لأن ذلك يضمن لهذه الاستثمارات تكتيكاً مما يُعرف باسم (التوزيع الحذر للاستثمارات) ، ويؤمن لها الثبات والنجاح أمام جميع الأزمات الممكنة أو المحتملة .

لقد كان للفاتيكان دائماً وفى كل مكان مَنْ يساعده فى تتبع بورصة الأسهم المالية وحركة بيع الأراضى والعقارات ، ومن هؤلاء مثلاً : الكاردينال (فرانسيس

سبيلمان) أسقف نيويورك والصديق الحميم المشترك للرئيس روزفلت ، وللبابا (بيوس الثانى عشر) ، والكونت (أنريكو جالينرى) الذى كانت له علاقات طيبة جداً مع (جوزيف كيندى) والد رئيس الولايات المتحدة الراحل .

وكان لهذه العلاقات أكبر الأثر فى دعم أعمال الفاتيكان ومضاعفة ثروته ، حتى إنها مكَّنتْهُ بشكل استثنائى أن يضع رصيداً ضخماً من الذهب فى بنك الولايات المتحدة الأمريكية الفيدرالى .

** وفى فصل بعنوان : (أضخم رصيد ذهب فى العالم) جاء أن نشاط الفاتيكان المالى لم يقتصر على شراء وبيع الأسهم والعقارات بل تعداه إلى تجارة الذهب ، وأصبح مدير أعماله من أكبر اختصاصيى الذهب فى العالم ، فأخذ يبادل سبائك الذهب الخام بالعملات الذهبية ، ويجنى من ذلك أرباحاً لا توصف ولا تُحصى ، وهذا الرجل الذكى استمر فى عمله حوالى عشرين عاماً إلى أن استقال سنة ١٩٥٦م تاركاً وراءه للفاتيكان أكبر رصيد ذهب فى العالم ، فى كهف مصفح فى قعر أحد أبراج الفاتيكان

** وفى باب (إيرادات لايتصورها عقل) أورد المؤلف أن بالإضافة إلى كل ما سبق من أموال وكنوز تأتى أموال الرهبانيات والأديرة والأراضى التابعة لها ، التى تستثمرها دائماً ، فلا شئ معطل لدى الفاتيكان . وهناك موارد أكثر انتظاماً ترِد إلى الفاتيكان من الرسوم والضرائب المختلفة التى تفرضها مختلف تنظيماته وإداراته ، إضافة إلى الطوابع التى تشكل مصدراً مالياً لا يستهان به ، وكذلك النذورات والمساعدات التى يقدمها الحجاج المسيحيون كلَّ سنة . ويجب ألا ننسى أن للفاتيكان نسبة مئوية من الهبات والنذورات التى يقدمها المسيحيون لمزارى القديسة (لورد) و (ليزيو) .

ويُضاف إلى كل هذا وذاك بعض الأموال التى تَرِدُ إلى الفاتيكان بشكل عرضى ، كالتعويض الذى قدمته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٥٦م للكرسى الرسولى ، تعويضاً عن الخسائر التى لحقت بممتلكات الفاتيكان فى (كاستلجاندولفو) ، فى أثناء الحرب العالمية الثانية من جراء القنابل الأمريكية التى بلغت قيمته مائة ألف دولار .

ويدخل أيضاً فى باب المتفرقات أو الإيرادات العارضة حفلات تنصيب القديسين التى تتم فى الفاتيكان ، وقد أجرى بعض المسئولين فيه دراسة إحصائية عن تكاليف هذه الحفلات بيَّنتْ أن حفلة التقديس تكلِّف بشكل عام حوالى مائة وعشرة آلاف فرنك فرنسى ، تتحملها جميعاً الرهبانية التى ينتمى إليها القديس ، وقد دفعت الرهبانية المارونية اللبنانية هذا المبلغ مؤخراً عن تقديس الأب (شربل) اللبنانى الأصل .

** ويختم المؤلف كتابه بأن كل ما يقال عن موارد الفاتيكان هو ضرب من التقدير ؛ لأن معظم هذه الموارد غير منظور ولا تُعْطَى بشأنه أية معلومات أو أرقام .

ولعله يريد أن ينفى العجب من الميزانية غير العادية لأصغر دولة فى العالم ، أو لعله يريد إبعاد العين والحسد، فيقول المؤلف : وبالطبع فإن للفاتيكان مصاريف ومصاريف كبيرة ، تتوزع على أشكال مختلفة ومتفرعة ؛ فمن بناء الأديرة والكنائس وإصلاحها إلى إنشاء المعاهد والجامعات الدينية ، مروراً بمرتبات الموظفين والدبلوماسيين والكرادلة ، كما أن كميات كبيرة من الأموال يقدمها البابا للشعوب الفقيرة سنوياً ، ولبلدان العالم الثالث فى أزماتها ، ولا ننسى المصاريف الباهظة التى يتكلفها على الإذاعة والصحف والنشرات الدينية .

وختاماً .. نذكر أن المعهد الأمريكى لإدارة الأعمال قام مؤخراً بدراسة قدَّر فيها مجمل مصاريف الفاتيكان بمبلغ خمسة ملايين دولار فى السنة !!

* * *

ومع تحياتى لمؤلف الكتاب وتقديرى لجهده فى جمع المعلومات إلا أنه ذكر التزوير فى مصاريف الفاتيكان السنوية دون أن يقف عنده أى وقفة .. ودون أن يقول إن أغلب المصاريف الفاتيكانية هى (لاستغلال الفقر والمرض فى أعمال التنصير) !!

كيف يمكن لنا أن نصدّق المعهد الأمريكى لإدارة الأعمال الذى يقرر فى دراسته أن مجمل مصاريف الفاتيكان السنوية خمسة ملايين دولار ، بينما ما ينفق على أعمال التنصير فى إندونيسيا يبلغ (١٧٠) مليون دولار أمريكى سنوياً ، منها

(٧٠ مليون) فقط تمويل فاتيكانى ، بالإضافة إلى (٤٠) مليون دولار مصاريف إعلامية وإدارية لمحاولة إنهاء تنصير مسلمى (جاوه) فى مدة لا تزيد على عشرين سنة ، بدأت أعمالها منذ عام ١٩٨٠م ؟!!

هذا فى أندونيسيا فقط !!

أما ما ينفقه الفاتيكان على أعمال التنصير وبناء الكنائس فى أفريقيا فحدِّث ولا حرج .. والحديث ذو شجون ..

فالكونغو وحدها أنشأ الفاتيكان بها أكثر من (٢٠٠٠) مدرسة ابتدائية لتضمن إعداد جيل مسيحى التوجه والعقيدة منذ الطفولة .

ولم يقل المؤلف إن (الفاتيكان) كان من وراء الحملات الدعائية والإعلامية لبثّ الفتنة بين الأفارقة والعرب المسلمين ، حتى عن طريق الصور الفوتغرافية الملفقة والرسومات واللوحات الزيتية والنسيجية ، وأن (الفاتيكان) كان من وراء مذبحة (زنجبار) التى ضُمَّت عنوة إلى (تنجانيقا) فى اتحاد يحمل اسم دولة (تنزانيا) وراح ضحية الانقلابات والمذابح (٢٣,٠٠٠) عربى مسلم من أبناء (زنجبار) ، منهم الأطفال والنساء والشيوخ !!

وفى أوغندا يمتلك الفاتيكان ٢٤ مدرسة مهنية ، فى الوقت الذى لا يمتلك فيه المسلمون غير مدرسة واحدة ، بل على مستوى المدارس الثانوية العامة بأوغندا يمتلك الفاتيكان ٢٧ مدرسة وليس للمسلمين غير مدرسة واحدة . وكل المدارس ترفع شعار الصليب بطرق مباشرة وغير مباشرة !!

ولم يقلِ المؤلف إن الفاتيكان يساهم بحصة الأسد فى مبلغ (بليون دولار أمريكى) تنفِق كل سنة لكسب المعركة الدينية فى كل أفريقيا ، واضعاً ـ أى الفاتيكان ـ نُصب عينيه أن الذى سيكسب المعركة الدينية فى أفريقيا سيكسب معها نصف رصيد العالم من الثروات المعدنية والزراعية .

يقول الدكتور (حسين مؤنس) فى مقال نشرتُه له بجريدة الندوة ـ أيام كنت نائب رئيس التحرير للشئون الدينية والثقافية ـ بالعدد ٩١٧٨ ، الأحد ٤ رمضان سنة ١٤٠٩هـ: « ... أتأسف لإيمان المسلمين بالأوهام واستراحتهم إلى الأحلام ،

فالذى أعلمه عِلْمَ اليقين مثلاً ـ عن حال الدعوة الإسلامية بأفريقيا ـ أن حوض الكونغو كله ليس فيه داعية إسلامى واحد ، لا أزهرى أو غير أزهرى » !!

على أية حال .. نحن أصبحنا فى زمن (بلا أخلاق) ؛ لأن المسلمين ـ وهم الموكلون بنشر الأخلاق فى العالم كله ـ تقاعسوا عن رسالتهم ، فلا يلام الفاتيكان عندما يسخّر جزءاً من ثرواته لاستغلال ظروف الفقر والجهل والمرض بكل أنحاء العالم لنشر عقيدته ، ولكن يُلام المسلمون أصحاب الثروات الطائلة عندما يفعلون بها كل شئ سوى استغلالها حسب منهج مرسوم فى الدعوة للإسلام .

والآن .. وحسب آخر معلوماتى فإن هناك بأفريقيا وحدها (٢٢٥ مليوناً) يعبدون الأوثان ، تتجه إليهم بكل قوة الأصابع الفاتيكانية لاحتوائهم ..

* فيا تُرى ماذا سيفعل المسلمون ؟!

* والآن أعبر هذه العتبة من عتبات الفاتيكان إلى عتبات أخرى للفاتيكان ، يأخذ بأيدينا إليها رجلان ، أحدهما عميل للفاتيكان وآخر عَمِلَ فى خدمة الفاتيكان .

* * *

* من أحق ما قال الروائى الألمانى الغربى (هيرمان هيس) : « إن الرب والكنيسة لا يحميان الأفراد أبداً ـ بما فى ذلك كبار موظفى الكنيسة ـ من ممارسة أبشع أنواع السلوك المنحرف » !!

ولن أفتئت على الفاتيكان .. سأترك الأمر لرجل يسمى (ليوبولد ليدل) .. مسيحى من مواليد ضاحية (Simmering) الجميلة من ڤيينا ، علمته والدته الصلاة ومحبة الله عندما كان فى السادسة من عمره .. عمل طاهياً على متن إحدى السفن .. وتزوج فى التاسعة عشر من عمره ، ولما مرضت طفلته بداءٍ خطير كاد يفضى للموت ؛ كانت أول صدمة فى حياته عندما طلب قرضاً من صاحب العمل وهو رجل يدير أندية الليونز ، فما كان منه إلا أن قال وهو ينفث دخان السيجار فى وجهه : « **يا سيد ليدل أنت مازلت شاباً .. دع ابنتك تموت .. إن ذلك أوفر وأكثر عقلانية لأنك تستطيع أن تنجب طفلة أخرى فى وقت آخر** » !!

بعدها انتقل للعمل مندوباً لأحد مصانع مواد التنظيف فى سويسرا .. ثم كانت

معرفته بوزير حكومة الظل اليونانى (أوتون ليجاس) التى قلبت حياته رأساً على عقب .. وكذلك معرفته بالأسقف اليونانى المتعصب (كبريانوس بابادو بولوس) الذى كان يشغل منصب رئيس أساقفة أفريقيا الوسطى حيث مركزهم الرئيسى فى كينشاسا (زائير) ، وهو ينتمى إلى بطـريركية الإسكندرية الأرثوذكسية حيث عين أسقفاً لها سنة ١٩٥٨ م .. فبعدها عيَّن (ليدل) مستشاراً اقتصادياً دبلوماسياً لـ (كبريانوس) ؛ الذى منحه سلطات واسعة لدرجة إنابته عنه فى منح الأوسمة للشخصيات الثرية التى تقدم الخدمات والتبرعات المختلفة للكنيسة !!

بدأ (ليدل) ـ على حد اعترافاته ـ يفتح عينيه أول مرة على مصدر سمين وثمين لجمع الأموال سواء لشخصيات الكنيسة الكبيرة مثل «كبريانوس» و « بابا الفاتيكان » ؛ فقد رأى رأى العين أن تقديم الأوسمة وشهادات الدبلوم الفخرية هو من أهم مصادر جمع المال ، فالكنيسة الأرثوذكسية والفاتيكان مثلها تستغل اللاهثين وراء هذه الأوسمة طلباً للفخار !! ثم كان (ليدل) سفيراً لـ «كبريانوس» لدى بطريرك القسطنطينية المسمى « أثينا جوراس » لإتمام صفقة كبيرة لزيادة الأموال فى خزانة كنيسة القسطنطينية عن طريق بيع عملات تذكارية وبطاقات بريدية تصمم خصيصاً للكنيسة !! سأترك لكم فى هذه الفقرة (ليوبولد ليدل) يتحدث بلسانه عما كان فى هذه الفترة : [... وسار العمل بشكل جيد فقد طبعت الشـركة الألمانية الغربية (Drei Haase) البطاقات البريدية ، وطبعت الشركة الإيطالية (Compagni Internazionale Preziosi) العملات التذكارية ، لقد تم سك ٢٥٠٠ قطعة من النقود المعدنية الفضية والذهبية ، وكان يجب أن تصل إلى العميل الشارى عبر أحد بنوك أثينا ، لكن أثينا جوراس ارتأى بذكاء التاجر الداهية أن يتم نقلها عبر بعض صغار تجار العملة ، لضمان مضاعفة الأرباح ، وحصلت أنا وكبريانوس على عمولة كبيرة ، ولم يتورع الأخير عن تغذية خزانته الجائعة دائماً عبر العملات التذكارية التى طبعتها لحسابه الشخصى وحصلت منه على عمولة .. **وفى شهر أبريل سنة ١٩٧١م اتفقت مع وزير الدفاع الإسرائيلى موشى دايان عن طريق صديقى اليهودى تيتنيس على أن نقوم بسك نقود تذكارية له وحاولت أن أحصل على عمولتى من هذه الصفقة ، لكنهم خدعونى بأنها لم تتم ،**

بينما تأكد لى فيما بعد أنها تمت ، وللحق فدايان رجل جشع ، يحب المال وقد أودع قسماً كبيراً من ثروته فى سويسرا وبالتحديد فى بنك أوناسيس » !!

وخلع الأسقف كبريانوس لقب سفير خاص لأسقفيته على (ليدل) صاحب المذكرات .. وطلب المساهمة منه فى تأسيس جمعية ليونز أو روتارى اختار لها شعاراً مميزاً : يدان ترفعان الكرة الأرضية إحداها سوداء والأخرى بيضاء ، وكان ينبغى أن يقوم ليدل بالدعاية لتوفير الأموال بالتبرعات واشتراكات الأعضاء الأثرياء وريع احتفالات تجرى بين الحين والآخر ، وأعلن الأسقف أن الهدف هو تقديم المساعدات للشعوب الجائعة فى بلدان العالم الثالث وبناء مستشفيات وبيوت أطفال وشباب !! ونترك (ليدل) يعلق على هذه الفقرة بقوله : « لم يكن كبريانوس بحاجة للأموال لتنفيذ خططه وحسب ، وإنما كان بحاجة للمال لشهواته الواسعة ؛ فقد كان ضعيفاً بل قُلْ عاجزاً أمام السيدات الجميلات والشابات ، وكان هذا الأمر واحداً من أسراره المعلنة لى ، والواضحة لمن له عقل ، فقد أحصى بعض العادِّين أكثر من عشرين امرأة وفتاة حوله بعضهن من أوربا والأخريات من أفريقيا ، ودائماً يقول إنهن أبناء أخته وأحياناً يقول : إنهن بنات أخيه ، وواضح أنهن كانوا بالنسبة له إكسير الشباب . إن أسلوب تمتعه بالحياة كان متناقضاً مع سلوكه ومواقفه المعسولة ، وكان واضحاً أن سبب ذلك هو تربيته الكنسية ، لقد منحته بالنسبة لمن لا يعرفه معرفة جيدة سلطة قديس » !! والحقيقة أن أغلب وجهاء الفاتيكان ورجاله لا تسَلْ عن مسألة العفة والطهارة بالنسبة لهم ، فدائماً فى بيوتهم جميلات ومومسات يُقدَّمْنَ بأنهن مديرات المنزل أو بنات الأخ أو الأخت !!

* وفى اعترافات ليدل عن الفاتيكان وتجارة الألقاب قال : « عرفت بالفعل أن من يريد الحصول على لقب دكتور ؛ ليس مرغماً على تقديم بحث علمى ، وأنه يمكن شراء مختلف الألقاب والأسماء الكبيرة بالمال ، ودون أن يبذل المرء أى جهد يذكر !! إن تأثير اللقب فى أوربا مثل تأثير العصا السحرية ، فبواسطته يستطيع المرء فتح أبواب أكثر الأندية رقياً ، وأكثر الأوساط الاجتماعية غروراً وعجرفة ، وبذلك فقط يستطيع المرء أن يقترب من أموال الرشوة والسمسرة ، والدخول فى العلاقات المميزة ، فى حقل المعارك الاقتصادية والحصول على العقود

المهمة والوهمية . وللتاريخ لا بد أن أعترف أنه لا جديد فى الفاتيكان ، ففى الحقب القديمة حتى الجيدة ، كانت مسألة شراء لقب مسألة طبيعية ؛ فالملوك والبابوات خروا ساجدين أمام الأموال والذهب ، وأنشأوا سلسلة من أنظمة الفروسية بغية تعبئة خزائنهم عندما كانت تنضب أو تقترب !! كان الآباء الموسرون يشترون للابن الأكبر منصباً لا تعجبوا إن علمتم أنه يصل إلى حدّ لقب « وزير » ، ويشترون للولد الثانى كرسياً أسقفياً لضمان استمرار المال ، وللثالث رتبة ضابط متحكم ، وكانت المؤسسات الكبيرة فى الأديرة والكاتدرائيات ، تمنح مقابل الأموالِ ، الألقاب ، وتمنح الامتيازات وتقدم الأوسمة .. وبالفعل لم أبذل أى جهد يذكر حتى أحصل على لقب دكتور الذى أصبح يسبق اسمى بالفعل » !!

و « بطبيعة الحال أيضاً أدركت أنه يوجد فى الولايات المتحدة الأمريكية مصانع شهادات دكتوراه ، وتدار مثل أحسن الجامعات كشركات خاصة ـ مثل الشركات المساهمة ـ وتعتبر الجامعات الحكومية القليلة جامعات من الدرجة الثانية ؛ لأنها تدين بوجودها للضرائب التى تحصل عليها ، وكثير من الجامعات الخاصة ؛ هى جمعيات أنشأتها وتديرها الكنيسة !! وللحق والتاريخ أعترف أن أحداً فى العالم كله لا يجرؤ على إنشاء جامعة . أو المناداة بمذهب ، وأن يؤسس الجامعة المناسبة كشركة مساهمة ، تمنح شهادات الدكتوراه فى كل بلدان العالم ، غير الجامعات التى أنشأتها الكنيسة » !!

* هل سمعتم بالـ (S. G. I) .. إنها أكبر وأكثر شركات البناء الإيطالية شهرة ، واسمها بالكامل هو : (Societ`a Generale immoboliare) ، وهى أيضاً أهم شركة معروفة لدى امبراطورية التمويل الفاتيكانية .. هذه الشركة عاشت عصرها الذهبى فى عهد باسيلى « البابا بيوس الثانى عشر » ، المتوقد الذكاء ، والذى لم يكن يثق إلا بندرة من الأشخاص ، أهمهم أبناء أخيه ؛ والأمراء كارلو ماركنتينو وجيولو باسيلى ورئيس شركة SGI والمهندس جراف إنريكو . وقد حافظت الإدارة المالية الفاتيكانية على البِنى التى أرساها بيوس الثانى عشر XII حتى عهد بولس السادس !!

ولمعرفة تداخل وتشابك أموال الفاتيكان على سبيل المثال لا الحصر فى أواخر

الخمسينات وأوائل الستينات ، يمكن فهم ذلك من خلال نظرة واحدة نلقيها على المناصب التى تقلدها الأسياد الكبار فى عالمى التمويل الإيطالى والفاتيكانى : فالأمير كارلو باسيلى كان يشغل منصب رئيس شركة التأمينات التى يبلغ رأسمالها ٦٠٠ مليون ليرة ، ومنصب مدير دار النشر ، ومنصب رئيس مجلس الإدارة فى دار النشر وعيِّن مستشاراً مالياً للفاتيكان وأصبح يتمتع بنفوذ كبير ، وكان شقيقه ماركنتينو باسيلى عضواً فى مجلس إدارة S. G. I ورئيساً لشركة Molimie Pasti-ficio Panelle التى يبلغ رأسمالها مليارى ليرة ، وكان رئيساً لشركة Molini Antonio Biondi ورأسمالها ٦٠٠ مليون ليرة ، وعضو مجلس الرئاسة فى شركة التأمين ويبلغ رأسمالها ١٤,٥٢ مليار ليرة ، وعضو فى مجلس رئاسة كبرى الشركات المتخصصة فى إنتاج الأجهزة الطبية ويزيد رأسمالها عن ٢٣ مليون ليرة .

ويُضاف إلى ذلك أن ابن أخى البابا كان عضواً فى مجلس إدارة شركة البناء (IANA) التى عُهِدَ إليها ببناء فندق هيلتون روما ، أحد السلاسل العظيمة لإنشاءات بابا الفنادق الأمريكى الفاتيكانى (كونراد هيلتون) !!

أما (جيولو باسيلى) فهو المستشار القانونى لإدارة جمعية الأديرة ، وممثل الفاتيكان فى أحد أكبر وأهم بنوك إيطاليا (بنك روما) ، وبالإضافة إلى ذلك تقلد منصب « نائب رئيس » لأكبر شركة إيطالية لتوزيع الغاز ، يبلغ رأسمالها ٣٧,٤١٢ مليار ليرة ، وعيِّن رئيساً فى نفس الوقت لمجلس إدارة إحدى الشركات التابعة رسمياً للفاتيكان وهى شركة (Instituto Farmacologica Sereno) ، والتى بدأت تنتج أقراص منع الحمل ، فى نفس الوقت الذى نصب البابا بولس السادس آنئذ نفسه قائداً للحملة المعادية لهذه العقاقير من باب (ضمان النجاح للممنوع لأنَّه مرغوب) . حتى اعترف صحافى الفاتيكان الشهير المسمى (نينو لوبيللو) : أن هذه الأقراص وُزِّعت بأعظم مما توقع البابا نفسه !! وليتصور القارئ مدى عظمة مدخوليات وثراء شركة الفاتيكان العظمى S. G. I : يكفى أن تعلم أنها شادت وتشيد أعداداً ضخمة من الفنادق فى مختلف أنحاء العالم ، وفى فرنسا اهتمت بالمكاتب والجراچات والدكاكين والمساكن ، وفى كندا بنت أكبر ناطحة سحاب فى العالم ، وبرج بورصة مونتريال الذى يبلغ طوله ١٨٥ متراً ، وفى الـ U. S. A

شادت فندق (ووترجيت) العالمى ، وفى إيطاليا شادت العديد من المساكن الفخمة امتداداً من روما حتى تورين ، ومن فلورنسا حتى كاتانيا ، كما شادت الحى السكنى الأرستقراطى (أولكياتا) فى شمال روما ، وأنشأت النادى العالمى للجولف وملاعب الجولف . ولا يزال هذا النادى حتى اليوم هو ملتقى النخبة العالمية ، الذين كان أهمهم الموجود دائماً الأسقف (مارسينكوس) واسع النفوذ ، والذى كان يوجد دائماً فى النادى على الرغم من الفضائح المالية التى يتحمل مسئوليتها أيام شغل منصب مدير بنك الفاتيكان (I. O. R) ، وكان وجوده يعتبر لأسباب غير معروفة حتى الآن أحد العوامل الأساسية التى تدفع الشخصيات العالمية الهامة والشهيرة لزيارة النادى ، فضلاً عن أنه كان خبيراً فى الجولف .

* والآن إلى (د. ليوبولد ليدل) ليواصل كشف الستار عن بعض من عالم أسرار الفاتيكان ..

« أبلغنى العميل زوتر نبأ مفاجئاً مفاده أن الفاتيكان يريد شراء غالبية أسهم مصنع حربى ، وأنه بحاجة لوسيط ، لأن الكرسى المقدس يفضل البقاء وراء الكواليس فى مثل هذه الصفقات . لجأ الفاتيكان إلى كل الأساليب التى تتناقض مع الفقر الإنجيلى والطهارة الأخلاقية ، بعضها شرعى والبعض الآخر غير شرعى ، للحصول على المال ، ولم تكن الأوضاع الاقتصادية الإيطالية المتردية سبباً وحيداً لذلك ، لقد لعبت المصالح الشخصية والسياسية دوراً مهماً فى لجوء الفاتيكان إلى إجراء المناورات المالية . هنا يثبت أن همسات « وساوس » إله العبيد كانت بالنسبة لبعض أمراء الكنيسة أكثر أهمية ووقعاً وتأثيراً من نصائح الروح القدس ومن نداءات ضمائرهم .

كان معروفاً دائماً أن الفاتيكان له وسائل تمويل مختلفة أغلبها خفى ، علاوة على ثرواته والآثار الفنية ، لكن أحداً لا يستطيع معرفة حدود هذه الثروات ، وعلى سبيل المثال لا الحصر إليكم حساب القديس بطرس فهو حساب سرى ، ومن يحاول مجرد المحاولة تقدير ثروته لا الاقتراب أو الاطلاع فإنه يتهم بالعداء للكنيسة ولا يخلو الأمر من احتمال عدم استمراره فى الحياة . وأحياناً تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، فحالة الخفاء هذه للثروات الفاتيكانية وماليته

انكشفت مع وجود أزمة عام ١٩٦٢م . فقد اتخذ مجلس النواب الإيطالى قراراً ملزماً بجمع الضرائب من الأسهم التى يمتلكها الفاتيكان ، وقامت الدنيا ولم تقعد حوالى السنة فى مراجعات بين الفاتيكان من جهة وحكومة المسيحيين الديمقراطية من جهة أخرى ، وانتهت الحرب الفريدة لصالح الكنيسة ، وصرح الكاردينال كيكونياني بتصريح نشرته الصحف سنة ١٩٦٣م : « لا يحق للحكومة بمقتضى الاتفاق المبرم بين الدولة والكنيسة ، وبمراجعة القانون الصادر سنة ١٩٤٢ م والملزم بإعفاء الكرسى المقدس من الضرائب ـ لا يحق للحكومة بناء عليه أن تطالب الكرسى المقدس بدفع الضرائب » !!

وبالفعل تم إعفاء البنك (I. O. R) من الضرائب ، لكن مع استلام (ليونى) زمام الحكومة سنة ١٩٦٨م ، تجدد الصراع وصرح بلا مواربة أنه يجب على الفاتيكان أن يدفع الضرائب عن كل الأسهم التى يملكها . وحاول المتحدث الرسمى بلسان الفاتيكان (فاوستو فالاينو) إخفاء الحضور الاقتصادى الضخم للفاتيكان فى قلب روما ، وإشعار الجميع بضآلة الواردات العائدة على الفاتيكان من السياحة والتبرعات ، ولكن الحقائق والوثائق أقوى وأعلن . كما حاول الكاردينال (فاجندتس) المساومة مع وزير المالية حاول إعفاء الفاتيكان من ضرائب تبلغ قيمتها مليار ونصف مليار ليرة ، ولكن بلا فائدة ، وانكشف التورط الفاتيكانى مع رجال المال فى عهد بولس السادس ، وألزم الفاتيكان بسداد ٦,٥ مليار ليرة عوضاً عن التهرب من سداد ١,٥ مليار لخزانة الدولة .

وقد لا يعرف الكثيرون أن منسوب موازنة الفاتيكان ارتفاعاً أو انخفاضاً مرتبط تماماً بالبابا الجالس على الكرسى ، فالتبرعات مثلاً مقياس أمين لا يكذب عن درجة الاحترام أو المحبة أو الائتلاف مع كنيسة البابا القابع على الكرسى ، فإن كان شعبياً محبوباً ليس بفظ ولا فحاش فإن الواردات تزيد ، والعكس صحيح .. وصدق هذا الكلام بوضوح عندما جلس على الكرسى البابوى البابا يوحنا الثالث عشر الذى استخدم كل ذكائه ودبلوماسيته فى جلب المال وكسب القلوب ، ومثال ذلك أسلوبه الدبلوماسى مع كاسترو ، فالكرسى المقدس نقل احتياطى الذهب الذى يملكه خلال الحرب العالمية الثانية إلى كوبا ، وحدثت الثورة التى أطيح فيها

بالدكتاتور باتيستا ، وغدا الذهب الفاتيكانى بين يدى (فيدل كاسترو) الثائر ذى اللحية والغليون ، والذى أعلنها صريحة أنه سيحرر الكنيسة من اشتباكها مع الدولة ، وأن الفصل بين الدولة والكنيسة هو عماد حكمه ، ووافقه البابا فى كل شىء ، بل زاد أنه كان حذراً كل الحذر ، مع شدة الحرص من إغضاب كاسترو لدرجة أنه لم يسحب حتى ممثله من هافانا ، ولم يعتبر كاسترو خارجاً على الكنيسة ولم يعلن حتى مجرد إعلان أنه يستحق الطرد من ملكوتها ، بل بالغت الكنيسة فى احترام كاسترو ؛ الذى ردّ الجميل بعدم مصادرة الأموال العائدة للكنيسة .

* ولكن رجال الفضائح لا يتوقفون عن فضائحهم ، ففى عام ١٩٦٩م ، استوردت دولة الفاتيكان حوالى ١٢١ طناً من الزبدة و ١٣٠٠ طن من السكر من ألمانيا الغربية وفرنسا ، واعتبر الفاهمون أن الأمر فيه خدعة لأن أسعار الزبدة فى أوربا أضعاف أضعاف سعرها فى بلدان العالم الثالث ، أضف إلى هذا أن هذه الكميات اكتُشفَ بيعها بمعرفة الفاتيكان فى السوق السوداء الإيطالية مرة أخرى . وكالعادة حاولَ الفاتيكان أن ينفى أصلاً أنه اشترى الزبدة من فرنسا وألمانيا الغربية ، وأعلن أنه يغطى احتياجاته من السكر والزبدة من النمسا والدانمارك ، ولكن الشعب الفاتيكانى الواعى تذكر أن صحافته الرسمية نشرت عن أنهم يبتاعون الزبد فى أغلب الحال من ألمانيا ، ونشرت صحيفة « الأوبزرفاتورى رومانو » تقريراً للخبراء مفاده أن معدل كمية الزبدة التى يستهلكها الفرد فى دولة الفاتيكان أقل بكثير مما يتصور خبراء بلدان الجماعة الأوربية ، ثم إن الفاتيكان يتمتع بحق بيع الموظفين وعائلاتهم المواد الغذائية بأسعار مخفضة ، وعندما حقق المحققون فى الفضيحة لمعرفة حجم كمية الزبدة التى استوردها الفاتيكان سنة ١٩٦٩م من النمسا والدانمارك صرح المسئولون ـ الذين يعرفون الحقائق جيداً ـ بالقول : « إن اللجنة ليست قادرة على إعطاء المعلومات المطلوبة » !! ثم تكشفت الأوراق والوثائق التى أفادت أن إيطاليا باعت الفاتيكان ٦٥,٨ طناً من الزبدة بأسعار زهيدة بخسة ليوزعها الفاتيكان على بيوت الأيتام والمستشفيات ودور العجزة وروضات الأطفال ، ولكن لم يحدث شىء من هذا القبيل لأن الزبدة بيعت بأسعار باهظة فى السوق السوداء الإيطالية . وللتاريخ فإن الاتجار بالزبدة فى ذلك الوقت كان عملاً مربحاً يحظى

باهتمام أوساط روما الروحانية ، ويكفى مثلاً أن نعلم أن الأب اليسوعى الماهر بالتجارة السوداء (ماريو شوننبرج) الذى عمل مساعداً لرئيس اليسوعيين (بيدرو أروب) له ملف أسود فى الاتجار بمأكولات الأيتام والعجزة ، فقد اكتشف أن الألمان يجلسون فوق جبل من الزبدة وأن عملية تخزينها تكلف ألمانيا ٥,٧ مليون مارك ألمانى ، ففاوضهم بالنيابة عن شركة (Humanitas) التى قررت مساعدة فقراء العالم الثالث الذين يعضهم الجوع ، وقال إنها على استعداد لشراء (٢٠٠٠ طن زبداً) ، وطالب بعمولة قيمتها بالضبط ٥,٧ مليون مارك سيدفعها الألمان على أى حال لتخزين الزبد . لكن يكفى أنهم سيكسبون ثواب الله ومزيداً من السمعة الطيبة للألمان فى ملكوت السماء وملكوت الأرض ، لكن المفاجأة السوداء أن (شوننبرج) اختفى تماماً هو والـ ٥,٧ مليون مارك وكميات الزبد بعد أن كان قد اشترط سرية الأمور والأرقام !!

** وفى فصل بعنوان (التجارة السوداء بأقراص منع الحمل) قال (ليدل) : « إن يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٦٨م يوم تاريخى بالنسبة للكاثوليكيين بل وللعالم ، ففى ذلك اليوم أصدر البابا منشوراً خطيراً يتحدث فيه عن الحياة الإنسانية Humanae Vitae ، أدان فيه قبل كل شئ استخدام أقراص منع الحمل التى اتسع نطاق استخدامها .. وشبه البعض هذا المنشور بما قاله جاليليو ، ورأوا أن القرار الكاثوليكى الأكثر خطورة فى هذا القرن ... ووصفت الكنيسة اللوثرية السويدية (نسبة إلى مارتن لوثر) دعوة البابا للتوقف عن استخدام أقراص منع الحمل بأنها (خطأ مفجع بل ومهلك وأن كنيسة الفاتيكان لا تزال تعيش فى القرون السوداء الوسطى ...) ..

وردّت الصحافة المستنيرة فى العالم بنتائج استطلاعات شعبية فى مختلف بلدان العالم أكدت أن الجميع تجاهل قرار البابا بمنع استخدام أقراص منع الحمل ، وأنها أفضل من الإجهاض .. وكانت المحصلة النهائية لدى الشعوب المسيحية هى هذه النتيجة : «لو خيّر المؤمنون الكاثوليكيون بين البابا والأقراص لاختاروا الأقراص» لكن الأخطر هو أن الأساقفة أنفسهم حتى فى الفاتيكان تجاهلوا قرار البابا .. ولكن ما هو مجهول حتى كتابتى لاعترافاتى ومذكراتى هو الملف الأسود للطريقة التى

اعتمدها الفاتيكان نفسه لتجاهل القرارات البابوية ، بل ولتمويل عملية ترويج أقراص منع الحمل .. وهو ما كان يحدث فى نفس الوقت الذى طلب فيه البابا عبر مراسيم سرية من ممثليه التدخل لدى الحكومات المختلفة (الفلبينية ـ الهندية ـ السريلانكية ـ ودول العالم الثالث العربية ... الخ) ، التى تعتبر أن الأقراص واللولب والعوازل الطبية هى أعظم ضمان للتخطيط الأسرى والعائلى ، فهى فى معتقد هذه الحكومات وسائل آمنة لوقف زحف خطر الانفجار السكانى !!

« الفاتيكان مسرح ضخم لممثلين لكل درجات الأخلاق الدنيئة ، وإن كان هناك أخلاقيون جداً ، ورجال صالحون ، لكن يقابلهم آخرون ليسوا من رجال الدين يحتاجهم الفاتيكان الرسمى كدمى فى يده لتنفيذ الصفقات والعمليات المختلفة ، وكأى دولة لها جهاز أمنى وللأمن ذاته لا يمكن كشف هوية هؤلاء ، ولكن مئات الأسماء التى أعرفها منهم الأب الغامض (جوزف) ، والمونسينيور (بريتا) ، كانوا يختبئون وراء الأقنعة والأسماء المستعارة » !!

« وأول صفقة جنى منها الفاتيكان من خلال وساطتى الشخصية مبالغ ضخمة حصلت منها على عمولة ضخمة كانت تجارته بأقراص منع الحمل نقلت من مرسيليا إلى إسبانيا ثم إلى الهند وغانا ، وكان مسموحاً لسيارة دولة الفاتيكان السوداء الدخول إلى مدرج أى مطار ، مما كان يجعلنى أعبر الحواجز الجمركية بسهولة ... » ..

« ومن مشاريعى اللاأخلاقية مع الفاتيكان أن أفتتح لصالحهم وبتمويل من الفاتيكان كازينو ضخماً للقمار فى المنطقة الحدودية بين فرنسا وأندورا .. وفشل المشروع أكثر من مرة إحداها حاولنا فيها استئجار ثلاث سفن من شركة السفن الإسرائيلية لبناء كازينو القمار على متنها .. فالحواجز كثيرة وما زالت مشاريع صفقات أقراص منع الحمل أربح ... لكن المفاجئ فى الأمر أن الذى كان ينتج أقراص منع الحمل هى مصانع (Instituto Farmacologico Sereao) وهى مصانع يمتلكها الفاتيكان نفسه !! وإحدى صفقاتنا مع مستورد هندى بيع أقراص للهند بمبلغ ٢٠ مليون دولار أمريكى ، ومع أننا كنا رفعنا الأسعار بشكل خيالى إلا أن أرباحنا باهظة ، ولا أعرف كيف كان الفاتيكان ينفق هذه الأموال ، فقط كانوا

يزعمون دائماً أنها تُستخدم لمساعدة المؤسسات الكنسية الموجودة فى بلدان العالم الثالث ؟!! وإحدى الصفقات التى أنجزتها للفاتيكان فى أوائل السبعينيات أثمرت ٣٥ مليون دولار أرسلتها إلى رئاسة الكنيسة فى روما !! » .

* وينتقل (ليدل) فى اعترافاته إلى النقطة الأكثر سواداً وهى تورُّط الفاتيكان فى صفقات الأسلحة وتجارة الموت للشعب .. وبدأت الفضائح تتوالى عندما أمسكت ببداية الخيط أكبر المجلات الكاثوليكية الإيطالية التى دقت ناقوس الخطر واعترفت فى صدر إحدى مقالاتها سنة ١٩٨٥م بمقولتهم : [إن أسلحتنا تقتل الناس فى مختلف أنحاء العالم] .. [لقد بلغت قيمة الصادرات العسكرية الإيطالية من مختلف أنواع الأسلحة ٤,٤٠٠ مليار ليرة فى عام ١٩٨٣م ، وحصلت بلدان العالم الثالث على نسبة ٩٠٪ من هذه الصادرات] !!

ويواصل (ليدل) اعترافاته الموثقة فيقول : « هذه الأرقام ليست رسمية لأن القانون الملكى الذى صدر عام ١٩٤١م ما زال معمولاً به ، وهو يقضى بإحاطة تجارة الأسلحة بالسرية التامة ، ويتم تصنيفها فى خانة الأسرار العسكرية ، لكن الصحافيين توصلوا إلى هذه المعلومات عبر السياسيين الثرثارين ، والأسلحة بيعت بأسعار خيالية ليس فقط إلى الأرجنتين والبرازيل ومصر والإكوادور ، إنما إلى هايتى ، وللعراق الذى اشترى ٢٢٤ صاروخاً من نوع أسبيد Aspide ذات الفعالية الكبيرة ، كما اشترى ٦٠ صاروخاً من نوع (Otomat) ومدمرتين من نوع (شترومبولى) ، و ١٦ قارباً لخفر السواحل ، كما اشترى القذافى قائد ليبيا صواريخ أسبيد والعربات العسكرية التى تحملها ، وطائرات حربية مختلفة النماذج وطائرات هليكوبتر وصواريخ يمكن توجيهها عن بعد » !!

هذه الحملة تتالت واتضح بالفعل أن الفاتيكان وممثلى المسيح على الأرض تورطوا فى صفقات تجارة الأسلحة ، وبدأت الأوراق الخفية تظهر ، عندما خرجت الوثائق التى تؤكد أن موسولينى فى الثلاثينيات أيام حربه ضد أثيوبيا أخذ كل حاجته للسلاح من مصنع يملكه الفاتيكان ، هذا المصنع رسا مزاده على (سينيور بيرناندينو نوجارا) الرئيس الشهير للإدارة الخاصة الفاتيكانية ، وهو صديق حميم للبابا بيوس السادس عشر ، وترأس نوجارا لسنوات عديدة الفرع التركى لبنك

التجارة الإيطالى وعرف كيف يستثمر التعويضات التى حصل عليها الفاتيكان بسبب خسارته لنفوذه العالمى بسبب الفاشية ، وبلغت قيمة التعويضات ٣٤٠ مليون مارك ، وأطلق البابا يد صاحبه فى عقد الصفقات وشراء الأسهم والمصانع ، و (نوجارا) يهودى اعتنق الكاثوليكية ، لست أدرى لماذا ، ويعتبر من المتطرفين فى تدينه وإن كان فى الحقيقة الأكيدة رجل بلا ضمير يردعه عن توظيف أموال القديس بطرس فى صفقات الأسلحة ، و (نوجارا) رجل لم يكن عليه رقابة إلا أن مراجعات حسابات خزائن الفاتيكان أكدت تضاعف الثروة على يدى هذا العميل ... ودورى برغم تواضعه فى قضية مصنع السلاح إلا أن الآخرين يؤكدون أن الفاتيكان دونما احترام للضمير ، مستعد دائماً لعقد الصفقات التجارية فى أى مجال من شأنه تحقيق الربح للفاتيكان ولو كان ضئيلاً » !!

« أما صداقتى مع الأب (جوزف) فقد أبانت لى أن هذا الرجل النموذجى فى الذكاء يدرك كل أنواع الغش ويجيد كل أنواع الخداع ، ويلجأ إلى ممارستها دون أن يؤنبه ضميره ، وعندما قلت له مازحاً : « على يديك أيها الأب العطوف يمكن أن نؤسس مدرسة عليا للخداع (النَّصْب) » فردَّ بابتسامة لا غير ، تلاها حديث عن الصفقات ... أما (بينيللى) أقوى مسئولى الإدارة البابوية المركزية ، والذى كان بالنسبة للرأى العام أنظف شخص فى الفاتيكان على الإطلاق ، مع الأسف لم يكن نظيفاً بأى وجه من الوجوه .. ويكفى نصبه على الكاتب (ديفيد يالوب) حيث قدم له معلومات لا أساس لها من الصحة مقابل مبلغ ضخم من المال ، ليكتب كتابه (باسم الله) مقتفياً من خلال هذه المعلومات المزيفة أثر قاتل قصير العمر البابا بولس الأول .. ويكفى سعيه السريع لإخفاء آثار عملية شهادات المافيا المزورة التى سعيت فى سبيلها لحساب الفاتيكان .. إن (بينيللى) العظيم ينطبق عليه تماماً المثل القائل « حاميها حراميها » ، فى نفس الوقت الذى اعتبر اليد اليمنى للبابا بولس السادس الذى تركه ينفذ مهمات خاصة لا يقدر البابا على التعامل معها شخصياً .. وأنا مقتنع بشكل أكيد أن البابا كان يعرف معرفة جيدة كل شىء عن تجارتنا وصفقاتنا حتى الآثمة ، أما لماذا تحمل ذلك بصمت ولم يحرك ساكناً ، فإن ذلك سيظل لغزاً معقداً » !!

بقى أن تعرفوا أن من هذه الصفقات بيع دولارات أمريكية مزورة ، وتزوير قطع ذهبية وسرقات لتحف وآثار ولوحات فنية ، وشراء سندات مسروقة وأخرى مزورة ، كلها تحدثت عنها بالتفصيل فى مذكراتى » .

« ولا بد أن أعترف بتعاون الفاتيكان مع المافيا الإيطالية وكسب من هذا التعاون عن طريق أموال الابتزاز والفديات التى دفعت للمافيا لقاء الإفراج عن الأشخاص الذين كانت تقوم باختطافهم واحتجازهم كرهائن ، وحسب معلوماتى الموثوقة فإن الفاتيكان حصل فى أواخر الستينيات على أموال قيمتها ٧٥٠ مليون دولار لكن بالليرِ الإيطالى عبر هذه الطريقة . وهذا يعنى أنه جمع ثروات طائلة من خلال هذا الأسلوب ، وها هو يريد مضاعفة قيمة هذه الثروات عبر توظيفها فى صفقة السندات المزورة التى كانت قيمتها الاسمية أكبر بكثير من قيمة الشراء التى اشتروها به سنة ١٩٧٠م . ولا بد أن أعترف أن بنك الفاتيكان كان جاهزاً لصرف وتنظيف أموال المافيا ، ولم يكن هذا السر خافياً على أحد من المقربين » !!

« لقد احتلت أموال الخطف والابتزاز بالنسبة للمافيات المرتبة الثانية فى قائمة المصادر التى يمكن جمع الثروات من خلال قنواتها ، هذا إذا استثنينا تجارة المخدرات .. وفى عام ١٩٨١م وقعت بين يدى وثيقة إحصائية تفيد أن معدل الدخل السنوى للمافيات عبر عمليات الخطف والابتزاز يبلغ ٤ مليارات مارك ، ولا شك أنه من العبث محاولة معرفة الطرق التى وصلت عبرها هذه الأموال القذرة إلى خزائن الفاتيكان ، وإن كنت متأكداً من أن العميلين الشهيرين (سيندونا) ، (كالفى) يعرفان هذه الأسرار ولكنهما ماتا : الأول نهايته غريبة ، والآخر نهايته غامضة » !!

** وفى فصل بمذكراته بعنوان (عند السجن .. الكل لم يعرفنى وكل الأصدقاء تخلوا عنى) يروى (ليدل) كيف تم اعتقاله فى العاشر من شهر أغسطس سنة ١٩٧١م ، ونقل بسيارة عسكرية إلى سجن فى الدائرة التاسعة من فيينا ، وحرّر محضر اعتقاله بشكل مخالف للواقع ، تأكد معه أن أى محضر رسمى يمكن أن تكون المعلومات التى به مزورة .وكان (ليدل) صامتاً لاقتناعه المطلق بأن أصدقاءه الأقوياء فى الفاتيكان سيخرجونه من السجن ، فى ذات الوقت

بدأت الشرطة حملة تفتيش لمنزله وخزائنه ، وحاول (ليدل) تحذير زوجته عبر رسائل سرية وتنبيهها على ضرورة إتلاف كل الوثائق المتعلقة بالفاتيكان ، ولكن الوقت كان قد فات وتم التحفظ على حقيبة أسهم تحمل ملاحظات خطية مختلفة تتعلق ببيع لوحات وتجارة بالأسهم مع الفاتيكان ، وعثرت الشرطة فى خزائن زوجة (ليدل) التى استأجرتها في صندوق توفير البريد فى ڤيينا على وثائق تؤكد بيع أسهم بقيمة ٩٥٠ مليون دولار عبر الفاتيكان ، ومن ثَمَّ ثار الفاتيكان ثورة عظمى ضد الأنتربول ، ثم هدأت العاصفة ، ولا أدرى حتى الآن لماذا هدأت !! وحرص (ليدل) على الصمت حيال صفقات الفاتيكان ودوره كوسيط أثناء التحقيقات معه برغم الضغط الهائل عليه ، وكان منطقه فى هذا الصمت انتظار تدخل الفاتيكان بشكل أو بآخر لإنقاذه ، ثم بالدرجة الثانية لأنه لا يريد إلحاق الأذى بالفاتيكان كمؤسسة أخلاقية للكاثوليكيين ، ولأنه لم يحدث الأول فقد قام (ليدل) بضد الثانى فيما بعد وكانت مذكراته تلك .

ويعترف (ليدل) بأن الواقع أكد أن أصدقاءه بالفاتيكان لم يفكروا حتى فى الحلم بإخراجه من السجن ، وأطلق سراحه في ديسمبر سنة ١٩٧٢م بعد سجن ستة أشهر ، مقابل كفالة مادية قيمتها ٢٠٠ ألف شلن نمساوى .. وبعد بضعة أيام هاتفه الأب (جوزف) وقال له : إن الأصدقاء يرغبون فى التحدث معه ، وتكلم بشكل حذر ودون ذكر أية أسماء أو أماكن خشية أن يكون هاتف (ليدل) تحت المراقبة ، ولأن أمر اللقاء أصبح حتمياً جازف الأب (جوزف) وقال له : انتقل إلى تريست وهناك خذ وثيقة تتجاوز بها الحدود لشراء بعض الحاجيات ، وهناك ستجد تذكرة السفر فى مكتب إيطاليا وسأنتظرك فى المطار » !!

وبالفعل تعلل (ليدل) لشرطة الحدود بأنه نسى جواز سفره فى ڤيينا وأنه يريد شراء حاجات الميلاد من روما ، وكان رأس السنة على وشك ، وبلا جدال أخذ (ليدل) التأشيرة ووجد الأب جوزف فى انتظاره ، وتوجها إلى مكتب (بينيللى) فى الفاتيكان ، ووجد فى انتظاره سكرتير الدولة الفاتيكانية بزيِّه الرسمى ، وأدرك (ليدل) لأول وهلة أن الأسياد (ويعنى بهم ليدل كبار رجال الفاتيكان) دعوه إلى روما للتأكد مما قاله خلال التحقيقات ، وهل أدلى بشىء عن الفاتيكان

وعلاقته به ، وأجابه (ليدل) بالنفى إلا أنه أفادهم صراحة أنهم عثروا على أوراق سجل عليها بوضوح طلب سندات مزورة ، فاستفسروا منه : هل حمَّل أحداً المسئولية ، فأجاب بالنفى باستثناء ذكره لشخص ميت منذ زمن !!

وأترك (ليدل) يروى بنفسه لقارئى الكريم هذا الحوار فى الفاتيكان :

سأل بينيللى : « هل ذكرت أسماءنا ؟! » .

قلت : « لا .. أبداً .. وأتمنى ألا يؤثر ما حدث على علاقتى المستقبلية بالفاتيكان وبكم طبعاً » !!

واضح أن كلمتى تلك مرت وكأنها لم تُسمع ، وكنت أفهم جيداً هذا النوع من التهرب بل وأدركت مغزاه .. وبالفعل نظر إلىَّ (بينيللى) نظرات حادة غريبة وهو يقول : « هل لديك أى مشكلة ؟ » .

قلت : « لقد كلفتنى المسألة مبالغ طائلة ، ولم يعد معى ما يكفى ، والقضية ما زالت مفتوحة والمفروض أن أعود اليوم إلى تريست وإلا ستتعرض حريتى للخطر علاوة على ضياع مبلغ الكفالة » .

قال : « ماذا تريد بالضبط ؟! » .

قلت : « آمل أن تساعدونى بمبلغ كبير » ..

قال بينيللى : « نحن أيضاً فى ورطات مالية ، ولست وحدك ، وبصراحة لا نستطيع إمدادك بأى مال ، لكننا يمكن أن نعينك على البدء بحياة جديدة فى مكان جديد ، مثلاً الباراجواى يمكن لرئيسها (شتروسيز) أن يستقبلك بمحبة بناء على أوامرنا له ، ويمكن أن تحيا هناك تحت أى اسم جديد » !!

قلت : هذه مغامرة ، كما أننى نبذت الحياة الجديدة فى الخارج ، ثم إن زوجتى تريد الطلاق وعندى أطفال واحتياجات ، أنا فعلاً فى حاجة ماسة إلى المال » !!

قال بينيللى بصراحة لا تنقصها الوقاحة : « نحن آسفون فعلاً ، ولا نستطيع تقديم أى عون لك ، ولا تنس يا دكتور ليدل أنك لعبت لعبة كبيرة ، وإذا كانت الخسارة كبيرة فى لعبة كبيرة فذلك أمر طبيعى » !!

« لن أنسى طيلة عمرى هذه العبارات ولا كيف ابتسم الحَبْر العظيم هو وصديقه الحبر الآخر القابع معنا » .

هذا ما دار بأعماق نفسى فى الوقت الذى قلت له : « .. لكننى كنت أعمل بتفويض منكم ولحسابكم » .

قال بينيلي : « شكراً لك على كل عمل قمت به من أجل حاكمية الإله على الأرض ، وتذكر أنك لم تعمل فقط لحسابنا ، وإنما عملت من أجل الرعية ، وبصراحة الفاتيكان يواجه أزمة مادية حادة ، وربما نساعدك فى المستقبل بشرط أن تحتفظ بأسرار علاقتك مع الفاتيكان » !!

« كانت الرحلة خيبة أمل فوق خيبة آمالى ، وعندما عدت إلى تريست تبخر كل شئ من رأسى إلا عبارة بينيللى : « لقد لعبت لعبة كبيرة ، وكانت الخسارة كبيرة .. وهذا طبيعى » !!

** ويواصل (د. ليدل) المذكرات ، حيث لم تنقطع المفاجآت ، فيقول : « لأمر ما قفزت فكرة التفتيش فى أوراقى القديمة عند وصولى إلى ڤيينا مرة أخرى ، ولا يتخيل امرؤ دهشتى عندما اكتشفت أنه لا وجود لأى وثيقة أو رسالة أو صورة أو حتى قصاصة تفيد بعلاقة من أى نوع بينى وبين الفاتيكان ، لقد اختفى كل شئ كأنما تبخر أو أن الأرض انشقَّت وابتلعته ، حتى جواز سفرى الدبلوماسى الفاتيكانى الذى يؤكد أننى مستشار للكرسى البابوى تبخَّر فى الهواء ، كذلك الرسائل الموقعة بخاتم وإمضاء (تيزيران) الكاردينال الكبير بالفاتيكان ، وصديقى المقرَّب ، حتى شهادة الدكتوراه التى نلتها من جامعة الفاتيكان والعديد من الصور مع شخصيات أمثال الأب (جوزف) وأحبار الفاتيكان ، كله اختفى ، حتى الصور التذكارية التى أخذتها مع الكرادلة (تيزيران) و (بينيللى) ، (فاجنوتسى) و (سيكونيانى) ، كما لم أجد الصور التى تجمعنى مع بعض رؤساء الدول أمثال الملك الأثيوبى (هيلاسلاسى) ، كذلك اختفت كل الوثائق المتعلقة بصفقات اللوحات الفنية والسندات المزورة !! لا أعرف كيف اختفت !!

أعتقد أنه ربما تدخل فى الأمر أحد عناصر الشرطة المؤمنين الصالحين ، ولربما

يكون أتلف كل هذه الوثائق حفاظاً على هيبة الفاتيكان وخشية الفضيحة العالمية .. أو لربما وصلت كل الوثائق إلى الفاتيكان عن طريق أياديه الطويلة والخفية والتى كان لى سوابق معها تؤكد وجودها فى كل مكان .. ولعل ما يؤكد هذا الظن الأخير هو ذلك الاتصال الهاتفى الذى أجراه الأب (جوزف) مع والدتى قبل إطلاق سراحى ، والذى أبلغها خلاله بموعد إطلاق سراحى قبل أن تعرف هى بذلك من أى شخص ، فلا شك أن هناك اتصالاً خفياً بين (بينيللى) أقوى شخصية فى الفاتيكان يومئذ وبين المسئولين النمساويين !! ومعروف أن الفاتيكان يحرص على التكتم على الوثائق حتى تلك التى تعتبر عديمة الأهمية والتى تتعلق بشخصياته المهمة بعد موتهم ، فإنه يخفى آثارها . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر أن المذكرات الشخصية للبابا بيوس السادس ما زالت حتى اليوم مفقودة ، وحلّت اللعنة على الكاردينال (تيزيران) بميتة غامضة لأنه سلم الوثائق التى يملكها فى الوقت المناسب لسكرتيره (جورج روش) الذى قام بالتعاون مع ابنة أخى (تيزيران) بنقل هذه الوثائق إلى سويسرا ثم إلى فرنسا » !!

** ولأن بينيللى يدرك أن أحداً لن يستطيع إدانة الفاتيكان مع إدراكه الجازم فى نفس الآن أن هناك فضيحة عالمية تهدد الفاتيكان ، لم يسمح للمخابرات الأمريكية بزيارة الفاتيكان إلا بعد إعداد الطبخة جيداً برغم وجود بعض الوثائق المتسربة والتى تدين الفاتيكان لا سيما الرسالة الموقعة باسم رابطة الأديرة !! أما الأمر بالنسبة للرئيس الأمريكى (نيكسون) فقد كان محسوماً لصالح الفاتيكان ، ولو كانت كل الوثائق تحت حيازته ، فقد كان متورطاً لأذنيه فى فضيحة (ووترجيت) فهو بحاجة ماسة للغاية لأصوات الكاثوليك ودعم الأسقفيات بل ودعم الفاتيكان نفسه !! وعاد ثلاثى الاستخبارات خالى الوفاض بعد حوار البيت الأبيض والفاتيكان ، لتموت القضية وكأن المرء لم ير أحداً ولم يكلم أحداً » !!

هكذا عبّر (ليدل) ، وعلق على هذه الأحداث بقوله : « إن أفضل جملة يمكن قولها هى أن القانون يعتقل الصغار ، ويدع الكبار يسرحون ويمرحون ، وأن المرء المؤمن أمثال الرجل المخلص المحقق الأمريكى (كوفى) لم يكتم غيظه ، وأعرب عن فقدانه لإيمانه بالرب وبالولايات المتحدة الأمريكية » !!

ويخلص الدكتور (ليدل) إلى هـذه الحقيقة التى عبَّر عنها بهـذه الكلمات : « إن من يعرف القليل عن التاريخ العريق للكنيسة يدرك أنها لم تتخضب بدماء شهدائها والمؤمنين بها فحسب ، وإنما أيضاً بدماء الملايين من ضحايا حقها فى السيطرة والقوة ، الذين سقطوا عبـر القرون سواء فى الحروب الصليبية أو الدينية ، أو الذين يعتبرون ضحايا ديوان محاكم التفتيش لتتبع الملحدين ، أو أولئك الذين أُعدموا بعد ثورتهم ضد دولة الكنيسة . نعم كثيرون توجَّب عليهم أن يموتوا باسم المسيح ، وهو من هذا برئ !! لكن عقلنا المسيحى اليوم يأبى أن يستوعب أنه يوجد بالفعل الآن واليوم وعند كتابة هذه السطور وعند نشرها ، فى دائرة الحكام باسم الله على الأرض ، مجرمون بالفعل وقتلة ، وأنه يوجد فى مملكة الله الروحية حيل كثيرة ، وعمليات اغتيال وروح انتقام وخبث !! لكن والله هذه هى الحقيقة » !!

ويختم (د. ليدل) مذكراته الرهيبة ـ والتى قدمتُ جزءاً يسيراً منها ـ بقوله : « وأخيـراً تبقى الحقيقة الوحيـدة المريرة والمؤلمة ، وهى أن ممثلى الله على الأرض لم يتصرفوا كـما كـان ينتظر منهم الملايين من المؤمنين فى شتى أنحاء العالم ، وكما يريد الرب » !!

ويبرر الدكتور (ليدل) رواية مذكراته واعترافاته بقوله : « لقد لذتُ بالصمت عقدين كاملين حـول عملى كـألعـوبة للفاتيكان ، لم أصمـت بسبب الخـوف أو الجبن ، وإنما بسـبب الأدب والولاء الذى يشـعـر به أى كـاثوليكى ، حـتى الكاثوليكى الذى لا يذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد ، لقـد ربانى والدى تربيـة كاثوليكية ،وما زلت أعتبر حتى الآن أن الكنيسة هى موطنى الروحى ، وعندما تم اعتقالى لم ألْغ من حساباتى أننى سأواصل العمل لحساب الفاتيكان بعد إطلاق سراحى .. وللحقيقة فإننى أعتبر أن ما لاقيته من حوادث ، وما عايشته من أحداث مـع الكرادلة والصيـارفة ، ومزورى العـملات وعناصر المافيـات ، يتجـاوز قدرة الإنسان على التصور ، خاصة ذلك الإنسان الذى لم تواته الأقدار بفرصة للنظر إلى ما وراء ستائر الديباج التى تعبق منها رائحة البخور الموجودة فى مكاتب القـصور الفاتيكانية .. وعندما أقرر ، على الرغم من ذلك كله ، كتابة ونشر الأحـداث التى عايشتـهـا فـلأنه يزعجنى جداً أن أرى المذنبين الحقيـقيين فى ثيـابهم الرسميـة

الأرجوانية قد علا شأنهم وتمت ترقيتهم فى مذهب الوجود الزمنى والروحى ، بينما الذين يقدمون لهم المساعدات وييسرون الأعمال أو ينفذونها لهم ، مثلى ، تشوه سمعتهم حتى من جانب الفاتيكان .. لهذا كان ما كان » !!

* * *

وننتقل من مذكرات (د. ليدل) العميل الفاتيكانى إلى مذكرات وكتابات رجل فاتيكانى ١٠٠ ٪ ، أكمل دراسته اللاهوتية فى أهم الجامعات البابوية فى روما ، وعمل أستاذاً لمادة علم الأخلاق فى جامعة (ويستمنستر) ، كما عمل محاضراً لمادة الميتافيزيقا وعلم اللاهوت فى كلية (كوربوس كريستين) فى لندن ، ثم اعتزل العمل اللاهوتى الكنائسى عام ١٩٧٠م ، وتزوج ويعيش الآن فى أيرلندا مع زوجته وأبنائه ، إنه القس اللاهوتى (بيتر دى روزا Peter de Rose) ، الذى أصدر كتابه الخطير بالألمانية (GOTTES ERSTE DIENER) ، وتحت عنوانه الثانى (Die Dunkle Seite des Papsttums) والترجمة تعنى : (خدام الرب الأوائل ـ الملف (التاريخ) الأسود للكنيسة ، أو الحقيقة المظلمة للبابوية) . **وجدير بالذكر أن هذا الكتاب ترجمه إلى العربية الأستاذ (أيسر حطيبة) بعد أن نال إجازة ترجمته للعربية الأستاذ المصرى النابه الكبير (حسنى أبو اليزيد)** ..

* يبدأ (دى روزا) كتابه بمقدمة يثير فيها (قضية الثوب الذى كان يرتديه المسيح عليه السلام) عندما حاول اليهود صلبه ، فالصور الموجودة له تظهره وعليه قطعة قماش صغيرة ، مع أن الحقيقة أنهم وضعوا المسيح على الصليب [1] عارياً ، ولكن رجال الدين حرّموا إظهار المسيح عارياً لا تأدباً معه عليه السلام ، إنما لأنه إن ظهر هكذا فسوف يكشف عريه عن هويته اليهودية عن طريق الختان الواضح به ، وهو ما كان يخشاه رجال الدين المسيحى ، ويستطرد القس فى مقدمته : إن اليهود هم الذين فعلوا ذلك بالمسيح خصوصاً يهوذا ، وجريمة اليهود لا تتوقف

---

(١) هذا فى الفكر المسيحى والمعتقد الدينى لديهم ، أما نحن المسلمين فنؤمن بأن المسيح عليه السلام لم يوضع على الصليب من أصله ، وصدق الله العظيم : ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفى شكٍّ منه وما لهم به من علمٍ إلاّ اتباعَ الظنِّ وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ (النساء : ١٥٧ ، ١٥٨) .

عند قتل المسيح مرة وإنما بعدم إيمانهم برسالته يقتلونه كل يوم ويجددون ذنبهم ، ولولا قطعة القماش الصغيرة التى تغطى السيد المسيح فى صوره وتماثيله لظهر للعالم كله أن (محاولة) قتل المسيح لا تمثل قط قتل أحد المسيحيين فقط وإنما أحد اليهود أيضاً ..

وهنا يطرح (دى روزا) تساؤله الذكى : « هل لو ظهرت يهودية المسيح من خلال الصور فهل كان اليهود سيلاقون نفس القدر من المطاردات والتعذيب ؟ وهل كانت الكنيسة ستصدر قراراتها التى تنص على أن اليهود ملعونون لأنهم قتلوا المسيح [(١)] ؟ وهل كانوا سيفرضون على اليهود حمل شارة معينة تميزهم عن غيرهم ، وليسكنوا أفقر الأحياء وحدهم ، وليقول هتلر بصراحة وبفخر عن أسلوبه معهم : « إننى لا أفعل سوى ما تأمر به الكنيسة منذ خمسة عشر قرناً » [(٢)] ..

ويختم (دى روزا) مقدمة كتابه بقوله : « وبعد انتهاء مذابح هتلر بخمسة عشر عاماً ألقى البابا يوحنا الثالث والعشرون صلاة يستسمح فيها اليهود عما فعله المسيحيون بهم ويعتذر لهم ، وكان هذا بمثابة تكفير من الكنيسة عن ماضيها ، وأوضح البابا أن الكنيسة تحتاج لتغيير مستمر وأن أخطاء الكنيسة وظلمها لن يبقى سراً وأن التاريخ لن يسمح بتزويره » !!

* وفى الجزء الأول من كتابه المعنون بـ « السلطة » و « الفاتيكان والمعاملات المالية » و « الجنس والخلاص » ؛ يتحدث عن بعض المظاهر مثل تقبيل القدم اليمنى المتقدمة قليلاً عن أختها لتمثال القديس بطرس ، **والتى يقابلها وضع حشية « سجادة » يضع البابا قدمه عليها ليتمكن الناس من تقبيلها** !! هذا البابا الذى يرأس مليار كاثوليكى ، وأربعة آلاف كاردينال ، وأربعين ألف قسيس ، ومليون راهبة !!

ويثير (دى روزا) العديد من القضايا الغامضة أو غير المحددة بشأن الكنيسة ،

---

(١) انظر الهامش السابق .

(٢) هتلر يهودى الأصل ، ومذابحه ضد اليهود متفق عليها مسبقاً مع قادة اليهود ، كما أنها لم تكن بالبشاعة التى تروى إنما للتخلص من أناس معينين ، ثم لاستدرار العطف العالمى .

وعلى سبيل المثال لا الحصر مسألة إقامة بطرس فى روما ، فهناك رأى وحيد من أواخر القرن الرابع الميلادى يقول بأنه كان موجوداً بها وعاش ربع قرن من الزمان ، ولكن يبقى الأمر كلاماً بلا وثيقة ولا دليل تاريخى على ذلك خاصة أن الحوارى بولس أرسل خطاباً فى عام ٥٨ م إلى أهل روما ، حيّا فيه عائلات بأكملها وذكر ٢٩ اسماً لم يكن بينها اسم بطرس بالمرة ، وهذا شيء غريب إذا عرفنا أن بطرس كان وقتها أسقف روما ويعيش بين أهلها كما أشاعوا !! ومن التضارب الغريب أن شيخ مؤرخى الكنيسة (يوسيبيوس) كتب عام « ٣٠٠ م » : « أن بطرس حمل لواء الدعوة إلى اليهود فى الهلال الخصيب ، وعندما وصل إلى روما تم صلبه » ، وكتب مؤرخون آخرون أن بطرس عاش فى روما ثلاث أو أربع سنوات على الأكثر ، ولا يوجد دليل على ترأسه للكنيسة هناك فرئاسة الكنيسة لا تحدث بين عشية وضحاها إذ بطرس حتى لم يكن أسقفاً لأورشليم . ويضاف إلى ذلك الحقيقة المذهلة التالية : ففى الفهارس الأولى للأساقفة الرومان لم يظهر اسم بطرس أبداً رغم ترتيبها الزمنى وبالاسم ، وهى تضم ترتيبهم حتى الأسقف الثانى عشر يليوثيريوس وحسب تاريخ الدستور الكنسى لعام ٢٧٠م ؛ فإن لينوس هو أول أسقف لروما ثم كليمنس ، ومما يزيد الأمر غموضاً أن يوسيبيوس ـ على كثرة ما كتب وأرّخ ـ لم يورد ذكر بطرس مرة واحدة كأسقف لروما .

وهناك مشكلة تنحى القساوسة عن أعمالهم بالتبشير ، ففى عام ١٩٧١ م أظهرت دراسة أنه من عام ١٩٦٣ حتى ١٩٦٩ م قدم ٨٠٠٠ قس طلباً للتنحى عن دورهم ، وأن هناك ٣٠٠٠ آخرين انفصلوا عن الكنيسة دون انتظار إذن منها ، وتنبأت الدراسة أنه فى خلال خمس سنوات سيتحلل ٢٠,٠٠٠ قسيس من التزامهم . وقد تبين للبابا أن هذه الأرقام متواضعة جداً أمام الحقائق ، فأكثر البلاد تخريجاً للمبشرين أثبتت أنها أسرعها تراجعاً ؛ فهولندا مثلاً كان يتخرج فيها ٣٠٠ قس كل عام ، واليوم أصبحت حفلات تخريج القسيسين نادرة جداً ، أما المرشحون لمنصب القساوسة فتدهور خلال العشرين عاماً الماضية فى الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً من ٥٠,٠٠٠ إلى ١٢,٠٠٠ مرشح !! وتشير الدلائل إلى تقهقر فى وحدة الرأى بين جماهير الكنيسة والبابا والكنيسة ، والحقيقة أن البابا

سجين وأسير للمعلومات التى تقدم له ، وكل من حول البابا يمدونه بالمعلومات التى تخدم وجهة نظرهم حتى يتطابق رأيه النهائى مع رأيهم !!

ويعترف (دى روزا) بأن البابا لا يستطيع الحديث فى أى موضوع دون الرجوع إلى من سبقوه ، فهو وإن استشهد مرة بالإنجيل يستشهد عشرات المرات بكلمات البابوات السابقين ، ولا يجرؤ على مناقضة رأى أى بابا منذ سبعة أو عشرة قرون ، والبابا متوحد بتاريخ الكنيسة المليء بالبطولات والجرائم ، وهو أسير حتى لتلك الجرائم ، فهو يعلم بمسئولية الكنيسة عن مطاردة اليهود ، وتهم السحر والشعوذة التى اتهم بها كثير من الأبرياء ، وإعادة أساليب التعذيب فى أوربا كوسيلة من وسائل استخراج المعلومات من المتهمين . وبرغم هذا فإن الكنيسة غيرت آراءها بشأن قضايا حيوية مثل : الجنس والمعاملات المالية والخلاص ، ومن أبرز الأمثلة اعتبار الكنيسة أن إقراض المال بفوائد هو ربا بلا جدال بغضٍّ النظر عن المقرض والمقترض والظروف المحيطة بهما ، وبرغم أن الكنيسة لن تغير وجهة النظر تلك الرسمية أبداً فهى تمتلك اليوم بنكاً خاصاً أنشأه البابا بيوس الثانى عشر عام ١٩٤٢م ، هذا البنك تعرض فى تاريخه القصير لكثير من الفضائح المالية .

والمثل الصارخ الآخر هو مسألة الخلاص ، فالكنيسة لم تكن تعترف بالخلاص لأى شخص غير معمد مثل اليهود والوثنيين وحتى أطفال المسيحيين الذين يتوفون قبل التعميد كانوا يعتبرون لا خلاص لهم ، واليوم ما زالت تعاليم الكنيسة تقول إنه لا خلاص إلا فى الكنيسة وبها ، ولكن مع التوسع فى معانى الخلاص حتى شملت كل ذوى النوايا الحسنة حتى الوثنيين منهم ، فإن الكنيسة لا تعترف بهذا التغيير الجذرى لأن ذلك معناه التنصل من تاريخها ، وهو ما لا تستطيعه ، فهى مؤسسة مرتبطة بالتاريخ فى المقام الأول ، وكذلك لا تعترف الكنيسة صراحة بالتغيير حتى لو كان للأفضل ، ولذلك فهى اليوم فى مأزق دائم ، إذ وصفت نفسها بأنها لا تخطئ أبداً !!

ويثير (دى روزا) سؤالاً هاماً : ماذا يقول المسيح أو بطرس لو عادا اليوم وشاهدا كيف يعيش خلفاؤهما ؟

فالمسيح مثلاً وُلد فى اسطبل وكان فراشه من القش ، أما اليوم فالبابا يسكن

قصراً مكوناً من أحد عشر ألف غرفة ، بخلاف المقر الصيفى المطل على بحيرة البانو والتى لم يكتف بها البابا (يوحنا بولس) فبنى لنفسه حمام سباحة أقل ما يقال عنه : إنه فخم جداً ، وعاش المسيح زاهداً وكانت تعاليمه دائماً : « بعْ كل ما تملك وتصدق بثمنه على الفقراء ثم اتبعنى » ، وكان يحدث الأغنياء قائلاً : « اجمعوا كنوز السماء التى لا يفسدها صدأ ولا عتة » ، والبابا يعيش وسط كنوز بعضها ذو أصل وثنى ، وأى اقتراح بأن يتم بيع تلك الكنوز يقابل بالسخرية وبأنه ليس فى الإمكان . والمسيح عاش حياة بسيطة ، أما البابا فهو يرفل فى الحرير والذهب بمعنى الكلمة !! وفى القرن الرابع عشر علق (بتراركا الكبير) قائلاً : « يا للفارق بين حياة المسيح والحواريين وخلفائهم !! يُخيَّل إلىَّ أننى أرى ملوكاً من فارس !! آه يا أيها الحواريون والسلف الصالح من البابوات ، ألهذه النتيجة آل كفاحكم ودعوتكم » !!

وكان اللقب الوحيد الذى لُقِّب به المسيح طوال حياته من باب السخرية من بيلاتوس هو (ملك اليهود) ، أما اليوم فالبابا يحمل عدة ألقاب لامعة منها : رئيس دولة الفاتيكان ، وألقاب أخرى كانت تطلق على رؤساء الوثنية فى روما القديمة ، أما مستشارو البابا فملابسهم لا تزال أقرب إلى ملابس الملوك منها إلى ملابس الزاهدين . والشئ بالشئ يذكر ، فإذا كان الإنسان يرفل فى الحرير ويسكن القصور ويعتلى العروش فليس من السهل تقبله على أنه خادم خدام الرب أو الرجل الفقير من طبرية القادم للفقراء والمساكين . وبطرس الذى عاش ومات فقيراً سوف تصيبه الدهشة عندما يرى خليفته يحمل لقب (المتصرف فى أملاك الكنيسة) وأن يكون للفاتيكان بنكه الخاص الذى لا يتعامل إلا مع فئة مختارة من العملاء ، ويصر أن يكون ضمن أوراقهم إثبات التعميد ـ الذى لم يحمله بطرس نفسه أبداً ـ وكذلك ستدهش عزوبة الفئة العليا من رجال الدين المسيح الذى اختار بطرس تلميذه المختار برغم علمه أنه متزوج ، وسيصدم بطرس أكثر وأكثر من عدد الصور المعلقة فى الكنيسة ، فقد كان هو ومعلمه ضد الصور الدينية ، وكانت كنيسة أورشليم عبارة عن غرفة خاوية مظلمة ، واليوم نرى فى كنيسة القديس بطرس صور المسيح المصلوب فى كل مكان ، وبهو الكنيسة مملوءاً بتماثيل البابوات

فى أوضاع بين الرقود والسجود ، فالبابا بولس الثالث مثلاً محاط فى صورته بالحسناوات وبعضهن كن عرايا ، حتى أمر البابا بيوس الثانى بتغطيتهن فقد اكتشف نيافته أن هذه الموديل كانت أخت البابا بولس الثالث وعشيقة البابا ألكسندر السادس !!

* ويبدو أن (دى روزا) فى كشفه للحقائق الخفية برغم تدينه ، يرى فى نفسه شبهاً بـ (دانتى) فهو برغم تدينه لم يتورع عن إلقاء البابا تلو الآخر فى جهنم فى رائعته (الكوميديا الإلهية) ، وكان تبريره لذلك أن اليهود أدانوا بل لعنوا ربهم ، أفلا يمكن للكاثوليك أن يلقوا بأساقفتهم حيث يستحقون ؟!

ويرى (دى روزا) أن تزييف الحقائق بدأ مع إطلاق لقب شهيد على الثلاثين بابا الأوائل باستثناء واحد فقط ، خاصة أنه لا توجد شواهد تاريخية أو حتى غير. تاريخية على أنهم استشهدوا فى سبيل المسيح ، فالحقيقة أن بعضهم أبناء لأساقفة وكرادلة ، وبعضهم كان ابناً غير شرعى ، وكثير منهم قتلة وبعضهم لادينيون ، ومنهم الوثنيون والساديون ، وبعضهم اشترى منصب البابا ثم قام ببيع بعض متعلقات الكنيسة ليسترد ماله !! واحد منهم ـ على الأقل ـ كان يعبد الشيطان ، وكان لبعضهم أبناء غير شرعيين ، ومنهم من قام بالخيانة الزوجية على أوسع نطاق ، وبعضهم تم دس السم له ، وبعضهم تم خنقه ، وأسوأهم من قام بعبادة وثن من الجرانيت ، ولكن بجانب هؤلاء كان يوجد بعض البابوات الطيبين الناكرين لذواتهم !!

ويرى (دى روزا) أنه آن الأوان أن يتم التعامل مع تاريخ الكنيسة بشكل مختلف عما هو عليه الآن ، فإن الصمت المتعمد عن جرائم البابوات لهو فضيحة ونوع من الرياء ، وأسوأ من ذلك أنه يعرقل إيجاد حل لأزمة الكنيسة الحالية ... وإنه لمن السخرية أن مصدر هذه السلطة عاش وراح دون أن ينال أى حظ منها ، (ويعنى به الكاتب السيد المسيح عليه السلام) !!

* وكان طبيعياً للانحراف عن منهج السيد المسيح أن تزدهر فضائح الكنيسة ومساوئ البابوات .. ويرى (دى روزا) أنه إذا كان (آل بورجيا) قد فازوا

بنصيب الأسد فى سوء السمعة فإن ذلك لا يعنى بأى حال أنهم كانوا الأسوأ حالاً .. فقد كان همُّ البابوات فى القرن العاشر الميلادى ولمدة قرن ونصف من الزمان جمع المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة ، وإقامة علاقات آثمة مع زوجات الغير أو بناتهم ، فانتشرت جرائم الانتقام من البابوات مثلما قَتَلَ زوجٌ غيور (البابا بنديكت الخامس) .. ولا ننسى البابوات المصابين بالجنون التام مثل (ستيفان السادس) الذى نبش قبر سلفه (فورموسيس) وقام بمحاكمته بعد أن ألبسه حلة كاملة ثم أمر بإغراقه فى النهر بعد إدانته . **ولا ينسى (دى روزا) التعرض لعشيقة البابا (سرجيوس) والمسماة (ماروزيا) التى ولدت للبابا ولداً غير شرعى كرست حياتها لتوصيله إلى كرسى البابوية ، علماً بأن العلاقة الجسدية بينهما بدأت والفتاة عمرها خمسة عشر عاماً فقط** !! وقد حدث ما أرادت (ماروزيا) .. ولا غرو فوالدتها من قبل أوصلت أحد أساقفة بولونيا إلى أن يكون البابا يوحنا العاشر الذى تخلصت منه (ماروزيا) خنقاً . وبالفعل غدا الابن السِّفاح نتاج العلاقة الآثمة بين (ماروزيا) و (البابا سرجيوس) هو (البابا يوحنا الحادى عشر) ، والذى سجنه أخوه غير الشقيق هو وأمه (ماروزيا) التى مكثت فى السجن خمسين عاماً حتى أخرجها منه حفيدها (أوكتافيان) الذى تولى عرش الفاتيكان تحت مسمى (يوحنا الثانى عشر) عام ٩٥٥م ، والذى غدا يضرب به المثل الصارخ فى فجوره الذى بلغ حد الابتداع لجرائم وأنواع جديدة من الآثام ، فعاشر أمه معاشرة الأزواج ، وأهدى ممتلكات الكنيسة للغانيات صديقاته ، أما مطارداته للنساء فقد بلغ الأمر بالنساء إلى حد الخوف من الذهاب إلى الكنيسة لأنه مخاطرة عظيمة منهنَّ . ولما هاج الرأى العام ضده سلب ما تبقى من أموال الكنيسة وهرب إلى (تيڤولى) ، ولكن ملك المقاطعة أمره بالرحيل ، واجتمع مجلس كنسى واجهه بجرائمه فأعلن للقساوسة المجتمعين أنه لا يأبه بهم وأنه سيخلع رتبهم عنهم إذا أصدروا أى بيان ضده ، وأرسلت له عائلته جيشاً رافقه فى عودته لروما حيث استعاد منصب البابا وانتقم من جميع من وقف ضده . ثم كانت نهايته ـ كما هو متوقع على حد تعبير دى روزا ـ على يد زوج غيور ضبطه فى وضع مشين مع زوجته فقتله فى لحظتها !! عن أربعة وعشرين عاماً !!

واستمرت سلسلة الفضائح ، فالبابا يوحنا الثالث عشر اشتهر بعنفه وقسوته ؛ فكان عقابه لمعارضيه أن يقتلع أعينهم ، ثم تلاه (بنديكت) الذى قُتل أيضاً بيد زوج غيور أثناء خيانته له مع زوجتـه !! وفى عام ١٠٣٢م كانت مأساة البابا الطفل فقد تم شراء منصب البابا لبنديكت التاسع وكان عمره وقتها « أحد عشر عاماً » .. وعاش الطفل الذى غدا صبياً غاصاً فى الخطيئة منذ بداية تولّيه لمنصبه وحتى نهاية عمره ؛ حتى كتب كاتب عنه : « شيطان من جهنم فى زىّ قسيس » ..

أما البابا (جريجورى السابع) ، فقد كان عهده تأكيداً على قول الإغريق القديم « إن روما هى عاصمة التزوير » .. وقد وصل الأمر بجريجورى إلى حد تزوير الوثائق القديمة سواء أكانت مزورة أصلاً أم لا .. ووصل به حد التزوير إلى أن أصبحت بعض الوثائق تعنى عكس ما كانت تهدف إليه أصلاً من كثرة العبث بها ..

* ونترك (دى روزا) يعبر بنفس الحرفية التى كتب بها فيقول : « ... وهكذا قاد جريجورى أهدأ ثورة عرفها التاريخ فى التزوير ، فقد قامت كلها على الورق ، وما كانت لتتم فى عصر التنوير أو العلم ؛ إنما ساعد عليها أنه كان عصر الأمية التى وصلت إلى أمية بعض الملوك والقياصرة والحكام ، وهناك إحصائية تقول أنه من بين ٣٢٤ قولاً مأثوراً لبابوات الأربعة القرون الأولى الميلادية هناك (١١) فقط هى الصحيحـة والحقيقية !! ومـاذا كان موقف هـؤلاء المزورين أنفسهم ؟ لم يتحـرك ضـمـير هؤلاء المزورين ، أو يثور لديهم أدنى شك فى أنهم يقـومـون بجريمة من أى نوع ، وإنما كان ما يقومون به من وجهة نظرهم هو خدمة العقيدة عن طريق تدخل بسيط فى حقائق التاريخ . وماذا يضير التاريخ لو استخدم لصلاح الناس والعقيـدة التى تمثل أهم ما فى حياة البشر ؟ وهكذا تم تقنين التلاعب بالتاريخ واستخدم كأداة للوصول إلى الأهداف وليس كهدف فى حدّ ذاته . وحتى وصول جريجورى لمنصبه كان موضوع عزوبة رجال الدين فى طى النسيان ؛ فأعاده هـو للأذهان بكل قوة بأن أمر القساوسة إمـا بأن يفترقوا عـن زوجاتهم وأولادهم أو يتركوا مناصبهم ، وأدى ذلك إلى نتيجتين ، أولاهما : أن نسبة انتحار الزوجات السابقات للقساوسة زادت بصورة كبيرة ، حيث تم هدم منازلهن وأسرهن بين يوم وليلة ، وحيث فضل أزواجهم مناصبهم على أسرهم . وثانيهما : زيادة العلاقات

الآثمة حيث إن رجال الدين اتجهوا من العلاقات الزوجية الشرعية إلى غيرها أيضاً للاحتفاظ بمناصبهم » .. كما كانت الكارثة الكبرى فى عهد جريجورى السابع بصدامه مع القيصر ، حتى أرجع المؤرخون أسباب خمس وسبعين معركة حربية إلى مواجهة البابا جريجورى السابع مع هينريش القيصر .. ثم تغيير لقب أساقفة روما إلى « خلفاء المسيح » لتثبيت سلطة البابوية بحيث تكون غير قابلة للمناقشة أو النقد .. ولعل هذا اتضح عند تنصيب البابا (أينوسنس الثالث) ؛ إذ بدلاً من أن يلبس عباءة البابوية البيضاء اللون ارتدى عباءة الملك المرصعة بالجواهر ، وكان نص التنصيب الذى تلاه أحد الأرشدياكونات : « تسلم هذا التاج وأعلن أنك أبو الملوك والقياصرة وحاكم العالم وخليفة المسيح فى الأرض » .. ولقد أخطأ أينوسنس فهم معانى الكنيسة والبابوية وحتى الفرق بين الخير والشر وبان ذلك فى إحدى مقولاته الشهيرة التى صرح فيها بقوله : « كل رجال الدين ينبغى لهم أن يطيعوا البابا حتى لو أمرهم بالشر ، إذ لا يوجد من يستطيع الحكم على البابا وتقييمه » !!

* ثم اعتلى كرسى البابوية (بنديكت جيتانى) سنة ١٢٩٤ م ، وتسمى باسم البابا (بونيفاس الثامن) يعنى صاحب الوجه الحسن ، والذى قال عنه بصراحة الشاعر (جاكوبون داتودى) : « لم يناسبه هذا الاسم أبداً فوجهه لم يكن حسناً ولا أخلاقه » ، واشتهر هذا الرجل بأنه ممثل قدير فهو يقرأ الصلاة بالدموع والخشوع وفور انتهائها يسلق الناس بسياط لسانه الحاد ؛ حتى قال عنه (بوويك) : « لم يحبه أحد » ، وأثر أن سلفه (كولستين الخامس) قال له يوماً : « لقد قفزت على هذا الكرسى كالثعلب وستحكم كالأسد وستموت كالكلب » !! فمعروف أن هذا الرجل تولى منصبه بالخداع وفعلاً مات بعدما أُخْرِجَ من حبسه فاقداً عقله فكان يخبط رأسه فى الحائط ويعض يديه كالكلب ، وصدقت فيه نبوءة كولستين الذى كان ضحية من ضحاياه .. !!

وتولى عرش البابوية بابا فرنسى حسب أمنية وطموح ملك فرنسا فيليب ، وهو البابا كليمنس الخامس الذى كان عجينة فى يد الملك إلى حدّ أن الملك الفرنسى نقل كرسى البابوية إلى مدينة (أفينيون الصغيرة) بعيداً عن المقر التاريخى للكنيسة الكاثوليكية وبعيداً عن مقبرتى بطرس وبولس المقدستين ، وكان فى ذلك

كل الإهانة للكنيسة أن تنفصل عن مقرها التاريخي الديني لأجل ملك دنيوى !! وتلا الرجل البابا (كليمنس السادس) سنة ١٣٤٢ م ؛ وكان غريباً في جمعه النقيضين ، فهو في الوقت الذى لا يحمل فيه ضغينة لأحد لم يكن يحمل أي احترام لأية قيم أخلاقية ، وكان محباً للحياة والبذخ والفكاهة حتى عندما وصله خطاب من صديق يعرف أخلاقياته وعنونه بقوله : « من إبليس إلى أخيه كليمنس » لم يجد غضاضة في أن يقرأ هذه العبارة لأصدقائه وينفجر معهم في الضحك !! ومع أن من حسنات الرجل شدة كرمه إلاّ أن أصدق ما قيل عن عهده هو كلمة (بترارك الشاعر) : « إن بلاط البابا هو مستنقع الإنسانية والأخلاق ، ومكان يجمع كل قاذورات الدنيا . العبادة هناك للمال فقط ، ولا مكان للأخلاق ، وحتى الهواء هناك مليء بالكذب » !!

وقابل هذا الكرم بذخ غير عادى ، فقد بنى كليمنس السادس قصره على نهر الرون ، بسبعة أبراج وعدد كبير من القباب البيضاء ، واستورد أثاثه ومفروشاته حتى الحوائط ملأها بالسجاد المستورد من إسبانيا وبلجيكا والحرير المذهب من دمشق وتوسكانا والأصواف من كاركاسون ، وكان لا يأكل إلا بأطقم مائدة من الذهب والفضة ولم يكن يتخلى عن ذهبه وفضته ولو في سبيل نصرة المسيحية ، وكان سور اصطبل فرسه من الذهب الخالص !! وقد مات هذا الرجل مصعوقاً عام ١٣٥٢م ، وظل خمسون أسقفاً يقرءون الصلاة على روحه لمدة تسعة أيام ترحماً عليه ، وقال الرحماء من الناس : « هذا لا يكفى » ، أما غير الرحماء فقالوا : « لن يكفيه أي عدد من الصلوات أبداً » .

ثم كان الخلاف على تولى العرش بين (بريجنانو) البابا الحقيقي الذى سمى نفسه (أوربان السادس) وبين القس روبرت الذى اختاره الفرنسيون من جنيف وسمى نفسه (كليمنس السابع) .. وانحاز ملك انجلترا للبابا أوربان ، وانحاز ملك فرنسا للبابا كليمنس ، الذى انتقل إلى (أفينيون) وكان سيِّء السمعة ذا شخصية تمزج التدين بشرب الخمر والانتقام ، ويكفى أن ملفه مليء بالمصائب وعلى سبيل المثال ، وفى عام ١٣٣٧م ، عندما كان قساً في مدينة سيسينا على البحر الأدرياتيكى اشتكى أهل البلدة من تعرض نسائهم وبناتهم للاغتصاب على

أيدى رجال القس ، وأن المسجونين لا يخرجون من سجونهم إلا إلى القبور ؛ فاقترح البابا عقد مفاوضات بين أهالى البلدة ورجاله وأمرهم لإتمام المفاوضات بإبداء النية الحسنة بالتخلى عن أسلحتهم ، وعندما فعلوا ذلك أمر جيشه بقتل سكان المدينة البالغ عددهم ثمانية آلاف شخص بمن فى ذلك الأطفال .

وظل الحال هكذا لا يعترف هذا البابا بذاك .. **أما البابا (بونيفاس التاسع) فقد اشتهر بأنه قاتل ومجرم وفوق ذلك لا يوقع مستنداً إلا ويده ممدودة لأخذ المقابل !!** وأخيراً عقد الكرادلة اجتماعاً فى مدينة بيزا سنة ١٠٤٩ م وأعلن أن كلا من البابا (جريجورى الثانى عشر) والبابا (بنديكت الثالث عشر) غير شرعيين ، وتم اختيار الكاردينال (فيلارجى) خليفة لهما ، ولُقِّب بـ (ألكسندر الخامس) ، وكان على حبه للطعام والنساء محل فرح أهل بيزا وحفاوتهم إذ على يديه انتهت فترة تخبط امتدت أكثر من ٣٠ عاماً .. ولكن المفاجأة أن الأمر تفاقم وزاد التخبط ولم تُحَلَّ المشكلة ؛ فجريجورى وبنديكت لم يوافقا ولم يتنازلا ، وفوجئ الشعب المسيحى بوجود ثلاثة بابوات كل له دوره فى مسرحية هزلية كالآتى :

١ ـ البابا جريجورى الثانى عشر ، اختير لاقترابه من التسعين مما يعنى بعده عن الفساد ، بينما كانت أول أفعاله أن رهن تاج البابوية ليسدد ديون المقامرة التى يعشقها ، ثم باع كل ما وقع تحت يده ، حتى باع مدينة روما نفسها لملك نابولى .

٢ ـ بيود رودى لونا خليفة بابا افينيون ، ولم يعتد به الكثيرون ، فعاد إلى وطنه إسبانيا ، وظل حتى آخر حياته يعتبر نفسه البابا الشرعى للكنيسة !!

٣ ـ يوحنا الثالث والعشرون خليفة ألكسندر الخامس ، ولم يؤخذ عليه سوى أنه لا يؤمن بتعاليم المسيحية ، علاوة على أنه نصاب ومزور وخاطف زوجات الغير .

* ويواصل القس (دى روزا) فتح هذا الملف الأسود ؛ فيقول : « أما مظاهر الفساد منذ القرن الحادى عشر وما تلاه فأعظم مظاهرها أن بابوات تلك الفترة وصلوا لمناصبهم ليس بسبب أفضالهم الدينية ولكن عن طريق الرشوة والمحسوبية ،

وهم بدورهم ما أن يصلوا للمنصب حتى يبدأوا فى تعيين أقربائهم عملاً بالمثل الإيطالى « لا بد من عمل شىء للعائلة » ، كما أن بعض البابوات الذين اشتروا منصبهم بالمال كان همهم الأكبر خلال فترة اعتلائهم عرش البابوية هو استرداد ما دفعوه لقاء هذا المنصب ، وبطرق غير مشروعة طبعاً . كذلك كانت المناصب الدينية موقوفة لمن يدفع أكثر ، مما نتج عنه تولى المناصب أشخاص غير أكفاء لها حتى من ناحية العلم الدينى ، فقد بلغت بهم الجرأة والاستهتار أن كانوا يتمتمون بأى كلام فارغ أمام الناس موهمين إياهم أنهم يصلون بهم ، ووصل الأمر بين عامة الشعب إلى حدٍّ أنه كان من أقذع ما يوجه لشخصٍ ما من سباب هو أن يقال له : « يا قس » !! ووصل ضجر الشعب إلى ذروته حتى أن البابا مارتين الخامس اضطر أن يعترف أن هناك خللاً كبيراً بالنظام الكنسى والبابوى وسلك رجال الكنيسة ، ومن ثم عقد مجلس بازل سنة ١٤٣٢م ؛ حيث قرر الكرادلة المجتمعون أن على رجال الكنيسة التوقف عن قبول الرشاوى ومصاحبة الخليلات ، وبيع وشراء المناصب وصكوك الغفران ، ومن لا يرتدع منهم خلال شهرين يجبر على التخلى عن منصبه حتى ولو كان بابا روما شخصياً وردّ على هذا المجلس البابا يوجين الرابع بمجلس مضاد فى فلورنسا وصف فيه أعضاء مجلس بازل بأنهم أتباع الشيطان وأنهم يجب أن يعودوا إلى مقر إبليس فهو مكانهم الصحيح ، وسمى المجلس البابا المقابل بـ (مندوب الشيطان) !!

وفى القرن الخامس عشر جاء البابا (سيكستوس الرابع) الذى انتخب سنة ١٤٧١ م ؛ وكان أول بابا فى تاريخ الفاتيكان يعطى تراخيص رسمية بإنشاء بيوت دعارة تحت سمع وبصر الفاتيكان ليجنى منها جباية سنوية ، كما أنه كان أول من باع صكوك الغفران للأموات وليس للأحياء فقط ، مما جعل أهل الأموات يتسابقون لدفع أى ثمن ليضمنوا الغفران لأحبائهم ..

* ثم جاء (أينوسنس الثامن) وكانت أخطاؤه هى نفس أخطاء من سبقوه : مطاردة اليهود ، والنساء ، والمحسوبية التى أوصلت ابنه إلى سلك الكنيسة الأعلى ، وقيل فى أيامه القول الشهير : « لا يمكن أن تسوء الأحوال أكثر من ذلك » ..!! وبعده اشترى (بورجيا) منصب البابا ، وتاريخه مليء بجرائم القتل حتى منذ

صباه ولأتفه الأسباب ، ثم انحطاط جنسي مع خليلاته وبناته وزوجات غيره ، وكانت أهم حسنات البابا بورجيا المسمى (ألكسندر السادس) هى اعترافه بكل أبنائه العشرة غير الشرعيين ، كما أقام مراسم دفن لخليلته (فانوسا) توازى دفن كاردينال بناء على توصيته !! كما أنه من حبه لـ (جوليا فارنيزى) إحدى خليلاته أمر برسم صورة للعذراء مريم لها وجه جوليا تخليداً لها !! ومات بورجيا بخمر مسموم شربه خطأ بينما كان معداً لأحد أعدائه !!

* بعد (بورجيا) تولى كرسى البابوية (يوليوس الثانى) الذى جعل قصر الفاتيكان بالشكل المعروف اليوم : « متحفاً للفنون » .. وكان هذا الرجل محباً للحرب وضداً لمبادىء البابوية ، ومن حسناته أنه لم يكن يقبل أن تقبل قدماه كما فعل البابوات قبله ، ولكن ليس من باب التقوى وإنما لظهور آثار مرض السيلان عليه .. وقد أصدر هذا البابا كتاباً نزع فيه حكم فرنسا من مليكها لعدم تعاونه معه فى غزواته ، وأعطاه لملك انجلترا بشرط أن يثبت أنه كاثوليكى متدين وذلك بتأييده غزوات البابا ، ولكن المنية وافته قبل إعلانه هذا الكتاب ..

* وجاء ابن العز البابا (ليو العاشر) سليل أسرة إيطالية ثرية ثراء فاحشاً ، وعن طريق هذه الأسرة وثرائها نال المنصب .. ولم يستطع تغيير نمط حياته .. ولا هوايته المحبوبة « الصيد » وهو للعلم محرّم على رجال الكنيسة ، **وكان يمتلك ضيعة خاصة وقصراً منيفاً وعدة حيوانات متوحشة منها فيل أبيض ، وحاشيته الشخصية تضم ٦٨٣ شخصاً ، فهو ملك وليس بابا ، وللإبقاء على هذا المستوى المعيشى اقترض البابا ليو من البنوك بفائدة تصل إلى ٤٠ ٪ ؛ فقد كان ربع رخص بيوت الدعارة وغيرها لا يكفى إنفاقه الضخم ، واخترع مناصب تصل إلى ٢١٥٠ منصباً يبيعها بالمزاد** ، وبالطبع كان هم شاغلى هذه المناصب هو إعادة النقود التى أنفقوها على شراء المنصب إن لم يكن أكثر ، وذلك يتم طبعاً بالنهب والنصب والرشوة ، مما أدى إلى سلسلة لا تنتهى من الفساد !!

* ويقول (دى روزا) بصراحة وشجاعة : « ... كان فى روما أكبر عدد من الأبناء غير الشرعيين ، وبلغ خطر رجال الكنيسة أن النساء كنّ يأخذن خناجر معهن حين يذهبن للاعتراف . وكتب (آيراسموس) فى القرن السادس عشر

حديثاً خيالياً بين البابا يوليوس الذى يحاول عبور بوابة الجنة من خلال القديس بطرس الذى لا يتعرف عليه كخليفته بسبب خوذة الحرب التى يرتديها ، فيبدلها يوليوس بتاج البابوية الذى لا يتعرف عليه بطرس أيضاً ، وأخيراً يظهر له يوليوس مفاتيحه دلالة أن له مكاناً بالجنة ، وبعد أن يفحصها بطرس يهز رأسه أسفاً قائلاً إنها لا تفتح له أياً من أبواب الجنة » !!

* ثم جاء (بولس الرابع) الذى سُمِّىَ بغضب الرب لحدَّة طبعه وعنف مظهره ، وكان دكتاتوراً ، قطعت الملكة إليزابيث العلاقات الدبلوماسية معه بعدما اتهمها بأنها ابنة غير شرعية والعرش محرم على الأبناء غير الشرعيين ، فضلاً عن عداوته للمرأة ، وأعلن أنه مستعد للغفران للملكة والنظر فى أمر توليها العرش إنْ هى استسمحته ، فما كان منها إلا قطع العلاقات مع الفاتيكان ، هنا تأكد بعد إنجلترا عن الكنيسة الكاثوليكية وانتماؤها المطلق للبروتستانتية .

وعندما مات بولس الرابع سنة ١٥٥٩م نزعت الجماهير تمثاله من مجلس الشيوخ الرومانى ودمره اليهود الذين كان يتعقبهم وألقوا ببقية التمثال فى نهر التيبر ، ودفن البابا ليلاً وسراً وتحت حراسة مشددة !!

** وجاء البابا (بيوس الخامس) سنة ١٥٦٦م ، وكان راهباً زاهداً ، واستمر فى حياته المتقشفة حتى بعد توليه عرش البابوية ، وكان يأكل قليلاً ، بل وينذر طباخه بتهمة الردة عن الدين إذا هو لم يلتزم بأطعمة الصيام . ووضع الرجل نصب عينيه تحويل روما إلى دير كبير .. وكان قراره بطرد جميع العاهرات من روما برغم اعتراض القساوسة ، واعتبار الخيانة الزوجية جريمة تستحق الشنق ، مما أثار حفيظة الكرادلة داخل الكنيسة وتساءلوا بسخرية : « فى أى عصر يعيش هذا البابا ؟!! » ..

ثم منع (بيوس) مصارعة الثيران ونشر ذلك فى كتاب رسمى من البابا وُزع على جميع الأنحاء المسيحية إلا شبه جزيرة إيبيريا التى اعتذر حكامها بأنهم لا يودون إحراج الكنيسة .. ولكن خطأه الكبير هو تمويل محاولة انقلاب ضد ملكة إنجلترا ، ولما فشلت أعلن أن ملكة إنجلترا مغتصبة للعرش من رأس الكنيسة الذى هو الحاكم الشرعى الوحيد للبلاد ، فوقع الإنجليز الكاثوليك كلهم فى مأزق

بين ولائهم للكنيسة وولائهم للدولة ، خاصة أن الملكة لم تضطهدهم واكتفت منهم بدفع جزية عدم اتباعهم للمذهب الإنجليكانى ، ولما وجد البابا أن الخسائر كبرت أعفى الإنجليز الكاثوليك من واجب إسقاط الملكة ، ولكنه كان يرسل لأخذ تعهداتهم بمساندة الغزاة الكاثوليك فى حالة غزو إنجلترا ضد الدولة البروتستانتية واعتبر الإنجليز الكاثوليك لفترة طويلة بمثابة إنجليز غير حقيقيين !!

وجاءت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ضد كل ما يحد من الحرية حتى لو كانت التعاليم الكنسية والدينية ، ثم قام نابليون بخلع البابا (بيوس السادس) من منصبه ونفيه إلى ڤالنسيا حتى وفاته عام ١٧٩٩ !! وتم تعيين البابا (بيوس السابع) الذى كانت أول ضربة له من نابليون أيضاً حين تجاهل وجوده تماماً أثناء احتفالات تتويجه فى كنيسة نوتردام ، حيث قام بوضع التاج لنفسه وللامبراطورة (أوچينى) .

وجاء البابا (بيوس التاسع) سنة ١٨٦٤م ، والذى اشتهر بديكتاتوريته ، ولأنه فى عهده أنزل علم الفاتيكان ذا اللونين الأبيض والأصفر ورفع مكانه علم إيطاليا الموحدة ، اعتبر نفسه سجين الفاتيكان ورفض التعامل مع الملك فيكتور عمانويل ، واعتبر نفسه الضحية التى لن تقبل التفاوض إلا بعد رجوع حقها إليها وهو الأراضى التى لا يملكها هو شخصياً وإنما ميراث بطرس للكنيسة ، المهدى إليه من يسوع المسيح شخصياً .. وكان ذلك جرأة ما بعدها جرأة فى رأى القس (دى روزا) ، لأن بطرس كان صياداً فقيراً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ، وميراثه الذى يدعيه البابا هو وسط إيطاليا كله !!

وفى عام ١٩٣٩م تولى البابا (بيوس الثانى عشر) وكان من حسناته عدم وقوفه إلى جوار النازى ، لكنه كان سلبياً أمام حملات الإبادة التى راح ضحيتها اليهود ، وأكدت بعض المصادر أن البابا مثلاً كان على علم مسبق بمذبحة تم فيها قتل ٣٥٥ يهودياً على يد أحد قواد القوات الألمانية نفسها ولكنه لم ينذر اليهود ، أو يحاول إيقاف هذه المجزرة ، ويتساءل الكاتب (هوخهوت) : « كيف يتسنى لأكبر مسئول عن الأخلاق فى أوربا المسيحية أن يشهد إبادة شعب بالكامل دون أن يتحرك ولو بلسانه فقط ؟!! » ..

وجاء البابا (يوحنا الثالث والعشرون) ، الذى شرع فى تحسين العلاقة

باليهود ، ومنع بالفعل استخدام صفة (الخونة) التى ارتبطت بذكر اليهود وخيانتهم للسيد المسيح ، ولكنه توفى قبل استمراره فى هذا النهج .

وتولى البابا (بولس السادس) الذى ذكَّر العالم مرة أخرى بجريمة اليهود فى حق المسيح والمسيحية .. ولكن البابا البولندى عاد عام ١٩٦٨م وقابل الحاخام الأكبر للجالية اليهودية بمعبدهم فى روما ، وشجب فى هذا اللقاء كراهية اليهود ، وفى نهاية اللقاء أُقيمت صلاة جماعية فى صمت ..كل يصلى لربه ويقيم شعائره فى نفس الوقت وذات المكان ، لينسوا الحقد وليتذكروا فقط إنسانيتهم المشتركة !!

والبابا (بولس) الآن هو الذى يقود الحملة ضد تنظيم الأسرة وضد حبوب منع الحمل ، وضد عمليات الإجهاض ، برغم أن نسبة الإجهاض فى بولندا مسقط رأس البابا أعلى منها فى أمريكا .. فالبابا يؤمن بأن الجنين الذى لم يولد هو إنسان وأنه إنسان منذ لحظة إخصابه ، وعلى هذا فله نفس الحقوق المكفولة لأى إنسان آخر ، والتخلص من ذلك الجنين هو جريمة قتل بالتأكيد فى نظر البابا .

* وفى ختام كتابه تعرض (دى روزا) لأزمة الفاتيكان مع قضية عزوبة رجال الدين ، وأبان بطلان استدلال علماء الدين على أن عزوبة رجال الدين مصدرها الإنجيل والكنيسة القديمة ، إذ مما لا شك فيه أن المسيح اختار بطرس المتزوج أقرب حوارى له . وجدير بالذكر أنه يُطلَق على بطرس (البابا الأول)، ومما لا شك فيه أنه كان هناك حواريون غير متزوجين ، ولو أراد السيد المسيح وضع قاعدة عزوبة رجال الدين لاختار أحدهم بدلاً من بطرس المتزوج ، كما أن بولس نفسه كان متزوجاً .

ويكشف (دى روزا) النقاب عن حقيقة واقعية تاريخية متجاهلة وهى أن أساس عزوبة رجال الدين بدأ منذ أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادى على أساس إبقاء الوضع على ما هو عليه ، بمعنى أنه إذا دخل شخص ما سلك رجال الدين وهو متزوج فليحتفظ بزوجته ، وإذا دخله أعزب فيبقى كما هو دون زواج !! ويبدو أن احتقار الجنس والزواج نتج عن فكرة أن ميلاد المسيح لم يأت نتيجة زواج وإنما جاء نتيجة الاحتشام والحياء .. ولكن هل كان رجال الدين محتشمين وذوى حياء ؟!!

والغريب أن فكرة وجوب عزوبة رجال الدين بدأت محدودة جداً فى مقاطعة

(الفيرا) الإسبانية ، ثم تعدتها إلى بعض المقاطعات ، ثم أضحت جزءاً من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية عامة . وأراد أسقف روما أن يحرم رجال الدين المتزوجين قبل الدخول فى سلك الكنيسة من الاتصال بزوجاتهم أو الإبقاء عليهن ، ولكن المجلس الكنسى لعام (٣٢٥م) لم يأخذ بهذا الرأى ، وقرر أن يبقى الوضع على ما هو عليه .. ولكن اعتبرت بركات رجال الدين المتزوجين أدنى من بركات غير المتزوجين ، مما أدى إلى هجران البعض لزوجاتهم مثل (داماسوس) الذى انتخب لمنصب البابا عام ٣٦٦م ، و (هادريان الثانى) الذى انتخب بابا عام (٨٦٧م) .

ويعلق القس (دى روزا) بكل الصراحة قائلاً : « وأصبح رجال الدين غير المتزوجين رسمياً مثلاً يحتذى بين رجال الدين ، وواقعياً كانوا يعيشون فى الأرض فساداً ويتلاعبون بأعراض الناس دون أن يمسهم أى سوء ، لأن الكنيسة حددت عدم الزواج كمعيار للأخلاق ، وليس الامتناع عن الجنس ، وتم تطبيق ذلك حرفياً ، ومما يدل على تخبط الكنيسة أن البابوات كانوا يورثون مناصبهم لأبنائهم غير الشرعيين . أما الحل الأعجب الذى قدمته الكنيسة فى القرن الخامس الميلادى فهو عدم تحريم زواج رجال الدين ولكن تحريم معاشرتهم لزوجاتهم ، مما جعل الزواج شكلياً ، كما أنه كان يمثل ظلماً صارخاً لزوجات رجال الدين ، وأدى هذا الكم من التضارب إلى أن أصبحت كلمة رجال الدين خلال القرن الخامس الميلادى مرادفاً لكل ما هو شاذ وعجيب » !!

والأعجب من هذا أن المجلس الكنسى المنعقد فى مدينة تور سنة ٥٦٧م قرر معاقبة كل رجل دين يثبت أنه على اتصال جنسى بزوجته بالخروج من الدين لمدة عام ، والخروج من سلك رجال الدين والانضمام للعامة !! ولكن الأغرب من هذا هو الحقيقة التى كانت تحدث ، فزوجات رجال الدين هن اللاتى كن يعاقبن بالجلد مائة جلدة إذا ثبت اتصالهن الجنسى بأزواجهن ، أما أزواجهن رجال الدين فمناصبهم تحصنهم من أى عقوبة ولو كانت ما قرره المجمع الكنسى نفسه !!

واستمر تمسك الكنيسة برأيها القائل إن زواج رجل الدين ذنب أكبر من ممارسته الزنا ، وربما هذا يفسر لنا بعض القرارات الغريبة للبابا (ألكسندر الثانى) فهو مثلاً لم ينزل أى عقاب ولو مجرد قرار ضعيف على ورق بقسيس مارس الزنا

مع زوجة أبيه !! ويبدو أنه كان هدف الكنيسة الأول من القضاء على نظام زواج رجال الدين هو عدم توريث أبناء القساوسة أملاك الكنيسة وهو ما لم تستطع العشيقات المطالبة به ، وعلى ذلك كان وجودهن لا غبار عليه ، لكن ذلك لم يتم في الواقع ، إذ كان يتم توريث معظم أملاك الكنيسة للأبناء والأقارب ..

وكعادة الكنيسة : إصلاح الأخطاء بأخطاء أشد ، وكمحاولة للحد من زواج رجال الدين وصل الأمر بالكنيسة سنة ١٠٩٥م تحت قيادة البابا (أوربان الثانى) أن تم بيع زوجات رجال الدين فى سوق النخاسة للتخلص منهن ، ، وساءت سمعة الأديرة حتى صارت مرادفة لبيوت الدعارة ، وكثير من الراهبات كن بمثابة عاهرات ، وكلما علا شأن رجل الدين زاد مجونه وفجوره » !!

* * *

* إن شهادتى (د. ليدل) و القس (دى روزا) تندرج فى اتباع قول الله عز وجل فى سورة البقرة : ﴿ **ولا تَلْبِسُوا الحقَّ بالباطلِ وتَكْتُمُوا الحقَّ وأنتُم تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة : ٤٢)

وواضح أن الاثنين صُدما فى واقع عايشاه ..

وعلى حد رأى الدكتور الكبير (جاب الله على جاب الله) رئيس قسم الآثار المصرية بجامعة القاهرة وعميد كلية الآثار لأحد أصدقائه الكبار من قساوسة الغرب إن الكنيسة بحاجة لإصلاحات جذرية قد تصل إلى حد الثورة ..

* وحتى لا أحيد عن خطتى فى هذا الفصل من الكتاب عن (خفايا الفاتيكان) فإن الفاتيكان فيه من الوثائق والمخطوطات ما لا يتخيله عقل عاقل .. وأغلب هذه الكنوز الخاصة بالدين وبوثائق الغابرين وبردياتهم والأحداث التاريخية هو فى مكتبات سرية ، فى نفس الآن الذى تزخر فيه المكتبة المعلنة للفاتيكان بكنوز لو خرجت وحققت لعرف البشر حقائق ومعارف لا يتصورونها ، أولها : سيجعل المسيحيين أنفسهم يهدمون الفاتيكان على رأس البابا القابع فيه !!

**** وقد كتب الأسقف (ألفونسو ماى ستكْلَرْ) تقريراً موجزاً لليونسكو عن كنوز مكتبة الفاتيكان ، قال فيه : « تأسست مكتبة الفاتيكان رسمياً فى عهد البابا**

(سكستوس الرابع) فى ١٥ يونيو سنة ١٤٧٥م بموجب القرار البابوى الذى يبدأ بعبارة [من أجل تكريم الكنيسة المجاهدة] ، ولكن المكتبة البابوية كان لها تاريخ عريق يرجع إلى ما قبل ذلك بوقت طويل ، إذ كانت تضم مجموعات قديمة من مخطوطات جمعها البابوات السابقون ابتداءً من (أدماسيوس) فى القرن الرابع الميلادى ، ومن بعده (بونيفاسيوس الثامن) الذى تمت فى عهده فهرسة تلك المخطوطات للمرة الأولى . ثم يعتبر أول مطوّر حقيقى للمكتبة الفاتيكانية هو البابا الإنسانى النزعة (نيقولا الخامس) الذى فتح أبواب الفاتيكان لجمهور القراء ، وخلف عند وفاته عام ١٤٥٥م أكثر من ألف وخمسمائة مخطوط [١] .

وبلغ ما تحويه هذه المكتبة عام ١٤٨١م ثلاثة آلاف وخمسمائة مخطوط كان قد جمعها بعض مبعوثى البابا من شتى أنحاء أوربا ، بينما كان حشدٌ من الكتبة ينسخون مؤلفات أخرى لحفظها والتعريف بها . ولم تكن الاهتمامات الإنسانية التى اتسم بها ذلك العصر وكانت تلقى ترحيباً وتشجيعاً لدى البابوات الرومان تنصبُّ على الكتب المقدسة والمؤلفات الكنسية واللاهوتية وحدها ، وإنما كانت تشمل كذلك الكتابات الدنيوية فى الفلسفة والآداب الإغريقية واللاتينية والعبرية والسريانية والقبطية والعربية ، كما تشمل القانون والتاريخ والفن والهندسة المعمارية والموسيقى ، ولا تزال هذه النزعة الإنسانية سائدة فى الفاتيكان حتى يومنا هذا .

ويضاف إلى هذا التراث الذى جمعه البابوات الواحد تلو الآخر ، مكتبات كاملة قُدّمتْ هبات أو اقْتُنيَتْ أو أُودعَتْ فكانت مصدر ثراء للمكتبة البابوية ، وعلى هذا النحو استقبلت مكتبة الفاتيكان وحفظت كثيراً من أهم مكتبات أوربا ، فخصصت لكل منها قسماً مميزاً ، ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة (بالاتين) فى (هيدلبرج) سنة ١٦٢٢م ، ومكتبة (أدواق أوربينو) سنة ١٦٥٧م ، ومكتبة الملكة (كريستينا) سنة ١٦٩٠م ، ومكتبات كثير من أسر النبلاء ، ناهيك عن مكتبات الكنائس وسائر مؤسسات الفاتيكان ، الذى يذكر منها كنيسة القديس (بطرس) وكنيسة (سكستين) .

---

(١) انظر مفاجأة المفاجآت من بعض هذه المخطوطات فى كتابينا : (قاهر المسيخ الدجال : المهدى المنتظر يفتح العالم من المشرق) ، و (المهدى المنتظر على الأبواب) .

*** ونجد فى مكتبة الفاتيكان كذلك مستودعات حافلة بالمخفوظات لم يكشف النقاب بَعْدُ عن كامل ما تضمه من كنوز الوثائق .**

ويبلغ ما تضمه مكتبة الفاتيكان اليوم نحو سبعين ألف مخطوط وثمانية آلاف كتاب من أوائل المطبوعات « أى مما طبع قبل عام ١٥٠٠م » ، ومليون مؤلف مطبوع . يضاف إلى هذا التراث الضخم مجموعات هامة من الصور المطبوعة « أكثر من مائة ألف » من الخرائط الجغرافية ، ومن المخطوطات المكتوبة بيد مؤلفيها « نحو مائتى ألف » وعشرات الألوف من وثائق المحفوظات من قطع النقود والميداليات . وهناك أيضاً تحف فنية من شتى الأنواع جُمِعَتْ فى أقدم متاحف الفاتيكان وهو متحف لا يزال تحت رعاية المكتبة البابوية .

وتملك مكتبة الفاتيكان ـ فضلاً عن مختبر للترميم ومختبر للتصوير ـ مطابع خاصة بها ومخزناً لبيع وتوزيع مطبوعاتها . ويتولى إدارة المكتبة مدير رسولى للشئون الثقافية والإدارية ، ويعهد برعايتها إلى أمين برتبة كردينال .

ولما كانت مكتبة الفاتيكان مكتبة بحث فإن حق الدخول إليها مقصور على الباحثين والمتخصصين ، ويبلغ عدد قرائها يومياً فى المتوسط مائة وعشرين قارئاً وقد يصل أحياناً إلى مائة وثمانين » .

والفاتيكان ملىء بوثائق ومخطوطات تقرب المسافة للغاية بين ما ينادى به اليوم من « الحوار بين الأديان » ، وفيه وثائق تؤكد وحدة الدين وأنه لا توجد أديان إنما شرائع والدين واحد .. ﴿ إنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ ﴾ (سورة آل عمران : ١٩) **. وفى الفاتيكان وثائق هى بيان قديم لـما جدده الله عز وجل فى رسالته الأخيرة للبشر ؛ قرآنه الكريم : ﴿ شَرَعَ لكُم من الدِّين مـا وصَّى به نُوحـاً والَّذى أوْحَيْنا إليكَ ومـا وصَّيْنَا به إبراهيمَ ومُوسى وعيسى أنْ أقِيمُوا الدِّين ولا تَتفرَّقُوا فيه ﴾** (الشورى : ١٣)

وفى الفاتيكان وثائق ومخطوطات هى المعنية بقول الله عز وجل : **﴿ قولوا آمنَّا باللهِ وما أُنزِلَ إلينا وما أُنزِلَ إلى إبْراهِيمَ وإسْماعيلَ وإسْحاقَ ويَعْقوبَ والأسْباطِ وما أُوتِيَ مُوسى وعِيسى ومـا أُوتِيَ النبيُّون مِن ربِّهم لا نُفـرِّقُ بينَ أحـدٍ مِنهُم ونحنُ لهُ مُسْلِمُونَ . فإنْ ءَامنُوا بمِثْلِ مـا ءَامنتُم به فقـد اهْتَدَوْا وإن تَوَلَّوْا فـإنَّما هُمْ فى شِقَاقٍ**

فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم * صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون * قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون * أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (سورة البقرة : ١٣٦ ـ ١٤٠)

وفى الفاتيكان وثائق أكيدة تفض المنازعات بين المسيحيين أنفسهم فى جوهر عقيدتهم تم بينهم وبيننا نحن المسلمين .. ويقول فى ذلك القس (ستيفن رنسيمان) معترفاً بالشقاق الدينى فى الكنيسة : « إن الموضوع الأساسى الذى دارت حوله خصومات المسيحيين ومنازعاتهم هو طبيعة المسيح التى تعتبر أهم وأعقد المشاكل فى أصول الدين المسيحى . لقد جاءت هذه المشكلة التى مزقت المسيحية عبر القرون ومنعت ولا تزال تمنع أى إمكانية لحدوث تقارب فكرى مع الإسلام من بذور ألقاها بولس فى رسائله التى بدأت كتابتها بعد رفع المسيح بأكثر من ٢٠ عاماً ، لقد خلط بولس بين الله والمسيح ، ومن ثم بدأ الحديث عما يعرف بلاهوت المسيح وتجسد الإله ، فبولس يقول : « الله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطيئة ، ولأجل الخطيئة دان الخطيئة فى الجسد » .. « الله .. الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين » .. « إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً الله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً شبه الناس » .

ثم جاء إنجيل يوحنا الذى يكتب بعد رفع المسيح بمدة تتراوح بين ٧٠ ، ٩٠ عاماً ليكرس فكرة الخلط بين الله والمسيح وتجسيد الله ، ويقول : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » .

هذه هى المشكلة العقائدية التى تمنع كل وحدة ، والحل الوحيد هو الالتزام بما تذكره الأناجيل من ألقاب وأسماء للمسيح قبلها بل ودعا إلى التمسك بها ؛ لقد أجمعت الأناجيل على أن المسيح هو : ابن الإنسان ـ ابن داود ـ رسول الله ـ نبى ـ سيد ـ معلم .. ويكفى التذكرة بما قاله المسيح لتلاميذه : « أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك » ..] .

ويقول العلامة (چون هيك John Hick) فى صلب كتابه الشهير الذى أثار ضجة في أوربا (The myeh of God Incarnate) يعنى : (أسطورة تجسد الإله) : « لقد بيّن البحث العلمى الذى قام به سبعة من علماء المسيحية المعاصرين أن الحديث عن تجسد الله إنما يعنى خرافة » ..

وهذا الكتاب هو جماع بحوث هؤلاء السبعة ، وكانت مقدمة الكتاب عن [أن الكنيسة قبلت التسليم بأسفار الكتاب المقدس التى كتبها مجموعة من البشر فى ظروف متنوعة ولا يمكن الموافقة على اعتبار ألفاظها تنزيلاً إلهياً . إن المشتركين فى هذا الكتاب مقتنعون أن تطوراً لاهوتياً آخر لا بد منه فى هذا الجزء الأخير من القرن العشرين ، وتنبع الحاجة إليه من تطور معرفتنا بمصادر المسيحية ، ويتضمن ذلك اعترافاً أن يسوع كان ـ كما يقدمه لنا سفر أعمال الرسل ـ رجلاً قد تبرهن من قبل الله لأداء دور معين خلال هدف إلهى . إن هذا الاعتراف أصبح لازماً لصالح الحقيقة . ولنقلها الآن : إن ما نأمل فيه هو تنقية الحديث عن الله وعن يسوع من الخلط والتشويش، وبذلك يتحرر الناس لخدمة الله باستقامة وكمال »] .

ويقول (جون هيك) : « إن تحقيق الوحدة بين المؤمنين بالله والمؤمنين بالمسيح ليس له من سبيل سوى الكف عن الخلط بين الله والمسيح ، ثم تقديس الله بما يتفق وجلاله ، ثم الإيمان بأن المسيح (رجل قد تبرهن من قبَلِ الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده) وأنه كان فقط كما قال لوقا : (إنساناً نبياً مقتدراً فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب) » .

* * *

** وفى الفاتيكان وثائق تؤكد بأن كتب المسيحية ـ أعنى الأناجيل الأربعة ـ ليس فيها ما يوجب القطع بإسناد ما جاء بها إلى السيد المسيح أو إلى الله عز وجل. وفيه وثائق تكشف الأسرار عن : لماذا رفض حوالى سبعين إنجيلاً منسوبة إلى المسيح وأمه والحواريين !!

وعندما انعقد المجمع المسكونى سنة ٣٢٥م ، وقرر اعتماد الأناجيل الشائعة الحالية وإنجيلاً خامساً يسمى (إنجيل الصبوة) ، وهو إنجيل نادر لا يعرفه إلا قلة من العلماء الباحثين ، وهو منسوب إلى بطرس ، متحدثاً فيه عن مريم عليها السلام ..

ولعله يهم كل مسيحى منصف يريد الاقتراب من الحقيقة أن نسوق بعضاً من حقائق ضمنتها وثائق عديدة بالفاتيكان .

فمثلاً هناك تفسير القس الكبير (هاودن) ، وقال مما قال فى الباب الثانى من القسم الثانى من المجلد الرابع من تفسيره النادر والمطبوع سنة ١٨٢٢م ، والمخفى الآن عن العيون قال ما نصه : « الحالات التى وصلت إلينا فى بادئ زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة مبتورة عن سياقات مجهولة الآن وغير معينة ، ولا توصلنا إلى أمر معين ، وواضح أن الأقدمين صدقوا بلا دليل أو تمحيص الروايات الواهية وكتبوها ، وقَبِلَ الذين جاءوا بعدهم كتاباتهم تعظيماً لهم ، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى آخر وتعذر نقدها ... » .

ويعترف الأب (لاردنر) فى تفسيره بالمجلد الخامس : « هكذا حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر القيصر (أناسطيوس) فى الأيام التى كان حاكماً فى القسطنطينية » .

ويقول (إكهارن) الألمانى نقلاً عن مخطوط للأب (سلوس) إن ياركز وهو من أشهر علماء البروتستانت قرر أن التناقض فى عبارات العهدين الجديد والقديم يصل إلى ثلاثين ألف موضع ، وأوصلها القس (ميل) بعد جهد جهيد إلى ما يزيد على مائة وخمسين ألفاً .

ويعترف (نورمان) بالوثائق الخفية أو المخفية فى كتاب طبع فى مدينة بوسطن سنة ١٨٣٧م ، نقل فيه بالمجلد الأول بعد المقدمة عن العالم الألمانى (إكهارن) : « بأنه كان فى ابتداء الملة المسيحية توجد رسالة مختصرة يجوز أن يقال إنها هى الإنجيل الأصلى وأنها وضعت للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم . وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها على الترتيب » .

يؤيد هذا وثيقة عن أحد كبار علماء آخر القرن الثانى الميلادى ، وكان مسيحياً موحداً لله ، وممن يعترفون بأن بنوة المسيح لله ما هى إلا صورة شاعرية ، لأن البشر كلهم أبناء الله بالمعنى الاعتبارى .. وهذا العالم اسمه (سلسوس) الذى أخبر

صراحة بأنه لا توجد أى إشارة عن وجود الأناجيل المتداولة حالياً حتى ابتداء القرن الثالث الميلادى .. وقال إن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات أو أكثر ، تبديلاً غيَّر مضامينها ، ويعلل (سلسوس) سبب ذلك فى كتبه المخبوءة بأن الكذب والخداع كان بمنزلة المستحبات الدينية وقتئذ !! وهو نفس ما وصل إليه القس (دى روزا) ..

وتجد فى الفاتيكان تاريخ العلامة المؤرخ المسيحى (برشليم) ، وهو مطبوع سنة ١٨٣٢م ، وأتى فيه بوثيقة سماها (بيان علماء القرن الثانى) فى الصفحة ٦٥ من المجلد الأول من تاريخه ، وفيها النص التالى : « كان بين متبعى رأى أفلاطون وفيثاغورس مقولة شهيرة هى أن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط بل قابلان للتحسين . وتعلم هذا الكلام منهم يهود مصر قبل المسيح ، ويظهر ذلك جلياً فى كثير من كتب اليهود القديمة ، ثم أثر وباء هذا الخطأ السيئ فى المسيحيين كما يظهر هذا الأمر بجلاء من الكتب التى نُسبت إلى الكبار كذباً » ..

ومن أخطر الوثائق بالفاتيكان وثيقة للكاردينال (بطرس قرماج) فى كتابه (مروج الأخبار فى تراجم الأبرار) عن إنجيل مرقص يؤكد فيها أن (مرقص) كان يهودياً لاوياً وهو تلميذ لبطرس وصنف إنجيله هذا بطلب من أهالى روما فى وثيقة مخبوءة الآن ، ومن الثابت يقيناً أن بطرس كان ينكر ألوهية المسيح .

ومن المحدثين نجد المستشرق الفرنسى (إيتين دينيه) يؤكد ما سبق ، ويزيد بأن نصوص الأناجيل الحالية تبعث الشك فى النفس ، فى صحة تلك الأناجيل التى بين أيدينا ، لأن الإنجيل الموحى من الله إلى عيسى عليه السلام بلغته (الآرامية) وبلغة قومه آنذاك ، ضاع واندثر ولم يبق له أثر .

ويتعرض (دينيه) لتطور الكتب والرسائل التى أُلحقت بالعهد الجديد بعد مجمع نيقية وصارت مقدسة لدى المسيحيين ، فيقول :

« إن العهد الجديد لدى المسيحيين ينقسم إلى قسمين :

١ ـ القسم الأول يضم عشرين كتاباً وهى : إنجيل متى ـ إنجيل مرقص ـ

إنجيل لوقا ـ إنجيل يوحنا ـ كتاب أعمال الحواريين ـ رسالة بولس إلى أهل رومية ـ رسالة بولس إلى أهل كورنثيوس ـ رسالة بولس الثانية إليهم ـ رسالة بولس إلى أهل إغلاطية ـ رسالة بولس إلى أهل أفسس ـ رسالته إلى أهل فيلبس ـ رسالته إلى كولوسى ـ رسالته إلى أهل تسالونيكى الأولى ـ رسالته الثانية إليهم ـ رسالته الأولى إلى ثيماثوس ـ رسالته الثانية إليهم ـ رسالته إلى تيطس ـ رسالته إلى فيلمون ـ الرسالة الأولى لبطرس ـ الرسالة الأولى ليوحنا .

٢ ـ القسم الثانى ويضم سبعة كتب لم تكن مقدسة قبل ذلك وهى : رسالة بولس إلى العبرانيين ـ الرسالة الثانية لبطرس ـ الرسالة الثانية ليوحنا ـ الرسالة الثالثة ليوحنا ـ رسالة يعقوب ـ رسالة يهوذا ـ مشاهدات يوحنا أو الرؤيا مع بعض فقرات الرسالة الأولى .

* انعقد فى سنة ٣٢٥م مجلس علماء المسيحية بأمر من الامبراطور قسطنطين فى بلدة نانسى ، حيث أعلنوا أن كتاب (يهوديت) واجب التقديس دون سائر الكتب المشكوك فيها لدى اليهود .

* انعقد مجلس آخر يُسمى مجلس لوديسيا سنة ٣٦٤م ، فزاد سبعة كتب أخرى جعلها مقدسة هى : كتاب أستير ـ رسالة يعقوب ـ رسالة بطرس الثانية ـ والرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا ـ رسالة يهوذا ـ رسالة بولس إلى العبرانيين .

* انعقد مجلس ثالث سنة ٣٩٧م ، وزادوا على حكم المجلسين السابقين الكتب الآتية :

١ ـ كتاب وزدم .
٢ ـ كتاب طوبيا .
٣ ـ كتاب باروخ .
٤ ـ كتاب إيكليتو ياستيكى .
٥ ـ كتابى المقابين الأول والثانى ، وكتاب مشاهدات يوحنا .

ثم تأيدت قرارات تلك المجالس الثلاثة بمجالس ثلاثة أخرى : هى مجلس (تولو) ومجلس (فلورنس) ومجلس (تدنت) ، ومنذ أوائل القرن الخامس الميلادى استقر رأى المسيحيين على اعتماد تلك الأسفار .

ثم كانت المفارقة العجيبة ، فعندما ظهرت الفرقة البروتستانتية بعد ١٢٠٠ سنة حكموا على بعض الكتب بأنها واجبة الرد وهى : كتاب باروخ ـ كتاب طوبيا ـ كتاب وزدم ـ كتاب إيكليتوياستيكى ـ وكتابى المقابين الأول والثانى ، وكذلك بعض أبواب كتاب (استير) .

وكانت حجية رد هذه الكتب تعتمد على أن تلك الكتب كانت فى الأصل باللسان العبرانى ولا توجد أصولها ، وأن اليهود لا يسلمون بأنها إلهامية ، وقال (جيروم) إن هذه الكتب ليست كافية لتقرير المسائل الدينية ، وصرح كلوس أن جميع المسيحيين يردونها .

وصرح البابا (بوس بيسى) بتحريف هذه الكتب لا سيما المقابين الأول والثانى.

والآن .. ومع كل ذلك فإن المسيحيين الكاثوليك يسلمون حتى الآن بقدسية تلك الكتب .

ومن الوثائق النادرة بالفاتيكان ، إنجيل برنابا .. وهو إنجيل قديم .. تقف الكنيسة منه موقف العداء وتعتبره مزوراً !! وهذا الإنجيل مذكور صراحة فى كتب القرنين الثانى والثالث الميلادى ، فهو محرر قبل محمد ﷺ بمئات السنين . والنسخة الوحيدة المعروفة الآن فى العالم ، والتى نُقل عنها هذا الإنجيل كانت نسخة إيطالية فى مكتبة بلاط الأسرة المالكة بفيينا ، وهى تُعَدُّ من أثمن الآثار التاريخية ، تقع فى ٢٢٥ صفحة سميكة من الورق القطنى ، ومجلدة بورق مقوى مغطى بالجلد ، وأول من عثر على هذه النسخة من إنجيل برنابا هو المستشار (كريمر) وزير ملك بروسيا وقت أن كان مقيماً فى أمستردام ، فاستعارها سنة ١٧٠٩م من مكتبة أحد أعيان أمستردام ، وبعد أربع سنوات قام هذا الوجيه الهولندى بإهداء تلك النسخة إلى البرنس (أيوچين سافوى) الذى كان مولعاً بالآثار التاريخية ، ثم انتقلت بعد ذلك مع باقى مكتبة البرنس المذكور إلى مكتبة البلاط الملكى بالنمسا . وقد وُجدت نسخة أخرى بالإسبانية لإنجيل برنابا تقع فى ٢٢٠ صفحة ، تضم ٢٢٢ فصلاً ، وذلك فى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى ، وقد وصلت هذه النسخة إلى يد المستشرق (سايل) ثم إلى الدكتور (منكيوس) أحد أعضاء كلية أكسفورد ، فترجمها إلى الإنجليزية .

وإذا رجعنا إلى النسخة المحررة باللغة الإيطالية نجد أنها مصدرة بمقدمة يقص فيها مكتشف هذه النسخة وهو راهب لاتينى يدعى (فرامرينو) كيفية عثوره عليها ، فيقول : إنه لدى مطالعته عدة رسائل لـ (إيرينايوس) وجد إحداها تندد بالقديس بولس الرسول استناداً إلى إنجيل القديس برنابا . ومن هنا اهتم (فرامرينو) بالبحث عن هذا الإنجيل ، وقد ساعدته ظروف عمله فى مقر البابوية إذ صار بعد فترة مقرباً من البابا (سكتس الخامس) ، وبذلك تمكن من دخول المكتبة البابوية ، وببحثه عثر على نسخة إنجيل برنابا التى كان يرنو إليها ، فطالعها بشغف ، وبعد أن انتهى من قراءتها اعتنق الإسلام .

ولما شاع خبر إنجيل برنابا فى بداية القرن الثامن عشر الميلادى ، أحدث ضجة عظيمة فى أوربا فى نوادى الدين والعلوم ، وحدث الجدل بشأنه بين العلماء والباحثين ، وتشعبت الآراء . وإذا رجعنا إلى أحداث التاريخ نجد أن هناك منشوراً أصدره البابا (جلاسيوس الأول) الذى جلس على كرسى البابوية سنة ٤٩٢م ، أى قبل ميلاد النبى محمد ﷺ ، عدَّد فيه أسماء الكتب المنهى عن قراءتها ، ومن ضمنها كتاب يسمى (إنجيل برنابا) .. إذاً هذا الإنجيل موجود منذ زمن بعيد واستمر مقروءاً بين بعض الطوائف المسيحية حتى حكم البابا (جلاسيوس) فى القرن الخامس الميلادى بتحريمه ، ولا ينكر مؤرخو المسيحية وجود أناجيل كثيرة منذ القرن الأول الميلادى . ثم كان الحكم باختيار أربعة وتحريم الباقى وإخفائه .

ولا غرو أن ينكر المتعصبون والباحثون عن الفتن صحة هذا الإنجيل لأسباب أربعة :

١ ـ يذكر إنجيل برنابا أن يسوع المسيح أنكر ألوهيته وكونه ابن الله وذلك على مرأى ومسمع من الجنود وسكان اليهودية من رجال ونساء .

٢ ـ أن الابن الذى عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إسماعيل لا إسحاق .

٣ ـ أن (مسيا) المنتظر مجيئه للعالم هو محمد ﷺ حيث ذكر صريحاً اسمه ومتكرراً فى عدة مواضع .

٤ ـ أن المسيح عليه السلام لم يُصلب ولم يُقتل إنما حُمل إلى السماء الثالثة ،

وأن الذى صُلب إنما كان الخائن يهوذا ، والذى ألقى الله شبه السيد المسيح عليه .

ويقول العلامة الإنجليزى (تولاند) حين رأى نسخة إنجيل برنابا سنة ١٧١٨م فى مكتبة البرنس (أوچين سافوى) : « سأقول على المسيحية السلام » .. وبعد هذا بفترة طويلة قرر فى كتابه المسمى (نزارينوس) أن تيار تقدم المسيحية قد توقف منذ ظهور نسخة إنجيل برنابا .

* * *

وهنا أنقل لقرائى ما ذكرته مجلة (الإيكونومست) البريطانية ، أوسع المجلات انتشاراً ، فى عددها الصادر بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٦٥م ، تحت عنوان (ثروة الفاتيكان) : « إن أول عمل مقدس يؤديه المرشح لوظيفة فى الإدارة المركزية للكنيسة الكاثوليكية هو أن يقسم اليمين المقدسة على كتمان كل شئ يصل إلى علمه أو يقع تحت بصره من معلومات خصوصاً عن ثروة الكنيسة ومواردها إلى جانب ما يملكه الفاتيكان من تحف وثروة فنية تعتبر من أثمن الثروات فى العالم ، ولا شك أن عبارة (ثروة فنية) تشمل مكتبة الفاتيكان الضخمة السرية والمعلنة بما تحويه من كتب نادرة وقديمة فى الديانة المسيحية وغيرها ، مما لو تُرك للبحث العلمى الحر النزيه لألقى أضواء لامعة على حقبة مجهولة من تاريخ المسيحية فى قرونها الأولى المظلمة » .

* * *

ولا أشك لحظة فى أن مكتبة الفاتيكان بروما ما زال بها بعض نسخ من الأناجيل المرفوضة ، والكتب الممنوعة ، والمخطوطات التى كانت وما زالت ممنوعة سواء فى تاريخ الكنيسة الأول أو الحالى .

وقد نقل الشيخ (محمد بيرم) عن رحالة إنجليزى أنه رأى فى دار الكتب البابوية فى الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحميرى قبل بعثة النبى محمد ﷺ ، وفيها يقول المسيح عليه السلام صراحة : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ، وفى أحد نصوص هذا الإنجيل : « قامت السموات والأرض بلا إله إلا الله محمد رسول الله » .

هل حقاً : كلُّ أسبوع تُبْنَى ألفُ كَنيسةٍ جديدة فى أفريقيا وآسيا ؟!

ذكرت إحدى المجلات المسيحية أن عدد المسيحيين فى العالم بلغ بليوناً وثلاثمائة واثنين وستين مليون شخص .. وأن هذا العدد يزداد يومياً بما نسبته حوالى ٧٨ ألف شخص ، منهم ٦٤ ألفاً يتجه للزيادة الطبيعية ، أما الباقى وعددهم ١٤ ألف شخص يومياً فيجئ نتيجة لاعتناق المسيحية . وذكرت المجلة نفسها أنه تُبنى أسبوعياً حوالى ألف كنيسة جديدة فى أفريقيا وآسيا !!

* أحب أن أقول : إن هذا الخبر من اختراع أحد المنصِّرين المتعصبين للمسيحية .. و (المبالغة) تتضح من كلٍّ رقم فيه .. ويكفى قوله ببناء ألف كنيسة كل أسبوع ؛ إذ معنى هذا الكلام أنه فى غضون عامين فقط لن يجد الناس مكاناً يسيرون فيه على ظهر هذا الكوكب لتحوله كله إلى كنائس !!

* ومثل هذه المبالغات اعتدنا سماعها دائماً عندما يكونِ الكلام عن (الترويج) لِلمسيحية بالطريق غير المباشر ؛ أى بطريق الإلقاء فى روع الناسِ أن العالم كله مُقبل على المسيحية بينما العكس صحيح ؛ إذ ما من يوم يمرٌّ إلا ويخرج عشرات من المسيحية (فعلاً) أو (حكماً) !!

* أما إذا كان الكلام عن المسلمين ، وكان هناك ضرورة لذكر إحصائية لتعداد المسلمين ؛ فَثِقْ دائماً بأن الرقم المذكور عن المسلمين دائماً أقل من الحقيقة بمقدار الثلث !!

* ومما أودُّ توضيحه وتوعية كل مسلم إليه ، هو أن نقاط التزايد للمسيحية لا تعدو مكانين :

الأول : أفريقيا .. بِين الوثنيين الفقراء ، وغالباً ما يدخلون المسيحية شكلاً لا موضوعاً ، لضمان لُقمة الخبز ليس إلا !!

الثانى : فى أماكن مسيحية بعينها ، وبوذية ، وهى : أثيوبيا وكوريا والفلبين !!

وإلا فاسألوا عن فشل حركات التنصير فى غالب أفريقيا ، وفى الصين ، وفى وسط أمريكا ، وأندونيسيا ، وتكاد لا تشهد هذه الحركات نجاحاً ملحوظاً إلا (لضرورة) و (بثمن) !!

* وهذه أندونيسيا تؤكد كلامنا .. فقد ذكرت مصادر إسلامية حكومية في أندونيسيا أن الأرقام التى تذكرها هيئات التنصير عن أعداد المتنصّرين هناك مبالغ فيها للغاية ، وذلك بهدف زيادة الدعم الصليبى الدولى المخصص لهم . وصرح لى أندونيسى مسئول قابلنى بمكة المكرمة أن جهود الدعوة الإسلامية المضادة للتنصير تحرز كثيراً من النجاح فى المناطق التى يدّعى (المنصّرون) أنها (مغلقة عليهم) !!

* وفى السودان ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ خرجت الكنائس العاملة هناك ، وعلى رأسها (الكنيسة الكاثوليكية) ، خرجت عن صمتها ودعاياتها أيضاً ، وأخذت تبدى قلقها على جنوب السودان من اكتساح التيار الإسلامى له ، خاصة أن العمل التنصيرى يتحرك ببطء شديد فى الجنوب برغم عدم وجود عراقيل أمامه !! وازداد القلق المسيحى بعد تعميم اللغة العربية بدلاً من الإنجليزية كلغة للإدارة فى الجنوب ، مما يعتبر خطوة نحو (الأسلمة) ، حيث إن الإسلام واللغة العربية وجهان لعملة واحدة ، على حدّ تعبير مصادر كنسية بجنوب السودان . وأيضاً أقضّ مضاجعهم الدعوة بل والتنفيذ الفعلى من البعض باتخاذ (الجمعة) بدلاً من (الأحد) كعطلة رسمية .. وما زالت الكنيسة الكاثوليكية بجنوب السودان تعارض بشدة المشروع المصرى المقترح بإقامة مركز ثقافى إسلامى بالجنوب ، بل صرحت علانية بأنها لن تسمح بإقامة مثل هذا المركز فى الجنوب ، خاصة أن نشاطات الدعوة الإسلامية لجامعة أم درمان الإسلامية ، والمركز الإفريقى الإسلامى التابع للجامعة العربية (والمقام منذ عام ١٩٧٥م) ، وافتتاح فروع لبنك فيصل الإسلامى فى أنحاء عديدةٍ من السودان ،كل ذلك كان له أكبر الأثر فى دعم الصحوة الإسلامية بالسودان ، والتى تنامى خطرها بالجنوب ، على حدّ التعبير الكنسى !!

* إذن .. فلِمَ الخوف ؟ ومِمَّ القلق ؟ ولماذا الاعتراضات ؟ ما دام كل يوم يشهد بناء ألف كنيسة للإقبال الخرافى على عبادة الصليب !!

مجلة (الحقيقة الواضحة) الأمريكية المسيحية :

حان الوقت لنبذ الأفكار الخاطئة عن الإسلام والمسلمين !!

نشرت مجلة (الحقيقة الواضحة) ـ وهى مجلة مسيحية تصدر عن أشهر الجماعات المسيحية فى أمريكا ، وتُطبع منها شهرياً أكثر من خمسة ملايين نسخة توزع فى كافة أنحاء العالم ـ نشرت مقالاً حول الإسلام كانت قد نشرته قبل خمسة أعوام ، وأعادته قبل عامين ونصف ، ثم أعادت مؤخراً نشره مُنقَّحاً مضافاً إليه معلومات وحقائق عن الدين الإسلامى الحنيف ، وقالت عنه : إنه أصبح قوة فعالة فى العالم ، وإنه ينتشر انتشاراً سريعاً وذاتياً ، حيث يزداد عدد من يعتنقونه يومياً فى أنحاء المعمورة . فعلى سبيل المثال يوجد مسلم واحد أو اثنان من بين كل خمسة أشخاص أو ستة ، كما أن عدد المسلمين يربو الآن على (المليار) مسلم ، مُوزَّعين على خمسة وسبعين قطراً من أقطار العالم .

* وركزت تلك المجلة على نقطة انتشار الدين الإسلامى، فأقرت أنه ينتشر انتشاراً يفوق انتشار المسيحية فى الأقطار الإفريقية فيما وراء الصحراء بنسبة عشرة أضعاف.

* ومضت المجلة قائلة : إنه قد حان الوقت لغير المسلمين فى جميع أنحاء العالم أن يطرحوا جانباً الخرافات وينبذوا الأفكار الخاطئة التى حملوها سابقاً عن الدين الإسلامى الذى لم يعُد مجرد مبادئ وأفكار وعقائد روحية فحسب ، بل غدا بالإضافة إلى ذلك قوة سياسية وثقافية واجتماعية لها وزنها الذى لا يمكن غضُّ النظر عنه فى تسيير مقادير وأمور العالم حاضراً ومستقبلاً !!

* وأضافت المجلة قائلة : إن الإسلام بالنسبة لمعتنقيه فى جميع أنحاء العالم إنما هو نظام حياة يومية كاملة لا تتجزأ ، بينما نرى المسيحيين لا يعرفون الطريق إلى كنائسهم للتعبد فيها إلا أيام الأحد ، ذلك لفترة وجيزة فى نفس اليوم ، لكن الوضع مختلف بالنسبة للمسلمين الذين هم على اتصال روحى دائم بالخالق الأعلى يومياً ، من خلال أداء فرائض الصلوات الخمس اليومية ، وصلاة الجمعة

التى تُعتبر مؤتمراً أسبوعياً لمسلمى العالم يجتمعون فيه للصلاة وتبادل الآراء حول ما يهمهم فى حياتهم اليومية من قريب أو بعيد وفى كافة شئونهم حتى السياسية .

** وأشادت المجلة بالإسلام وبمبادئه وبأنظمته الدينية التشريعية ، وكيف أن الجريمة فى العالم الإسلامى أقلُّ منها بكثير مما هو عليه الحال فى العالم الغربى ، وكذلك الأمراض الاجتماعية التى غدا الغرب يعانى منها بشكل ملحوظ ، بحيث أصبحت تهدده بالانحلال والتفسخ ، كالمسكرات والمشروبات الرُّوحية بأنواعها وتعاطى المخدرات ، برغم محاولات وضع التشريعات والأنظمة والقوانين الوضعية وإنفاق مبالغ هائلة لهذا الغرض ، فى حين نرى العكس تماماً بالنسبة للعالم الإسلامى ، حيث إن الإسلام قد سبق المشرِّعين الغربيين منذ القرن السابع الميلادى عندما جاءت التشريعات والأنظمة والقوانين الإسلامية السماوية بالحلول الناجعة لمثل تلك الأمراض ونجحت فيها .

وفى نهاية المقال ذكرت المجلة حقيقة واضحة يتجاهلها المسيحيون ورجال الدين المسيحىِ والكنيسة بمؤسساتها وتنظيماتها ، وهى أن العهد الجديد وإن كان قد تمَّ وأُكملَ وضعه قبل ميلاد الرسول الكريم العظيم محمد ﷺ بخمسة قرون زمنية ، إلا أنهَ لم يهمل الإشارة إلى نبى الإسلام ، وهو ما يفسِّره المتشددون من علماء الدين المسيحى بأنه يوم القيامة ، بينما واقع الحقائق يؤكد على تلاقى المسيحية مع الإسلام من خلال لفظة ملكوت السموات والمراد بها حقيقة نبى الإسلام ، ففى إنجيل متى : « وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلاً : توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات » ، وجاء تفسير الكلمة فى الأصحاح الثالث عشر من إنجيل متى عندما ضرب مثل لملكوت السموات هو نفسه ورد فى القرآن كتاب المسلمين المقدس ، فقد جاء فى متى : « يشبه ملكوت السموات حبة خردل ، أخذها إنسان وزرعها فى حقله . وهى أصغر جميع البذور . ولكن متى نمت فهى أكبر البقول وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها » وفى إنجيل يوحنا عبارة (مبارك الآتى باسم الرب) وعلى مذهبنا نحن الأرثوذكسيين نؤمن بأن الله هو المسيح أو المسيح هو الله ، بينما نصُّ الإنجيل أن هذا الآتى ليس هو الله وبالتالى ليس هو المسيح ، ونظن دون تزمُّت أنه الرجل الذى غدت بذرته أمة عظيمة توازى أكثر من ربع سكان العالم » !!

القسيس يبكى قائلاً : لماذا حجبتُم عنَّا هذا الدين ؟!

لا عجب أن تكشف الكنيسة الأم لحكومة جنوب إفريقيا عن وجهها الكالح وعدائها السافر للإسلام والمسلمين عندما تزعم أن الإسلام دين باطل ، وهو خطر على جمهورية جنوب إفريقيا ، و إفريقيا ، والعالم كله .

** أما ادعاؤهم أن الإسلام دين باطل فقوْل بلا دليل وكذب مَحْضٌ ، ومن السهل أن يلقى المرء الكلامَ على عواهنه بلا دليل ولا أثارة من علم .. فليأتوا بالدليل ، وأنا ـ على ضعفى ـ أصعقهم بالحجة والبرهان على افترائهم .

وتوضيح الواضح إشكال .. وليس يصح فى الأذهان شئ إذا قيل : هذا النهار فى رابعته بحاجة إلى دليل .. فليقيموا أدلتهم على بطلان الإسلام .. ولنتناقش .. ولنتحاور .. ثم نبتهل إلى الله أن يجعل لعنته على الكاذبين .

** أما قولهم : (إن الإسلام خطر عليهم وعلى العالم أجمع) ، فهذه كلمة حق أُريد بها باطل .. أو هو باطل مُلبَّس بالحق .

والذى أعنيه أن الإسلام (خطر) فعلاً .. ولكن على مَنْ ؟ على أمثال ما كان لديهم من حكومات عنصرية تفرق بين (الأبيض) و (الأسود)حتى فِيْ المدافن . الإسلام خطر علي الظُّلم والظلَمة والمتاجرين بالإنسان والإنسانية ، من يجعلون الحرية سلعة تباع وتشترى ، ويستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

فيما عدا هذا فالإسلام (خير) كله ، و (نفع) و (كرامة) للإنسانية جمعاء .

* والقساوسة الذين رفعوا عن أعينهم غشاوة التعصب يُقرُّون بهذا ، ولن أذهب بعيداً ، ولكننى معى اعتراف أحد القساوسة التابعين لحكومة جنوب إفريقيا . قال أحد قساوسة جنوب إفريقيا لأحد مندوبى مجلة الاعتصام المصرية المبتعث هناك لزيارة المركز الإسلامى : « أنا قَسٌّ من رجال الدين المسيحى ، أحمل اسماً

مسيحياً ، وهذا الاسم لا يعنيكم ، ولن أقوله ، ولكن أقول : بالرغم من أننى دُرِّبْتُ على نشر المسيحية ودرست تعاليمها فى جامعات بريطانيا ، وأُعددْتُ لأكون حامل راية للمسيحية وداعية لها ، إلا أننى لم أشعر بأن المسيحية استطاعت أن تجيب على تساؤلاتى ، لأنها مرتبكة فى جسمى ، وقد فكرت فى التخلص من المسيحية السوداء التى لا تعترف بآدميتنا ، والتى جاءتنا بالإنجيل فى يد وبالعبودية فى اليد الأخرى ، وجاءنا أدعياؤها بالإنجيل فى يد وبزجاجة الخمر فى اليد الأخرى » !!
ثم أضاف قائلاً: « لقد رأيتكم تصلون ، فإذا بالأبيض بجانب الأسود ، والغنى بجانب الفقير ، والمتعلم بجانب الجاهل ، لهذا أقول صراحة : إن الإفريقى ليس بحاجة إلى المسيحية .. إنه فى حاجة إلى هذا الدين العظيم .. دين الإسلام » !!

وبعد أن اغرورقت عيناه بالدموع وبكى قال : « لماذا حجبتم عنّا هذا الدين ؟ أنيروا لنا الطريق ، فإن مبادئ هذا الدين هى التى يمكن أن تنقذ العالم مما هو مقبل عليه من فوضى ودمار ... » !!

* هذا القسيس قال كلمة حق .. وامتنع عن ذكر اسمه خوف بطشهم !!

* ولا أدرى أين الخطر ؟! أفى مصادرة حقوق الإنسان التى أبسطها الجهر برأيه ، أم فى حرية الإسلام وكرامة المرء فى ظلها ؟!

لا يسعنى إلا أن أردد قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ (آل عمران : ١١٨)

إن الافتراء الذى تزعمته الكنيسة الأم بدولة جنوب أفريقيا بوازع من الحكومة العنصرية التى دمّر الله عليها ،كان مقدمة لدعوة نصارى مصر والشرق إلى خيانة عالمهم الإسلامى ، وأقول هذا التعبير : عالمهم الإسلامى ، لأنهم نسيج منه ، وقطعة فيه ، وترس دوار يفهم جيداً أن الإسلام الواعى والمسلم الصدوق يفهمان أن المسيحى عندنا أعقل من أن يستجيب لدعوات الخيانة ، وأوعى من التردى فى مستنقعات الضغائن الخسيسة ، وصدق الله العظيم : ﴿ **وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ .
(المائدة : ٦٢ ، ٦٣)

نصرانى أثيوبى يرأس « الإنترآيد » .. ماذا وراءه ؟!

بدأت المؤسسات واللجان الغربية المخصصة لأعمال الإغاثة الصحية العالمية إعداد برامج موسعة لاحتواء الأفغان والسيطرةِ على أفكارهم وبثّ السموم لزعزعة الأفغان عن دينهم ، مستغلين فرصة الفقر والعوَزِ والحاجة والتشرد .

* (الإنترآيد) منظمة كنسية تابعة للكنيسة الكبرى بنيويورك ، وتعمل بالتعاون مع الكنيسة النرويجية والكنيسة الباكستانية .. وجميع الإداريين والمشرفين عليها من النصارى الباكستانيين ، ويرأس المنظمة كلها نصرانى أثيوبى الأصل ، يعمل بكل نشاط لخدمة أغراض التنصير علانية . وهو شئ لا يحزننا .. بل يسعدنا عودة العالم للأخلاق .. ولكن يحزننا استغلال الحاجة الإنسانية والتستر بالدين لأهداف أخرى !!

* والإنترآيد تقدم الدعم الآن لعشر مدارس أفغانية ، كما تقوم بفتح المدارس التدريبية على مهن النجارة والخياطة والتطريز .

والغريب أنه فى تقرير سرى وقع بيدىّ تأكد فشل (الإنترآيد) فشلاً ذريعاً فى كثير من المدارس التى تحت سيطرتها ، وذلك لأن النسبة الإيجابية فى التنصير ضعيفة للغاية ، ولتدخلها المكشوف والتنصير العلنى داخل أفغانستان ، الذى يصطدم بفطرة هذا الشعب المسلم ، مما جعل المنظمة المسيحية العالمية (I. S. R) تتدخل لتنقذ الموقف والسمعة المسيحية التى تدهورت باستغلال أعمال الإغاثة فى التنصير علانية !! فأخذت هى تلك المدارس وتحملت سائر التكاليف ؛ لأنها تستخدم أسلوباً أكثر حنْكةً ودهاءً ، وهو (التنصير على المدى الطويل) .

وكان هناك ١٢٠ مدرسة ابتدائية أفغانية لا تجد مَنْ ينفق عليها أو يدير شئونها ، فتقدمت المنظمة للإشراف عليها وتزويدها بالمناهج والمدرسين .

مع هذا الجهد المدروس لتنصير المسلمين تمَّ إنشاء المركز البلجيكى لتدريس اللغة الإنجليزية مجاناً للمهاجرين الأفغان .. وللمهاجرين الأفغان فقط .

وتبدو أعمال التنصير فى هذا المركز أشد وضوحاً من الشمس ،كما يعمل على تشجيع الفتيات المسلمات الأفغانيات على التبرج والتخلى عن الزى الإسلامى ، وإهدائهنَّ ملابس ثمينة وفخيمة ومغرية الألوان والنقوش ، تمثل أحدث صيحات (الموضة الغربية) .

وقد وقع فى يدى كتاب وُضِعَ لتدريسه لأطفال المسلمين ،كله قصص إباحية ، إما على لسان الطفل أو الحيوان ، مدعوماً بصور تمثيلية لأهمية القبلات والأحضان بين الطفل والطفلة ، علاوة على صور الكنائس والصلبان والأبواب الكنسية المزخرفة .

** إن هذه المأساة التى يعيشها المسلمون الأفغان يُسأل عنها حكام المسلمين والمنظمات الإسلامية ، وكل مسلم ثرى يستطيع أن ينقذ طفلاً مسلماً أو فقيرة مسلمة من براثن التنصير ، الذى يرتكز على استغلال الظروف .. لا أكثر .

وبكل أسف .. هناك من المسيحيين من يعمل بعصبية تدعو لنبذ الصداقة والمودة بين المسيحيين والمسلمين فى مقابل مجازفة غالباً لا تأتى بخير وهى عمليات التنصير التى يسمونها تبشيراً .. ويعترف بهذه الروح صريحة الدكتور (و. ب. سيجابات) فى كتاب له بعنوان (تبشيرنا فى أندونيسيا اليوم) ، فهو يقول فيما قال : « كثيراً ما تنعمت أندونيسيا ـ التى تسمى جزائرها بجزائر الملوك ـ ومسيحيوها بروح الألفة والأخوة تربط بينهم وبين المسلمين ! لكنهم بالرغم من ذلك يعيشون معيشة محزنة لأن هذا الوئام يشل قواهم ، ويخدع أنظارهم ، فلا يؤدون واجبهم التبشيرى تجاه إخوانهم المسلمين ! فنأمل أن تتمكن كنائس البروتستانت فى جزائر الملوك من التغلب على جميع المصاعب المرة التى لا بد أن يلاقوها فى ميدان التبشير » .

فالرجل ينادى صراحة بحرب ضروس تأكل الأخضر واليابس ، مع أن الأمر القائم وهو واضح فى اعترافه : مودة ورحمة وائتلاف بين المسيحى والمسلم !!

وأتساءل : لمن يعمل هذا ؟ ولمصلحة من ؟!!

نحن المسلمين نكفل حرية التدين للجميع بلا إزعاج ، ولكن هناك من يزعجه أن تكون حراً في دينك .. وهو شيء مبغوض وغير مرغوب حتى لو كان من مسلم ، فمن يقرأ القرآن الكريم بفهم يرى قول الله عز وجل : ﴿ **ولا يَزالُونَ مُخْتلفينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ ربُّك ولذلكَ خلَقَهُم** ﴾ .

ويقرأ قوله تعالى : ﴿ **فمَنْ شاءَ فَلْيُؤمنْ ومَنْ شاء فَلْيَكْفُرْ** ﴾ . (الكهف : ٢٩)

ويقرأ قوله تعالى : ﴿ **فإنَّك لا تَهْدى مَنْ أحْبَبتَ** ﴾ . (القصص : ٥٦)

وقوله تعالى : ﴿ **لستَ عليهم بمُصيْطِرْ** ﴾ . (الغاشية : ٢٢)

ويقرأ قوله تعالى : ﴿ **ولِيَعْلَمَ الَّذين أُوتُوا العِلْمَ أنَّه الحقُّ مِنْ ربِّك فيُؤمنُوا به فتُخْبِتَ له قُلوبُهم وإنَّ اللهَ لَهادِ الَّذين ءامنُوا إلى صراطٍ مُستقيمٍ * ولا يَزالُ الَّذين كَفرُوا في مِرْيةٍ منهُ حتَّى تأتيَهُمُ الساعةُ بَغْتةً أو يأتيَهُم عذابُ يومٍ عقيمٍ * المُلْكُ يَومئذٍ لله يَحكُمُ بينهُم فالَّذين ءامنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ في جنَّاتِ النَّعيمِ * والَّذين كَفرُوا وكذَّبوا بآياتنا فأُولئكَ لهُم عَذابٌ مُّهينٌ** ﴾ . (الحج : ٥٤ ـ ٥٧)

* * *

على عتبات
أمور
اجتماعية

فتاة تطلب منى أن « أبارك » لها فوزَ « الزمالك » على « الأهلى » !!

يبدو أن (التفاهة) هى (البضاعة الرابحة) ببلادنا هذه الأيام !!

لقد ذُهلتُ .. إى والله ذُهلت من قارئة لى ـ على حدِّ قولها من أقلّ من عام فقط ـ كانت تتصل بى لتسألِ فى أمور هامة حتى حسبتها إنسانة عاقلة ، فإذا بها تفاجئنى ذات يوم بقولها : ألاَ تبارك لى ؟! قلت لها : مليون مبارك لك .. لكن علامَ ؟ قالت : على فوز (الزمالك) على (الأهلى) ، فأنا (زملكاوية) أصيلَة !!

إى والله فُوجئت واندهشت ، لأن الفتاة وبالذات المتعلمة الجامعية أو حتى نصف الجامعية المفروض أن العلم أنضجها وأن الوعى ارتفع منسوبه عندها !!

ولكن يبدو أن الإعلام نجح فى قلب موازين البطولة . فلاعب الكرة هو البطل .. والممثل هو البطل .. والمطربة هى القدوة .. والممثلة هى الأُسوة .. والراقصة امرأة تقدمية يجب أن نقلدها !!

* أبشروا يا مسلمون .. فالزمالك فاز على الأهلى فى موقعة (حطين) واستطاع استرداد (المسجد الأقصى) ـ بحمد الله ـ دون إراقة دماء أو حتى مؤتمرات أو مفاوضات !!

أبشروا يا أمهات الشهداء بفلسطين وأفغانستان والفلبين وإريتريا ، وكل مكان يُذبح فيه المسلمون .. استبشروا فبعض اللاعبين الأبطال الغيورين خلعوا (بنطلوناتهم) وأخذوا يجرون ويلهثون وراء (كرة مستديرة) .. وأخيراً حققوا الكرامة للإنسان المسلم ، وحقنوا دماء المسلمين ، وحفظوا أعراض البنات المسلمات ، وردوا على الإهانات وانتهاك الأعراض الذى يتعرض لها أبناء وبنات المسلمين ، فى أماكن كثيرة من هذا العالم المسكين !!

* أنا لست ضد الرياضة ، لكننى ضد (التفاهة) ، وضد (قلة الوعى) !! فأن يكون الإنسان رياضياً فهو لصحته وقوة جسمه .. ولقد كنت أحد الرياضيين من قبل ، بل لعبت لناد كبير .. لكن (الرياضة) ليست (رأس الأمر) .. ولو توقف جهاز التليفزيون عن نقل المباريات بصخبها وألفاظ السوقة القبيحة التى تردد أثناءها ما حدث شئ ، ولن تخرَّ السماء على الأرض . بل لو لم نلعب تلك الكرة أصلاً ، أو لم يخترعها الصينيون أو الإنجليز على خلاف فى الرأى فيمن أوجدها ، أقول إن لم يخترع الكرةَ أحدٌ ما نقص شئ فى هذه الدنيا !!

** وأنا لا أعنى حادثة بعينها ، فهذه الفتاة مجرد (عينة) من شرائح كثيرة فى مجتمعاتنا أصبحت (التفاهات)أو (ذيول الأمور) هى (الرؤوس) وهى (الأولويات) عندها !! والذى ضايقنى هو حزن الفتاة لأننى وبَّختها .. وقديماً قال أجدادنا : « هنيئاً لمن أبكانى اليوم وأضحكنى أمام الله وأمام الناس » .

** وإن كان العاقلون من الرجال والنساء يعجبون لعصبية (التافهين) لناد بعينه لدرجة البكاء أو العراك ؛ فإن (العجب) ينقلب إلى (دهشة محيِّرة) إذا كانت (العصبية) تلك تَصدر من (فتاة) لا من (فتى) ، فهناك أمور على خطئها إذا صدرت من رجال لا يلامون عليها ، وإن كان يجب اللوم على سائر الأخطاء والتفاهات ، أما إن صدرت من فتاة فتكون موضع الانتقاد الرهيب ، لكن يبدو أن فتاة اليوم تريد المساواةَ بالرجل ، حتى فى (التفاهات) وحتى فى (الأخطاء) !!

* وزادت دهشتى أن إحدى المجلات ردَّتْ على رسالة قارئة لها ، أرسلت إليهم تريد حلاً لمشكلتها ، ومشكلتها أنها تريد الجلوس مع (اللاعب ...) بعينه .. وهو لاعب مشهور ومحبوب .. وظننت أن القائم على الباب رجل يخشى الله ويفهم فى أمور التوجيه والتربية والتوعية ، أو على الأقل يحترم قلمه أو يحترم حتى وعى الناس ، فإذا به يقول لها : وما المشكلة ؟ إن حلَّ مشكلتك سهل .. توجهى للنادى الفلانى واسألى عن مواعيد مجيئه للتدريب أو الترفيه ، وقابليه ، وهو بالقطع سيرحب بكِ !!

بالطبع سيرحبَ بها خاصة أن أغلبهم ـ بالذات هذه الأيام ـ فضائحهم أصبحت على صفحات الجرائد !!

* أكرر .. لست ضد الرياضة ولا الرياضيين ، فقد كنت (جنرالاً) بصدر

شبابى ، أعنى (كابتن فريق) ، وحتى لا يقول أحد : (إنه متزمت أو معقد) ، أطمئنكم بأننى ما زلت أمارس الرياضة وبالذات (كرة القدم) ، ولى (تلامذة) منهم من اشتهر اسمه حتى فى منتخبنا القومى .. وفى نادٍ عريق ، كما أننى رجل يحب الفكاهة والدعابة والبسمة إلى حدٍّ اختراع النكتة .. لكننى ما نقدت الفتاة إلا لجديتها غير العادية وغير اللائقة فى أمر التعصب الكروى !!

وما زلت مُصراً على أن الذى (يحزن) أو (يفرح) من المشاهدين لهزيمة نادٍ أو انتصار آخر ، هو إنسان بينه وبين (الوعى) مليون ميل . أما إن كان الأمر يصدر عن (فتاة) فلا شك أنها ستعلِّم أبناءها (الخواء) و (الفراغ) مهما بلغوا فى المستويات المظهرية !!

وأخيراً .. (العقل نعمة كبرى) .. فمَنْ يعقل ؟!

وتكون (الطامة الكبرى) يوم تطلب (فتاة مسلمة) ـ تدعى الالتزام وتلبس الحجاب الأمريكانى ـ أن تجالس لاعب كرة مفتونة به ، وتكون هذه هى مشكلتها أو أمنيتها !! أعزكم الله أيها العلماء والمفكرون والأساتذة والدكاترة .. فليس فيكم مَنْ أحبته لا بالحرام ولا بالحلال (وزة) ، أو تمنَّت الجلوس معه (بطة) ، أو ماتت فى (علمه وفكره) مَنْ مات منتحراً على (حلم) ، ولا شهق فرحاً وطرباً (لأفكاره) من شهقْنَ وطربْنَ لمرأى (باتشان) !!

وحتى لا يقول (غبى) : إنه (يحسد هؤلاء) لأن لهم (معجبات) ، فلله الحمد لنا (معجبات) لكن فى الحق ، ولنا محبون ومحبَّات ولكن (فى الله) وليس فى الحرام .. ومع التقدير والاحترام وحسن المسلك والوعى لحدود العلاقات . وأنا أحب كل خلْق الله ، لكننى أحتقر (التافهين والتافهات) ، كما أننى أبغض المتعصبين والمتعصبات ، على أىٍّ مستوى من المستويات !!

* وأخيراً أقول للشباب : مارسوا الرياضة .. لكن لا تتعصبوا لها .. واعلموا أنها (وسيلة) وليست (هدفاً) أو (غاية) . وأقول أيضاً للبنات والفتيات : مارسْنَ الرياضة .. ولكن فى احتشام وبعدٍ عن أعين الرجال وشهوات الذئاب ، فقد كانت السيدة المحترمة الجليلة أمنا وأم المؤمنين (عائشة بنت الصديق أبى بكر) رضوان الله

عليهما تسابق رسول الله ﷺ فى أماكن آمنة من المتلصّصين أو المتفرجين ، أو فى أوقات ينفرد كلاهما بالآخر ، وكان ﷺ (الرحمة المهداة) يسابقها ، فكان يسبقها أحياناً وتسبقه أحياناً ، وذات يوم سبقته ثم عاد فى يوم ثان وسبقها ، فقال لها مبتسماً باشاً : « هذه بتلك » أى : (واحدة بواحدة) ، أو بلغتنا الكروية (واحد .. واحد) أو (تعادل) حتى لا أُتَّهم بأننى غير فقيه فى المصطلحات الكروية .

وأقول لقارئتى : لو صحَّ أنك اتخذتينى أستاذاً لك ماحزنت مني ، فقد قال موسى بكل أدب وإجلال لمن سيعلِّمه : ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ على أَنْ تُعلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً** ﴾ (الكهف : ٦٦)

وقال الشاعر :

قُـمْ للـمُعلِّمِ وَفِّـه التَّـبْجـيـلا   كـادَ المعلِّمُ أنْ يَكُـونَ رسُـولا

احذرى ثم احذرى أن تقلّدى الرجال أو أن تتشبهى بالفتيان.. ثم احذرى من (الفراغ العقلى والنفسى والروحى) ، فالعقل والنفس والروح كالزجاجة إن لم تملئيها بشئ حق امتلأت بالهواء .. باللاشئ .. بالباطل !!

وعلى الفتاة أن تتقى مواضع التُّهم صيانةً لقلوب الناس عن إساءة الظن بها ، فمن وضع نفسه موضع الشبهات فلا يلومنَّ إلا نفسه .

وأخيراً أقول لتلميذتى :

أمَـا والله لـو علِمَ الأنـامُ   لِمَ خُلقوا لَمَا غَفَلُوا وناموا ؟

لقـد خُلقـوا ليـومٍ لـو رأتْهُ   عيونُ قُلوبهم ساحُوا وهامُوا

مَمـاتٌ ثمَّ حَشـرٌ ثم نَشـرٌ   وتـوبيـخٌ وأهـوالٌ عظـامُ

ليومِ الحشْر قد عَمِلتْ أُناسٌ   فَصلُّوا مِـنْ مَخافته وصَـامُوا

ونحنُ إذا أُمِـرنا أو نُهِـينا   كـأهلِ الكهف أيْقاظٌ نيـامُ

أتمنى أن تصححى مسيرتك وفكرك ، وتكونى من الأيقاظِ الواعِين ، فشئ من الوعى ينير الطريق لمزيد من الوعى ، ثم الوعى الكامل الذى يوصل المرء للإيمان الكامل .

فما رأيكم بهذا « الخَاتَمِ » ؟!

(١)

عدة رسائل أتتنى من قراء وقارئات تحمل بعض القصص والحوادث التى تدل على أن (التشاؤم) حقيقة ، وأنهم من المتشائمين .

* منهم مَنْ يقول إن (فولتير) ـ أديب فرنسا الكبير ـ خسر فى بورصة الأوراق المالية مليوناً من الفرنكات ومات بأزمةٍ قلبية ، حتى اعتبروه رمزاً للتشاؤم ، وبالذات بعدما أفلس بعض ناشرى كتبه ، وقتل أحدُ ناشرى كتبه على يد سيدة وهى تسرق كتاباً من مطبعته !!

* منهم مَنْ تقول بأنها قرأت أن شاعراً صينياً كان يتشاءم من رؤية القمر ، حتى مات بسببه ؛ عندما استقلَّ زورقاً فى ليلة مقمرة ، وأراد تغطية صورة القمر المنعكسة بصفحة الماء بيده ، فانحنى فسقط وغرق لأنه لا يعرف العوم !!

* وباقى ما جاءنى من القصص لا يعوّل عليه ولا يستحق الرد .. أما هذا فأقول : إن الناشرين الذين أفلسوا : هل أفلسوا لأنهم يطبعون كتب (فولتير) فقط ؟! ثم أليس هناك أسباب أخرى للإفلاس ؟!

وعموماً ما زالت كتب (فولتير) تُطبع وتُنشر ، ويُعاد طبعها ، ويثْرَى من ورائها كثيرون .

* أما هذا الذى غرق فإنه ما غرق لرؤيته القمر إنما غرق لأنه لا يعرف السباحة ، ولو كان يعرفها ما غرق ، ولو رأى ألف قمر ، إلا أن يكون لله إرادة !!

** وأقول لكلٍ مَنْ يؤمن بهذه الخرافات : حدث ما هو أعجب .. فقد حمل نجم غربى مشهور يسمى (فالنتينو) خاتماً أعجبه بعدما اشتراه من تاجر ، حذَّره

بأن هذا الخاتم (شؤم) ، وبعدها سقط فيلمه الأول ومات بعدها بأيام . واشترت الخاتم مطربة مرضت بعدها بمرض حيَّر الأطباء ، فأخذ الخاتم موسيقىٌ فى فرقتها فمات إثر حادث أليم .. وحصل على الخاتم رجل وضعه فى خزانة خاصة ولكنَّ لصاً سرقه ، فاكتشف الرجل أمره وطارِده ، وطاردته الشرطة ، حتى مات الرجل أثناء المطاردة وعُثر معه على (الخاتم) ليودَع أحد البنوك !!

فما رأيكم فى هذا (الخاتم) ؟!

الحق أن المسألة كلها (قضاء وقدر) ، و (فتنة) .. وأنا واثق أن هذا (الخاتم) لم يؤثر شيئاً فى البنك الذى يحتفظ به ، اللهم إلا أن تخربه أموال الربا بافتراض أن القصة صحيحة .

(٢)

** إن الغرب سقط فى (حمأة التشاؤم) وأصبح يفسر كل (الأحداث المؤلمة) به ، نتيجة أمرين :

الأول : عدم (صحة) الإيمان بالله عندهم ، أو انتفاؤه أصلاً .

والثانى : لشيوع الفلسفات التشاؤمية حتى قال الفيلسوف الشهير (شوبنهور) : « إن من واجبنا ألا نطرب ونفرح ، بل أن ننعى وننوح على وجود العالم الذى يفضل عدمه ـ بكثير ـ وجوده » .

** بل من فلاسفتهم ، أو بالمعنى الأدق الأصح (متفلسفيهم) ، مَنْ كان يصرخ فيهم بأن (الحياة هى الوهم الأليم) ، أو أن (التشاؤم هو صفة الوجود وجوهر الحياة) ، أو أن (التشاؤم والألم يستغرقان كل شئ ، ولا خلاص منهما) !!

** ومثل هذه الأقوال والفلسفات التشاؤمية التى تترسَّب فى مشاعرهم ووجدانهم ، تطفو إلى العقل واللسان ساعة حادث أو فى موقف (شدة) ، مع أن علماء النفس يقررون أن الإنسان بفعلِ اتجاهه التشاؤمى قد يقع فى متاعب هى أشد وَقْعاً وأثراً على نفسه وأعصابه من وقْع الكوارث والمآسى .

** لهذا اعتبر الإسلام (التفاؤل) من تمام (الصحة النفسية) و (العقلية) و (الوجدانية) و (الروحية) و (العاطفية) للإنسان ، ومن ثَمَّ شاع فى القرآن الكريم الحديث المطوَّل عن نعم الله تعالى على عباده ودعوتهم صراحة أو ضمناً للاستمتاع بها .

وَآزَى ذلك دعوة الرسول العظيم محمد ﷺ إلى التفاؤل وتبشير الناس دائماً ، فكان يقول : « بشّروا ولا تنفّروا » ، كما روى ابن ماجه فى سننه « أن الرسول ﷺ كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطِّيْرةَ » والطيرة : هى التشاؤم ، من تطيير الطير فيتجه يساراً .

* كما نرى فى سننه ﷺ أنه نفى أصل (التشاؤم) فى الأشياء التى كان العرب يعتقدون فيها قبل الإسلام مثل (الطيرة) و (الهامة) .

وأقول أخيراً فى هذه القضية : الأمور تجرى بمقادير ، وسوء الظن مَجْلَبةٌ للشر ، والله تعالى يقول : ﴿ **اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظنِّ إنَّ بعضَ الظنِّ إثْمٌ** ﴾ .

(الحجرات : ١٢)

والتشاؤم إثم ، والمتشائم آثم ، فَظُنَّ خيراً بالله ، وبعباد الله ، وبمخلوقات الله ، وصدق ربُّنا فى الحديث القدسى : « أنا عند ظنِّ عبدى بى » .

* * *

تفاءلوا ..

« تفاءلوا .. ولا تشاءموا » ..

كلمتان إحداهما أمرٌ والأخرى نَهْى . وليست المسألة فى هاتين الكلمتين مجرد الأمر والنهى ، إنما هى(قانون حياة) ، ومنهج مضمون للنجاح والسداد بها ، وقليل مَنْ يعلم أنها من أقوال رسول الله ﷺ ، معلّم البشرية وقائد سفينة النجاة .

والتفاؤل يبعث فى النفس طاقاتٍ هائلةً ، ويُربّى الشخصية القوية والإرادة الفتية ، ويُنشئ العزيمة الصادقة والمرونة الناضجة .. فالتفاؤل باختصار هو (الأمل) .

شىءٌ جميل للغاية أن تنتظر الفرج مع إشراقة كلّ شمس وأن تودعها ببسمة رضا ويقينِ قلبٍ بأن لله فى كلِّ نَفَسٍ ألفَ فرج .. شئ رائع أن تبتسم فى وجه أخيك متفائلاً بلقياه ، تشعر بالرِّىِّ معه وإن كنت ظمآناً ، أو تطمئنه باقتراب المطر إن كان صادياً ..

وأنا مؤمن بأن الإنسان لا يكونُ سعيداً فى هذه الدنيا إلا بقدر ما له فيها من تفاؤل وآمال وأحلام .

مَنْ رَامَ وَصْلَ الشمسِ حَاكَ خُيوطَهَا ... سبباً إلى آمالِه وتَعلَّقا

صاحب التفاؤل صاحب أمل كبير .. وصاحب الأمل الكبير دائماً عالى الهمة ، دءوب العمل ، كثير البذل ، سريع التضحية .

صاحب التفاؤل لا ينسحب من الميدان بسهولة ، أو لا ينسحب بتّةً .. فهو يعلم أن الأيام دُول ، وأن هزيمته فى ميدان يقابلها انتصارات فى ميادين ، وأنَّ دون الشّهد إبرَ النحل ، وأنَّ تحقُّق الأمل قرين الصبر .

المتفائل يُعلِّق بالثريا آماله وينالها ، ويربط بالجوزاء أطماعه ويسترخص العناء دونها ، ويقبل على الدنيا بكلّ البِشْر يفجر ينابيعها ويستثير كنوزها ، ويخطب الحسناء ويمنحها مهرها .

على قَدْر أهْلِ العَزْمِ تأتى العَزائمُ وتأتى على قَدْرِ الكرامِ المَكارمُ
وتَعْظُمُ فى عَيْنِ الصغيرِ صَغيرُها وتَصْغُرُ فى عَيْنِ العَظيمِ العَظائمُ

ثق دائماً بأن بعد الترحال حلاًّ .. وأن بعد العُسر يُسراً .. ثم بعد العُسر يُسراً .. فتفاءل دائماً ، فالتفاؤل هو الخَيط الخفىُّ الذى يدفعك للسعادة دَفْعاً ، أو يسوقها هى إليك سَوْقاً .

وتذكَّر قول النبى ﷺ : « ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب عبد مؤمن إلا أعطاه الله ما يرجوه وآمنه مما يخاف » .

* * *

و .. لا تَشاءمُوا ..

الذى يريد الحياة صفواً لا يمازجه كَدَر ، وسروراً لا يخالطه حزن ، وهناءً دائماً غير منقطع ، فَلْيَخْتَرْ له دنيا أخرى أو ليذهب لكوكب آخر إن استطاع !! إذ لا بدَّ من هذا وذاك .

طُبِعْتَ على كَدَرٍ وأنتَ تُريدُها صَفْواً مِنَ الأقْدارِ والأكْدار
ومُكلّفُ الأيامِ ضد طباعِها مُتطلبٌ فى الماءِ جَذْوةَ نارِ

** والمسلم الحق شعاره أمام الحياة وتقلباتها قوله تعالى : ﴿ **إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقدْ مَسَّ القومَ قَرْحٌ مِثْلُه وتلك الأيامُ نُداولُها بين الناسِ** ﴾ (آل عمران : ١٤٠)

والمسلم الذى يفهم هذا لا يعيش أيامه متشائماً ، إنما يمضى قُدُماً فى الحياة تدفعه حرارة الرجاء وتجذبه حلاوة الأمل ..

أما المتشائم فما أخسره وما أبخس حظه ، فهو متبرم ضجر ، وسئم ملول ، يعشق الأحزان ، ويعرف عن الخسارة أكثر مما يعرف عن الربح ، ويرى الفشل دائماً محيطاً به ، ويلبس فوق عينيه منظاراً أسود يرى به كل شيء أسود ..

العسل فى فمه أمرُّ من الصبر .. والحرير فى يده دامٍ كالشوك .. والدنيا فى ناظريه أضيق من سَمِّ الخياط .

* تعرفت ذات يوم إلى أحدهم .. شاعر متشائم .. أعطانى كراسة مليئة بنظراته وأشعاره .. قرأتها فأحسست باكتئاب شديد !!

قابلته عصر اليوم التالى قائلاً : يا أخى ارفع عن عينيْك هذه النظارة السوداء التى لا ترى شيئاً من خلالها إلا بلون زجاجها القاتم العابس !!

قال : إن شعارى فى الحياة هو قول أبى القاسم الشابى :

جَفَّ سحرُ الحياةِ يا قلبىَ الباكى فهيَّا نُجرِّبُ المَوْتَ هيَّا

وقوله :

فى ظلامِ الفَناءِ أدفِنُ أيَّامى ولا أستطيعُ حتَّى بُكاهَا

قلت له : يا أخى ..

بُحْ بشَكْواكَ لا نَحيباً ولكنْ بسماتٍ مَقْرونة بالغَناءِ

قال : لا شىء فى الدنيا يستحق الفرح ولا شىء يجلب السرور ..

يَشْربُ الكأسَ ذو الحجَى ويُبْقى لغَدٍ فى قرارةِ الكأسِ شَيَّا

لم يكنْ لى غدٌ فأفرغتُ كأسى ثمَّ حَطَّمْتُها على شَفَتيَّا

قلت : يا أخى .. الأنسُ بالله نور ساطع وجنَّة فيْحاءُ .. ﴿ **قُلْ يا عبادىَ الَّذين أسْرفُوا على أنفسِهم لا تَقْنطُوا من رَّحْمةِ اللهِ** ﴾ (الزمر : ٥٣)

فالقنوط لا يجتمع مع الإيمان ، وإن كنتَ حزيناً أو قلقاً : ﴿ **ألاَ بِذكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ** ﴾ (الرعد : ٢٨)

وتركتُ صاحبنا مبتئساً لأنه مُصرٌ على الكفر ، أو على البؤس ، متشائماً من كلّ شىء ، ربما من ذاته ، وانصرفتُ وكلى أمل عريض فى الله ، وأمامى رحابة الأمانى بأن الغد أفضل من اليوم !!

ومرَّت شهور لم أرَ فيها صاحبنا .. وذات يوم قال لى أحدهم : ألَمْ تسمع ما حدث لفلان ؟.. لا داعى لذكر الاسم .

قلت : خيراً .

قال : وهو يعبر خط سكة حديد قطار حلوان (مدينة بأطراف القاهرة) صدمه القطار فقضم رِجْلَيْه ، ولم يجد الأطباء بُدّاً من قطعهما .

قلت مندهشاً : وما زال حياً ؟!

قال : نعم ..

قلت : ألم يشعر بالقطار أو يسمع دوىَّ عجلاته الحديدية ؟!

قال : ساعة القدر يَعمى البصر .. وما أبشع استغراق المرء فى الفكر فى القَدَر !!

قلت : سبحان الله .. إن الذى كان يتوقعه ويظنه وجده .. فَظُنَّ خيراً يا أخى .

ومن يومها ما وجدت إنساناً يقول لى : انصحنى ، إلا قلت له : ظُنَّ بالله خيراً ، فالله يقول : « أنا عند ظنِّ عبدى بى » .

عزيزى القارئ الحبيب .. هذه القصة ليستِ مِن بنات خيالى ، إنها حقيقية وحدثت منذ حوالى عشرين عاماً ، والسعيد مَنْ وُعِظَ واعتبر بغيره .

* * *

خجلتُ من نفسى !!

كتبت أكثر مِن مرة عن (التفاؤل) ، و (التشاؤم) ، وبيِّنتُ بالحجة والمنطق أن (التشاؤم) وَهْمٌ ، وأن (التفاؤل) حقيقة .

** ولم أتوقع هذا (الكم الكبير) من الرسائل و التليفونات التى يمكننى تلخيص آراء أصحابها وصاحباتها فى جملة واحدة هى أن ما قرأوه منحهم (الأمل) من جديد ، وأجرى دماء الحياة فى عروقهم بعد أن توقفت أو كادت !!

** ساعتها شعرت بالخجل من نفسى ، لا لشىء سوى أننى ساءلت ذاتى : إلى هذا الحد الكبير يمكن أن تكون مسئولية الكاتب والمفكّر ؟ إلى حدٍّ التغيير الكبير أو الجذرى فى الأفكار والمشاعر والمواقف والسلوكيات ؟!

** خجلتُ من نفسى وأنا أُسائلها مرة أخرى : تُرى ما كتبته فأعطى أملاً لآخرين هو فعلاً ما أريده ، أم أنه مجرد تعبير ذاتى تلقائى انعكس منى باعتبار الفريضة اليومية ككاتب لا بد أن يقدم وجبة يومية لقرائه ؟!

** ولكن نفسى طمأنتنى ـ بحمد الله ـ إلى أن ما أكتبه هو صدىً لما هو بداخلى وأعماقى وبكل كيانى : فمنذ زمن وأنا أؤمن بأن ما كان من القلب استقر بالقلب ، وما كان من اللسان لم يتجاوز الآذان .

* ونصيحتى لكل من يُمسك بالقلم ألا يهمس به أو ينطق إلا بالصدق ، وبما يؤمن به من حقٍ ، وإلا فإن كلماته مهما كانت بليغة ستظل مجرد كلمات خاوية من الحياة ، لا تحيى شعوراً ولا تنبِّه غافلاً .

إنهم يغزون منازلنا وعقولنا .. فماذا أعددنا ؟!

لا شك أن (المجتمع المسلم) له طبيعته الخاصة ، وله (سلوكه المميز) ، وله قيمه وتقاليده المتسمة بالنظافة والنزاهة ، والمرتكزة على الأخلاق والمثُل !!

* والغزو الذى قَدِمَ إلينا بالفعل ، كمجتمع مسلم ، يهدف بالدرجة الأولى إلى إفساد هذه القيم وتحطيم تلك المثل ، والقضاء على العفة والحصانة الأخلاقية .

* وقد شهد شهر يوليو سنة ١٩٨٩م إطلاق قمر صناعى أوربى ، يبث للعالم العربى الإسلامى إرساله بمعدل ٦ إلى ٩ ساعات يومياً ، وباللغات والبرامج والأفلام والمنوعات الخليعة الناطقة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية . وكل حين تشهد سماؤنا الإسلامية إطلاق أقمار صناعية لأغراض خاصة ، وهى أقمار صناعية (تجارية) تعتمد بالدرجة الأولى على بثٍّ كلِّ ما هو (خليع خارج) ، وهى حسب معلوماتى مدعومة بمخابرات وخبرات أجنبية كل همِّها هو (غزو) بيوت وعقول المسلمين ، والدخول عليهم بفكر معين إلى (مجالسهم) بل و (مهاجعهم) !!

** تُرى ماذا أعددنا ، أو حتى نُعِدُّ ، أو حتى سنُعِدُّ لهذه (الحملات المغيرة) دون صوت ، و (الغزوات الخطيرة) بلغة (الحرير والنِعومة غير المحسوسة) ، التى تحركت (خيولها) تجاهنا بالفعل ، بل ورابطت فى عقر دارنا ؟!

سيقول البعض : علينا بأجهزة التشويش !!

أقول : وهل سنظل نُشوّش على مدار الـ ٢٤ ساعة ؟! ثم هل كل (البلاد الإسلامية) لديها القدرة المادية للإنفاق على (أجهزة التشويش) !!

** إن (الخطر) أكبر مما نتصور .. و (الأمـر) بحاجـة (لتحرك مسئول واعٍ) للمواجهـة .. ولكن بأسلوب (منطقى يوافق المستجدات على الساحة) وبحلٍّ (علمى) وتقنيات تطابق الإيقاع السريع ..

فهل نحن (متحركون) ؟!

** والهجمة الخطيرة على (الأخلاق) و (القيم) هي هجمة سوف تستأصلهما عند (المسلم) وعند (المسيحي) .. كما لو كنت في حرب نارية . فإن القنبلة عندما كانت تهبط في الإسماعيلية أو السويس أو سيناء لم تكن تقول : (أنت مسلم فسوف تنجو) أو (أنت مسيحي تنحَّ جانباً فسوف تنجو وأحطم المسلم) .. إن النار تأكلهما معاً ..

إن الله عز وجل الذي أراد أن يكون الناس شعوباً وقبائل .. وتقدر في الأقدار اختلاف الناس في أديانهم وفي مشاربهم ونزعاتهم وميولهم ، وضع ضوابط للجميع بلا استثناء ، وهي ما يسمى (مكارمِ الأخلاق) ، بل إن النبي محمداً ﷺ لخص رسالته كلها في قوله : « إنما بعثْتُ لأُتمم مكارم الأخلاق » .. ولا يمكن أن يعيش البشر بعضهم مع بعض في جماعات تسودها المحبة إلا في حالة الاتفاق والتراضي على وجود حدود تعتبر مرجعاً للجميع وهي (مكارم الأخلاق) .. والكتاب المقدس أيضاً لدى المسيحي بل واليهودي يفترض أو يتواضع على أن البشر كائنات أخلاقية متميزة ، وهم مسئولون عن أخلاقهم ، وهم يعرفون الناموس الأخلاقي لأنه كما جاء في سفر أشعياء ، الأصحاح الأول : [مكتوب في قلوبهم] ، وهو الموافق لقول الله عز وجل في القرآن : ﴿ **فِطْرَةَ اللهِ الَّتى فَطَرَ النَّاسَ عليها** ﴾ (الروم : ٣٠) .. فإذا تجرد الإنسان من فطرته الطاهرة ، وتجرد من ضميره الذي يتوجب عليه في جميع الشرائع السماوية أن يبقيه طاهراً أمام الله ثم أمام أخيه الإنسان مهما اختلف الإنسان والإنسان ، فإن على النابهين ورواد الفكر ورواد العلم والتعليم والإعلام أن يقوموا بدور (الضمير الحي) ، لأن الرائد لا يكذب أهله ..

إن الكاتب المسيحي الكبير (جون ستوت) كتب مرة يقول : « الضمائر الضعيفة بحاجة إلى تقوية ، والضمائر الخادعة بحاجة إلى استنارة ، ولأن الله هو الله فلا نستطيع ألا نبالي عندما يهان حقه وناموسه .. وعلينا أن نسعى إلى تثقيف ضمير الجمهور ليعرف إرادة الله ويرغب في تنفيذها » !!

وأنا مع هذا الرجل في كل كلمة من هذه الكلمات .. فمن معنا من أهل الكتاب أيضاً .. ومن المسلمين طبعاً ؟!!

ماذا أعددنا لهذا الخطر القادم ؟!

منذ أربعين عامـاً أعلنت (الأمم المتحدة) عن مبـدأ حق (إرسال واستلام المعلومات) من أىٍّ مصدر ، داخل وعبر الحدود الدولية .

* وقد اعترف بهذا الحق مُجدَّداً (٣٥) دولة من دول أوربا وأمريكا الشمالية التى وقَّعتْ على الاتفاقية الختامية فى (هلسنكى) فى عام ١٩٧٥م .

* ومما يدعو إلى الأسف أن العديد من الحكومات التى إعترفت رسمياً بحق حرية تدفق المعلومات لا يحترم هذا الحقّ بالفعل !! ويصْدُق هذا القول بشكل خاص على دول الكتلة الشرقية ، فقد قام (الاتحاد السوفيتى) ـ سابقاً ـ والحكومات الشيوعية الأخرى ـ على سبيل المثال ـ بالتشويش على إذاعة صوت أمريكا ، وراديو أوربا الحرة ، وراديو الحرية ، وهيئة الإذاعة البريطانية ، ومحطات الإذاعات الأجنبية الأخرى لسنوات عديدة ، بصورة غير مشروعة !! وإن كانت قد انتهت عمليات التشويش هذه تقريباً فى السنوات الأخيرة واتُّخذتْ خطوات هامة أخرى على المستوى العالمى لزيادة تدفق المعلومات !!

* أما أمريكا الآن فهى تشدد وبإلحاح على سائر الحكومات بأن تقوم بتسهيل عملية حصول جميع المواطنين من كل مكان ، وفى كل مكان ـ ودون تأخير ـ على أكبر قدر ممكن من مختلف المعلومات بما فيها المطبوعة والمسجلة والمصورة والمذاعة .. وأوربا كلها الآن تحثُّ على إزالة جميع العوائق القانونية والإدارية والفنية أمام السعى إلى الحصول على المعلومات والأفكار ونقلها عبر أى وسيلة إعلام (بغضِّ النظر عن الحدود) .. وأضع خطاً يلفت الانتباه إلى هذه العبارة التى بين قوسين .

* والآن وأجهزة استقبالنا مُعدَّةٌ لاستقبال (كمٍّ) هائل من المعلومات ـ بل وبدأت بالفعل ـ وفيها (المنحرف) ، و (المريض) ، و (القاصر) ، و (المشوش) ، و (الموجة) ، و (الهدمية) ، و (التخريبية) إلى آخر قوائم ما يضر الأمة الإسلامية والعربية ، خاصة أن السماء تستقبل (أقماراً صناعية) مُوجَّهة !!

فيا تُرى .. ماذا أعدَّتْ الأُمتان العربية والإسلامية لهذا الزحف الخطير الذى قَدِمَ علينا ، وأخطر منه لا يزال فى الطريق لكنه قادم .. ويتسترون لنشره بدعاوى حرية الكلمة والمعلومة ؟! وماذا أعدَّ مسيحيو الشرق المحافظون أخلاقياً .. فى مصر وسورية والأردن ولبنان وغيرها من بلاد الشرق .. وقد صادقنى أيضاً بعض مسيحيى سوريا ، دمثى الخلق رفيعى السلوك ، وغدت بيننا مودة كبيرة كما هى بينى وبين من أحب من مسيحيى مصرنا العزيزة .. وجدت أنهم مثلى سواء بسواء .. فى حالة غم وحزن لاندثار الأخلاقيات الفاضلة وللحرب الشعواء على الفضيلة والقيم ..

ولكن ماذا بعد هذا ؟! ونحن نؤمن مسلمين ومسيحيين أن قوانين الله شاملة فى تطبيقاتها وموافقة لطبائع البشر وأبعد ما تكون عن الاعتباطية والعبثية .. ونحن نؤمن أيضاً بأن هناك حرباً شيطانية ضد الله عز وجل .. والهدف المضروب عليه والمراد صيده هم أبناء آدم .. ولكن تكون الكارثة إذا كان هناك من أبناء آدم من ينضمون إلى حزب الشيطان .. فهل يعى قرائى ما أردت بين السطور ؟!!

إن (الخطر) من حولنا .. ومن تحت أرجلنا .. فهل نحن منتبهون ؟!

* * *

لم يَمُتْ (كيسنجر) يا (سبيرولا) !!

الذين ذهبوا إلى (اليونان) ، أو طالعوا صحفها ، ربما عرفوا العرّافة المنجمة الكبيرة (سبيرولا بالامارا) !! فقد نالت هذه السيدة شهرة غير عادية أو فوق العادية ، نظراً لحسِّها الدقيق فى مسائل التنبؤ ، كما يقولون !!

إلا أننى أقول : « كذب المنجمون ولو صدفوا » وأظنها هكذا بالفاء « صدفوا » لا بالقاف « صدقوا » ، لأن المنجِّم لا يصدق أبداً ، فهو على كل حال كاذب ولو تصادف وتحقق كلامه ، إذ لا يعرف الغيب إلا الله .

ومنذ أكثر من عشرين عاماً تنبأت (سبيرولا) بوفاة مسئول أمريكى كبير فى حادث سقوط طائرة ، وتمادتْ فصرحت بأنه (هنرى كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكى الأسبق !! إلا أن (كيسنجر) ـ وبعد عشرين عاماً من النبوءة الدقيقة ـ لا يزال حياً يرزق : وركب ويركب عشرات الطائرات ، وتنقل وينتقل مئات المرات ولم يمت حتى الآن فى حادث طائرة ولا باخرة !!

فبدهىٌّ أن الله عز وجل طوى صفحة الغيب كلها عن مخلوقاته ، لتنتظم مسالك الحياة ، ويسير كل شىء فى مساره .

إلا أن الذى يغيظ فى الأمر ، أنه مع ارتفاع أعداد المتعلمين فى العالم ، وارتفاع مستوى الثقافة ، فإن الإقبال على السحرة والعرافين آخذ فى الازدياد بشكل مكثف ، وهذه ظاهرة جديرة بالبحث والدراسة والتحليل !!

والذى يعنينى هنا هو التأكيد على أن (العرّاف) ما هو إلا (دجال) ، والإنسان البسيط قديماً صاحب الذكاء الفطرى كان يعلم هذه الحقيقة ، فعندما مرَّ أحدهم بقارئة (ودَع) تمسك (بصدف البحر) و (قواقعه) ، كأنها (تهمس له ويهمس لها) ، ومن ثَمَّ تنطلق النبوءات والمعرفة بالغيوب وتهمى

كالمطر أو كأنها تقرأ من (صفحة الغيب) المسطور .. وإذا بهذه العرافة تقول لهذا الرجل البسيط : من فضلك .. كم الساعة الآن بالضبط ؟ فما كان منه إلا أن قال لها بذكائه الفطرى : ولماذا تسألينني ولا تسألين (الودَع) الذى بيدك ، فيخبرك على الفور ؟!

وقيل إن جنيًا من كبار الجن فى عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، سأله سليمان عن أعجب ما صادف فى رحلاته وتنقلاته .. فقال : رأيت امرأة عرّافة والناس حولها تنبئهم بما سيقع لكل واحد منهم ، وتكشف له المخبوء الذى ينتظره ، وتحت قدميها لو حفرت حفرة يسيرة جداً كنز ثمين من الذهب بالأرض التى تجلس فوقها !!

** ومن اللافت للنظر أن النساء اللائى يَعْمَلْنَ فى هذا (الدجل) المسمى بالعرافة والتنجيم هُنَّ أضعاف أضعاف عدد الرجال العاملين بهذا المضمار الملعون !!

إنها مجرد ملاحظة أسجلها ، مع ضميمتيها : زيادة نسبة الإقبال على السحرة والعرافين برغم ازدياد مساحة التعليم ونسبة المثقفين .. كأن هناك علاقة طردية بينهما .. وكذلك بين انتشار العلم والثقافة وقلّة الإيمان بالله !! وهذه من العجائب بل من المساخر .

وحتى ميقات نشر هذه السطور فى أوائل عام ١٩٩٧م لم يَمُتْ بعدُ (كيسنجر) يا (سبيرولا) !!

* * *

حرية .. وإرادة .. ودخان فى الهواء !!

(الدخـان فى الهـواء) الذى أعنيه هنـا هـو دخـان السجـائر ، الذى ينفثـه (المدخنون) فى الهواء بعدما يكون أجهز على (خط الدفاع الثانى) ، الذى جعله الله عز وجل برئتى الإنسان للقضاء على أية ميكروبات تتسرب من (خط الدفاع الأول) ، وهو شعيرات الأنف ، وخط الدفاع الثانى هو شعيرات دقيقة جعلها الله عز وجل شبكةَ صيد لأى ميكروب (بالرئتين) !!

أما الحرية فهى أكبر نعمة فى الوجود بعد الإسلام والإيمان بالله عز وجل .. والإرادة هى قدرة الإنسان على التحكم فى ميوله وعاداته وتهذيب نفسه وترويضها .

وعليه يمكننى طرح هذه المعادلة :

حرية + إرادة + دخان فى الهواء (من نافثى السجائر) = عبودية !!

إذن .. لا حرية ولا إرادة .. فالإنسان الذى تستعبده رغباته ليس بحرٍّ .. والإنسان الذى لا يملك إجبـار نفسه على التخلِّى عن عاداتها الذميمة ليس عنده إرادة .. وما أقبح أن يكون المرء عبـداً لعادة ذميـمة .. وما أسوأ أن يكون المـرء مسلوبَ الإرادة ، حتى أمام نفسه !!

* (بروزا برانيكا) وهى أميرة بولونية ثرية ، كانت ثروتها تُقدَّر بعشرين مليون دولار ، ويعمل بقصرها ١٢٥ ألف خادم ، أقدمت على عمل نادراً ما يقوم به إنسان .. لا لشىء إلا لأنها امرأة ذات إرادة حديدية برغم أن الشائع أن أبناء وبنات الرفاهية لا يملكون هذه الإرادة الصلبة .

عندما بلغت (روزا) الثالثة والستين من عمرها ـ وذلك فى عام ١٨٤٣م ـ قامت برحلة إلى ألمانيا لتعرض نفسها على الأطباء بعدما شعرت بألم حاد فى صدرها ، فأخبرها الأطباء أنها مصابة بسرطان فى ثديها الأيمن !!

المنطقى أنها ستخبر أسرتها ليكونوا بجوارها عند إجراء عملية إزالة الثدى التى لا بد من إجرائها فوراً قبل أن يمتد المرض إلى سائر الجسم .. إلا أن الأميرة (روزا) خشيت أن تخبرهم حتى لا ينفعلوا ، أو يأخذ الأمر أكبر من قدره ، أو تحدث ضجة ما !! وأضمرت فى نفسها أمراً لا يقوى عليه إلا إنسان ذو إرادة صلبة ، بكل ما تعنيه كلمتا (الإرادة الصلبة) من معانٍ !!

أخذتْ (روزا) تطوف فى عواصم أوربا وغيرها .. وتشترى من كل مكان أداة يستعملها الجراحون فى عملياتهم .. سكيناً .. ملقاطاً .. إبراً .. الخ !!

وكانت كل مرة تقتصر على شراء أداة واحدة من مكان ما لعدم إثارة الانتباه !!

وعندما جمعت ما يلزم لها للجراحة ، حبست نفسها فى فندق بباريس ، وأجرتْ لنفسها ـ بنفسها ـ عملية جراحية ، بإزالة ثديها المصاب بالسرطان .. وعاشت بعد ذلك (١٩) عاماً بعد العملية !!

* أما سمعتم عن المرأة الأمريكية التى كانت حزينة لأنها لا تلد .. وحرمانها من نعمة الأطفال .. وعندما ماتت ـ وأثناء تشريحها ـ وجدوا بثدييها كمية من (النيكوتين) كافية لقتل خمسة أطفال لو رضعوا من ثديها .. (لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع) .. وهذا من عواقب التدخين !!

* وأخيراً .. من السهل للغاية أن يجد الإنسان ألف مبرر لما يفعل ولو كان خطأً !!

* * *

البطل « جراندايزر » !!

(**الترفيه**) فى الإسلام مطلوب .. ومداعبة (الأطفال) مستحبة ، وهى من السنَّة .. والترويح عنهم بالبرامج التليفزيونية البريئة لا شيء فيه ما لم يكن فى هذه البرامج أو القصص أو الرسوم المتحركة ما يخالف الإسلام ، أو مفاهيم الحلال والحرام ، حتى لا تترسب فى عقلية الطفل مبادئ الباطل .

* لكن الخطير فى أمر الرسوم المتحركة التى تُعرض على أطفال المسلمين وتستهويهم إلى حدِّ الانبهار بها ، فى الغالب هى ـ بل ربما كلها ـ (مستورد) !! مما يكون له أثر (بالسلب) خطير فى تشكيل عقلية (الطفل المسلم) !!

* ولن أذهب بعيداً .. يكفى أنه حدث فى إحدى البلدان العربية الإسلامية أن سُئِل مجموعة من الأطفال :

ـ مَنْ يعرف شخصية تاريخية كانت مثاراً للبطولة والشجاعة ؟

* وكانت المفاجأة : إجابة بالإجماع على شخصية واحدة ، ولم تكن كما يتبادر للذهن (خالد بن الوليد) أو (سعد بن أبى وقاص) ، أو (عمر بن الخطاب) أو (القعقاع بن عمرو) ، أو حتى (صلاح الدين الأيوبى) .. لا .. كان الإجماع أن البطل هو (جراندايزر) !!

فهذا البطل الأسطورى الكاريكاتورى : أصبح شخصية (تاريخية) تُحتَذى فى البطولة والشجاعة !!

والآن أتساءل : أليس فى تراثنا (الضخم الهائل) مادة يمكن أن يقوم عليها متخصصون فى مثل هذه الأعمال ، بحيث تنتج محلياً أو إنتاجاً مشتركاً بين الدول الإسلامية (لحماية عقلية الطفل المسلم) ؟!

هل الصحفيون أقصر عمراً ؟!

من طبعى أننى أعافُ قراءة الأخبار الممجوجة ، كمثل هذا الخبر الذى نشرته أغلب الصحف والمجلات العربية نقلاً عن مجلات أجنبية .

إلا أن الذى جذبنى لقراءته هو (الخداع فى العنوان) .. فعنوان الخبر : (الصحفيون مهددون بالموت المبكر) !! وهو عنوان قصد به الإثارة أو هو نتاج الجهل ، لأنه لا علاقة بينه وبين الخبر ، إذ يفيد الخبر أن إحدى الجامعات البريطانية أجرتْ دراسة حول تأثير مهنة الصحافة على الصحة النفسية للعاملين بهذه المهنة ، وأفادت الدراسة أن مهنة الصحافة من أكثر المهن تسبباً فى الاكتئاب وبالتالى الإرهاق !!

نعم .. فالموت لا عمر له .. والصحفيون ليسوا أقصر الناس عمراً .. وليس هناك أصحاب مهنة معينة على وجه الأرض مهما قَستْ طبيعتها يمكن تصنيفهم بأنهم أقصر الناس عمراً ، لأنه لا أحد على وجه هذه الأرض يموت ناقصاً عمراً !!

أما من جهة الاكتئاب والإرهاق ، فلستُ أدرى مَنْ أوْلى بهما : الصحفى ، أم العامل الذى يرصف لنا الشوارع ورأسه وجسده معرض لدرجة حرارة تقترب من الخمسين مئوية أحياناً ؟! فضلاً عن أن هناك عشرات الأعمال أشقّ وأرهق وأصعب !!

ثم هناك فارق كبير بين (الصحفى) وبين (الكاتب الصحفى) و (المؤلف المبدع) أو (المفكر الثاقب الفكر) .. إذ (سكرتير التحرير) بأى جريدة أو مجلة يسمى (صحفياً) .. وعمله يقوم على الرسم وتخطيط المساحات وتوزيع المواد بأبناطها المختلفة .. وهناك (المراجع) .. وهناك (المصحح) .. وهناك (المترجم) ،

وكله يسمى (صحفياً) .. ولا أقلل من عطائهم فالكل تروس تتعاون من أجل الإنتاج الممتاز وكلهم يبذل مجهوداً كبيراً .. لكن (المفكر) أو (الكاتب) أكثر إرهاقاً !!

ومن (الفكر) ما هو (ذَوْبُ النفس) و (عصارة الروح) .. وبرغم هذا لا يموت مفكر أو حتى مخترع وهو ناقص عمراً .. وصدق رسول الله محمد ﷺ : « لن تموت نفس حتى تستكمل ـ أو تستوفى ـ رزقها وأجَلها » .

وهنا أصلُ إلى تساؤل لا بدَّ من طرحه وهو : ما هو المعيار الذى تقوم عليه مثل هذه الدراسَات (اللاهادفة) ؟! ومن أى منطلقٍ خرج الدارسون والباحثون بهذه النتائج ؟!

* * *

صورتك الحقيقية أمام المرآة !!

ذكر المؤرخون عن (أبى الوليد بن رُشد) فيلسوف قرطبة أنه عُنى بالعلم من صغره إلى كِبَره حتى حُكى عنه أنه لم يَدعْ النظر ولا القراءة منذ عَقَلَ إلا ليلة وفاة أبيه ، وليلة بنائه على أهله ، وأنه سوَّد فيما صنَّف وقيَّد وألَّف وهذَّب واختصر نحواً من عشرة آلاف ورقة .

وحكى ابن سينا عن حياته قال : « وأكملتُ العشر من عمرى وقد أتيتُ على القرآن ، وعلى كثير من الأدب حتى كان يقضى منى العجب » .. فلما بلغ سن الشباب قال : « وكنت أرجع بالليل إلى دارى ، وأضع السراج بين يدى ، وأشتغل بالقراءة والكتابة ، فإنْ غلبنى النوم أو شعرت بضعفٍ عدلت إلى شرب قدحٍ من الماء ريثما تعود قوتى ، ثم أرجع إلى القراءة ، ومتى أخذنى أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى إن كثيراً من المسائل اتضح لى وجوهها فى المنام » .

هذان الرجلان ومثلهما كانوا مصابيح للعالم أضاءت عقله ، وكان زيت هذه المصابيح : القراءة المستمرة والتعلم المستمر ، والبحث والتفكير ، والتجربة والاستقراء ، وإلا فسلوا عن أبى الهيثم ، والبيرونى ، والزهراوى ، وابن زهر ، والكندى ، وابن البيطار ، والفارابى ، والدينورى ، والخوارزمى ، والرازى ، وابن ماجد ، وجابر بن حيان ، والجاحظ .. كيف وصلوا إلى ما وصلوا إليه فكانوا مصابيح العالم ؟!

لقد استطاعت الدولة الإسلامية أنْ تمتدَّ من حدود الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً فى أقل من قرن من الزمان ، بالعقيدة الإسلامية التى كان مفتاحها (اقرأ) ، وبالعلم ثانياً ، وبالإسلام عموماً دِيناً وخُلقاً وقيماً !!

وما أذكره هنا أوجّهه إلى شبابنا المصرى خاصة ، والعربى والمسلم عموماً .. وأسائلهم : هل تقرأون ؟ وماذا تقرأون ؟ وكيف تقرأون ؟ وما موقفكم من الفيديو وأجهزة اللهو خاصة ؟!

ومن الجواب يدرك كلٌّ واحد منهم مَنْ هو ، وما هو .

عزيزى الشاب : تركتُك أمام مرآة ترى فيها صورتك الحقيقية !!

* * *

كيف تجعل سنينَ عمرك حُلْوةً .. وتتمتع بها ؟!

رسم عديدٌ من المفكرين كثيراً من المناهج التى ينبغى أن يسير الناس على هديها حتى يسعدوا فى حياتهم ويتمتعوا بها !!

ولا يختلف اثنان من هؤلاء المفكرين ممن يهدفون إلى سعادة البشرية ولا ينزعون النزعات الهدامة فى أن (الدين) هو الحصن الواقى من مفاسد الحياة ، وهو الذى يُجنِّب الإنسان العثرات ويبعده عن المنغصات !!

وقد ذكر عالم مفكر أمريكى كبير هو (والتر ب. تبكن) فى كتابه (خير سنى العمر) أن الواجب على المرء أن يكون مؤمناً بالله بدايةً ، حتى يحيا حياة سعيدة .. ووضع فى كتابه كثيراً من المبادئ التى تُعلِّم الشاب والشيخ كيف يتمتع كلاهما بحياة طويلة هانئة ، لا يشوبها إرهاق ، ولا يعكرها مرض ولا عجز ولا قلق ، حتى أهدى راحة البال والطمأنينة إلى النفس ، وأزال غشاوة اليأس عن القلوب !!

* وقد شبَّه المؤلف الحياة بغابة ، وما أيسر أن يضل الإنسان فى الغابة دون أن يهتدى إلى الطريق السوى . غير أن الشيء الوحيد الذى يجب عمله عند هذا الحاجز ، بل عند سائر الحواجز التى تقف فى حياتنا هو أن نتغلغل فى الغابة .. فى أعماق الغابة ، وأن نشقَّ طريقنا خلالها على خير ما نستطيع .

وهناك فى الظاهر الدائم وجوه أربعة تتلخص فيها حياتنا :

أولها : الخروج إلى الحياة الدنيا . **والثانى** : النمو. **والثالث** : التناسل. **والرابع** : التكسب . غير أن هناك وجهاً خامساً أرفع من هذه الوجوه جميعاً ، ويجب أن نلتفت إليه ، وهو السبيل إلى الاستمتاع بالحياة .

وقد غمر المؤلف الطريق أمام الشيوخ بالنور ، وملأه بالأمل ، فقال : إن الحياة بعد الخمسين يمكن أن تكون من أسعد أيام العمر ، فخير السنين تأتى بعد الخمسين ، وهى خيرها بالمعنى الأعم لا بالمعنى الضيق ، فالرجل الذى لا يفهم إلا أهون أنواع الخير رجل عاثر الحظ ، لن يرتفع عن الوليد من لدن ولادته ، وقد يكون مديراً لمؤسسة ويبلغ من العمر الرابعة والأربعين ، ولكنه لا يزال طفلاً ، فيكون مصيره فى الغالب مصير أمثاله ، فينتقل من تمتمة الطفولة إلى خرف الشيخوخة فى غمضة عين يوم يعتزل منصبه الرئيسى .

إذن .. فالتعلق بالكرسى يتلف العقل ، لكن التعلق بالحياة الواسعة يمنح العقل قوةً فوق قوةٍ .

ولقد وصل ابن فرانكلين إلى الحكمة عندما قال: « إن الشاب الذى له خبرة الشيوخ سيكون شيخاً له أهمية الشباب » !!

فالشيخوخة ليست ضرراً وليست عبئاً ، إنما هى ضرورة من ضرورات الحياة ، وسبيل لا بدَّ أنْ نسلكها إذا أُتيحت لنا هذه الحياة !!

ولكى يستفيد الإنسانُ أكبر فائدةٍ من خير سنى عمره ، يجب عليه أولاً أن يسلط الضوء على نفسه ليعرف (مَنْ هو) ؟! .. وهذا المبدأ هو الذى دعا إليه سقراط فى الفلسفة الإغريقية عندما قال : (اعرف نفسك) !! ثم كتبت هذه العبارة المأثورة على معبد « دلفن » .

فعلى الإنسان أن يعرف ما الذى ينبثق من نفسه الأصلية التى وُلدت معه وهو جنين ، وكيف يشق طريقه بين الأكداس المكدسة من العادات التى اكتسبها وهو يعول أسرته ، ويكافح فى سبيل الحصول على المال الكافى لكسوة أبنائه ، وكيف وجد نفسه فى سفح جرف الجليد على حد تعبير المؤلف .

** والطريف أن المؤلف يقول : إنه يؤثر أن يكون عمره اليوم سبعين سنة على ألا يكون شاباً فى شرخ الشباب فى عصر سابق من عصور الدنيا ، ويؤثر أن يكون كسيحاً أصمَّ الآن على أن يكون (السيبادس) القائد والسياسى الرومانى الأثينى (٥٤٠ ـ ٤٠٤ ق.م) ، على عهد (بركليس) .

فالعصر الحديث يحقق الآن من الأحلام أكثر مما حققته ألوف الأجيال التى تقدمته . فمنذ سنوات طوال كان يتوقّع للوليد ساعة يولد أن تمتد به الحياة إلى الخامسة والخمسين ، أما اليوم فقد ارتفع مدى الحياة المتوقع إلى نحو سبعين سنة ، وصار عمال المصانع ينتجون فى الساعة الواحدة أضعاف ما كانوا ينتجون من قبل ، كما أصبح المزارع العصرى يحصل على إنتاج يزيد بمقدار خمسين فى المائة أو ستين فى المائة عما كان يحصل عليه المزارع القديم ، وإلى عهود قريبة .

واليوم يستطيع الإنسان أن يحصل فى عشرات الميادين على إنتاج فى أسبوع ذى عشرين ساعة عملاً ، يضارع ما كان يحصل عليه فى أسبوع ذى خمسين ساعة عملاً منذ خمسة عشر عاماً فقط ، ولذا ترانا قطعنا شوطاً كبيراً نحو بلوغ عهد يساوى العمل فيه تقريباً نصف الوقت .

ومن هنا نستطيع أن ننتفع بالفراغ ، وكان الناس منذ عهد قريب يتساءلون عما يحمل على إطالة الحياة ، ويقولون إن العمل والأسقام التى تبرى جسد الهَرِم وتدنيه من حتفه ، تجعل من سنواته الأخيرة أسوأ سنى حياته .. أما الآن فقد تقدم الطب ، واكتشفت أدوية ، وصنعت عقاقير تقهقر أمامها المرض مندحراً وأضافت إلى حياة الملايين سنوات لا تقل عن عشر وقد تبلغ أربعين فوق متوسط عمر الإنسان ، وقد تزيد .

* **بعد الخمسين** : وينصح المؤلف الإنسان بعد الخمسين بأن يخصص لنفسه جزءاً من الزمن يخلو فيه إلى نفسه ، ويدبر أموره بنفسه ، ويمارس الهدوء ، ويتجنب أن يكيد له المتعجرفون أو يضايقه المتظاهرون والدساسون .

وإذا قضى الإنسان ـ فى رأى المؤلف ـ خير سنى العمر فى عمل واحد ، حفر قبره بيديه ، فخير زمنٍ لنشاط واحد هو أن تقتطع له بعض وقتك ، فالتغيير سنّة النهار ، بل وسنّة الليل ، فالذين درسوا ظاهرة النوم يعلمون أن أعمق الناس نوماً يتقلّبون فى فراشهم مرة واحدة على الأقل كل سبع أو ثمانى دقائق ، حتى أن الأطباء يقلقون على من ينامون كأنهم خشب مسنّدة .

وينصح المؤلف بأنه إذا أوى المرء إلى فراشه فعليه أن يتذكر العبارة الآتية ، ويكررها لنفسه : « إذا أردت أن أحيا حياة كاملة عليّ أن أقوم بعدة أشياء لا يستغرق كلٌ منها إلا جزءاً من وقتى » .

** **لعب بعد الستين** : وينصح المؤلف من تجاوزوا الستين باللعب إلى جانب العمل ، ويحدد ساعات اللعب بعد الستين بأربع ساعات أو خمْس ، ويقترح لعبة الكرة والصولجان ، وغيرهما من اللعبات الهادئة .

ثم ينصح المؤلف بالقراءة الهادفة المثمرة ، ويعلق على ذلك بقولة (جون رسكين) المشهورة : « لما كانت الحياة قصيرةً جداً ، أو ساعات الهدوء فيها قليلة ، كان واجباً علينا ألا نضيع شيئاً منها فى مطالعة كتب لا قيمة لها » !!

فهناك ـ على حد تعبير (تبكنْ) ـ بعض الكتب تساعد على التفكير أو النوم العميق أو تعطى بديلاً عن المسكنات ، وبعضها الآخر يثير القلق والأرق والمنغصات !!

وينبّه المؤلف إلى المبدأ القائل : (استخدمها أو دَعْها) ، ويقول : « إن هذا القانون الطبيعى هو صاحب السيطرة المطلقة على جميع العادات التى هيأتها الظروف ، كما أن هذا المبدأ يُجنّب الإنسان المتاعب فى الحياة .

** ويجب على المرء أن يتجنب متاعب الراحة ، فإن للراحة متاعب كما أن للعمل متاعبَ ، ولا بدَّ من استغلال الوقت فيما هو نافع ومفيد ، فأسعدُ الناس رجل عليه تبعات يحبها ويستطيع أن ينهض بها على وجه حسن ، ويعالجها علاجاً مقبولاً ولو ببذل الجهد ، وأقل منه سعادة مَنْ عليه تبعات يكرهها ولو أنه ينهض بها بمهارة .

وأبسط تبعات الإنسان ما كان مُنْصبّاً على ذاته ، إذ إن عليه أن يرعى صحة جسمه وعقله رعاية دائمة ، وأن يخصص لهما ما يحتاجان إليه من وقت ونشاط .

** وهذا قليل من كثير مما تضمنه كتاب (خيرُ سِنى العمر) ، لمؤلفه (والتر تبكن) .

مسلمون تائهون .. و .. آخرون معذَّبون !!

أطفال لبنان يُباعون إلى ألمانيا !!

عصابات عالمية مُنظمة تنظيماً دقيقاً ، وأجهزة مختصة تعمل فى تجارة الرقيق الأبيض بين أوربا ولبنان !!

وأىُّ رقيق ؟!! إنه هـذه المرة أطفال صغـار ، يختفـون فجأة مـن شوارع بيروت أو حـاراتها ، ليظهروا فيما بعد ـ أو لا يظهـرون ـ عند أُسَرٍ أخـرى غيـر أسـرهم وأهليـهم .. وعادة تكون هذه الأسر بمكان ما فى أوربا !!

وقد اتضح الأمر مؤخراً عندما علمت بلدية (فرانكفورت) بألمانيا الغربية بنشاطات لشركة ألمانية تشترى الأطفال من العالم الثالث ـ أو تخطفهم بوسيط ـ وتبيعهم لعائلات فى ألمانيا الغربية لتتبناهم !!

وتتضح أبعاد أخرى للفضيحة الإنسانية الجديدة عندما نعلم أن هناك تسعيرة للبيع . إذ يبلغ معدل سعر الولد من دولة فقيرة ١٢ ألف مارك ألمانى (حوالى ٧١٠٠ دولار أمريكى) ، فى حين أن الولد من الشرق الأقصى أكثر ارتفاعاً ، إذ يقدَّر بـ ١٥ ألف مارك (حوالى ٨٩٠٠ دولار أمريكى) ، أما سعر الولد من الشرق الأوسط ويُراد به هنا (لبنان) بالذات ، فيبلغ ضعفى القيمة المذكورة .

* * وتحت ضغوط عديدة وانكشاف ما كان مستوراً اعترفت شركة (هامل وكيلر لتأسيس العائلات) أنها قايضت مؤخراً على شراء (٨) أطفال ، وأكد مديرها (أوفى هامل) بأن تهديدات البلدية بمنع نشاط الشركة ليس سوى كلام!

** أهذه هى المدنيـة الحـديثـة ؟!! بعـد تجـارة الأعـراض وأسلحـة الموت تأتى المتاجرة بالطفولة !! فالمهمُّ هو المال .. والمال فقط يعبدونه من دون الله .. ولا يهم وسيلة تحصيل المال !! فـ (ميكيـافيلى) ما زال يحكم العقلية الغربية .. إنهـا الهمجية بعينها والانتكاسة بالإنسانية !!

** تُـرى تحـت أى تعليل يمكن تفسير هـذه الفضيحة ؟ حـرية السـلوك .. أم حـرية التـصـرف .. أم أى حرية تلك من الحريات التى أزعجونا بهـا وخدعـوا أنفسهم وخدعوا السذج ؟!!

ومـا هو ردُّ الفـعل لدى الأمم العـربيـة والإسـلامـيـة ، ولا شك أن هناك أطفـالاً مسلمين فيمن يباعون لينشأوا فى حضن الكفر والضلال ؟!

وإلامَ ستستمر هـذه المأساة ، وقـد اعترف (هامل) بأنه يتقاضى أجـراً قيمته (٥٠٠٠ مارك ألمانى) أى ما يوازى (٣٠٠٠ دولار أمريكى) عن كل ولد يباع إلى عائلة تتبناه .. والاعتراف سيد الأدلة .

* * *

هذا هو (قرنق) !!

إنه إنسان (ديمقراطى) .. إنه إنسان (ذكى) .. إنه إنسان (مثقف) !!

إنه يريد (الحرية) للجميع !! إنه من المؤمنين بأن الدين لله وإن الوطن للجميع .. إنه يريد (الخير) للشعب السودانى كله .. ولن يرى السودان خيراً إلا تحت زعامة (جون قرنق) !!

هكذا تردد أبواق الغرب .. وهكذا يقول صوت روسيا ..

ولا تناقض لأن (قرنق) يلعب على الحبلين .. فهو (علمانى) وهو (مسيحى) صليبى متعصب .. وفى نفس الآن هو (ماركسى ـ لينينى) .. وفى نفس الوقت هو (أمريكى) قح !!

نعم .. لقد استطاع أن يصهر نفسه فى بوتقة (التناقضات) وباعتباره خريج جامعة أمريكية ، فهو مثقف ديمقراطى صاحب قضية ، وباعتباره منادياً بالمبادئ الماركسية ـ اللينينية فهو الحبيب المخلص لهذه المبادئ من الروس برغم سقوط اللينينية !! ولهذا لا مانع أن ينقلب عليها من أجل عيون (جورباتشوف) و (يلتسين) الرجل القوى !! بل هو الآن منقلب فعلاً لا لكرامة الإنسان التى نادت بها الشيوعية على الورق وبالميكروفونات فقط ، إنما لأن الموجة العالمية التى يركبها أسياده تقتضى ذلك !!

لذلك ليس غريباً أن يعلم كل مسلم أن (أديس أبابا) هى العاصمة الروحية لقرنق ، وفيها يقضىَ أغلب أوقاته .. وبالتشاور مع رئيسها السابق (منجستو) والذى خلفه الآن ، يتخذ أهم قراراته ، بل وفى أراضيها العميلة يتدرب أتباعه ويقيمون إذاعتهم الخاصة ، ومنها ينطلقون لممارسة العمل العسكرى المستهدف به فى حقيقة الأمر (الإسلام والمسلمين) !!

** ومـن هنـا أيضاً لا يعجب المسلم عنـدما يرى التحالف بين (الصليب) و (المنجل والمطرقة ـ سابقاً) وما يستخدم بدلاً منهما ، فى دعم (قرنق) ما دام الهدف هو (حرب الإسلام) وتفتيت وحدة (بلد مسلم عربى) !!

** و (قرنق) بعد مذابحه للمسلمين ، وحربه وإنهاكه لاقتصاد السودان وإعلانه الحَجْر على المساعدات الغذائية لإنقاذ حياة مئات الألوف من الموت جوعاً ، وإسقاطه من قبل طائرة مدنية ، وإعلانه الحرب المسلحة حتى الوصول (للسلطة) ، يريد اليوم (السلام) .

** هذا هو (قرنق) فى الحقيقة .. فيا ترى ما هو (سلامه) ؟! وماذا يريد من ورائه ؟! إنه يـريد إعلان دولة جنـوب السودان الصليبية الإسرائيلية المستقلة .. إنه يريـد (سلاماً) أيضاً بلا إسلام ولا مسلمين !!

وقد علمت من مصادر وثيقة أنه فى فترة سابقة تم اجتماع فى (جنيف) بين ممثلين لجبهة قرنق ، وممثلين لإحدى الجماعات التى تستغل الدين وتتستر وراءه بالسودان ،وذلك برعاية مندوب من (الفاتيكان) .. وتأكد لى أنه قد تمَّ فى هذا الاجتماع الاتفاق على تقسيم السودان على أساس دينى ، بحيث يخضع الشمال للجماعات المتسترة بالدين ، ويخضع الجنوب للكنيسة الكاثوليكية ، وأن تقوم جماعة قرنق بتصعيد القتال فى الجنوب من أجل إضعاف النظام الديمقراطى تمهيداً لاستيلاء الجماعات على السلطة بالشمال ، كما تم الاتفاق على أن يتم وضع التفاصيل فى اجتماع بلندن بعد فترة من الوقت لاتضاح الرؤية !!

ترى ماذا يفعل المسلمون المخلصون من أبناء السودان ؟ وما موقف المسلمين فى كل مكان من دعم مسيرة الإسلام بالسودان وهى تواجه أعداءً من أشرس وأذكى وأقوى الأعداء ؟!! خاصـة أن هنـاك من يلبس ثوب الإسـلام وهو خادم أمين لأعدائه ، ينادى بالدين وهو سفاح مبين ، وينادى بالعدالة الاجتماعية وشعبه مطحون بين فكى جيشه وشرطته !! فهل وعى قادة السودان أن من بطانتهم قطاعاً عريضاً يدَّعى الإسلام وهو ليس أكثر من عميل .. وهو أسلوب فى الدس طالما اعتمده أعداء الإسلام مـن قديم الأيام ، يتطلب يقظة ، وقبـل اليقظة حس روحى واستبصار كبير . كان الله فى عون السودان !!

مأساة مسلمى بلغاريا لا تزال مستمرة !!

لم تنته بعدُ معاناة مسلمى بلغاريا .. وهى معاناة بدأت منذ أن سيطر الشيوعيون على الحكم هناك فى عام ١٩٤٦م .. وكانت الخطوات الأولى التى خطتها السلطات الشيوعية هى إجبار المسلمين على الهجرة إلى تركيا ، حتى أنه ما بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥١م هجّر إلى تركيا أكثر من (١٥٠ ألف) بلغارى « تركى مسلم » !!

إلا أن النقص الذى سببته تلك الهجرة فى عدد الفنيين فى بلغاريا ـ مما أوقف حال كثير من الأعمال ـ دفع الحكومة البلغارية لانتهاج أسلوب آخر يركز على إذابة الشخصية الإسلامية ، وذلك بتفريق المسلمين بعضهم عن بعض ، على أساس قومى عرقى ، حيث تمّ فصل كل من (الأتراك) و (البوماتسيين) و (الغجر) عن بعضهم ، وتخصيص كل قومية بدار إفتاء خاصة بها !! وتشكل هذه الأقليات المسلمة مجتمعة حوالى ٢٠٪ من مجموع سكان بلغاريا .

* إزالة الوجود الإسلامى :

وفى تقرير صادر عن المنظمة العالمية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ، نوّهت المنظمة بالأساليب التى انتهجتها السلطات الحكومية لإزالة الوجود الإسلامى فى بلغاريا .. وأشارت إلى المرحلة التمهيدية التى تمت فيها محاولة دمج المسلمين الأتراك فى الشعب البلغارى أيديولوجياً ، وما تبع ذلك من إدخال أعداد كبيرة من الأتراك فى أجهزة الدولة وأجهزة الحزب الحاكم .. ولما أثبتت هذه السياسة فشلها لجأت الحكومة إلى التضييق على المسلمين .

*** منع الصحف والملابس التركية :**

ويقول التقرير : منذ عام ١٩٨٤م لم يعد هناك وجود لمجلات أو صحف باللغة التركية ، ومنع الاستعمال العلنى للغة التركية ، ومنع ختان الأولاد على الطريقة الإسلامية ، ومنعت الجالية التركية من إظهار أى مظهر ينمُّ عن طبيعة الأقلية التركية الخاصة ، مثل السروال واللباس التركى .

*** الحملة الكبيرة :**

ومنذ ديسمبر سنة ١٩٨٤م بالتحديد قادت السلطات البلغارية حملة كبيرة موجهة ومخططة لتغيير الأسماء التركية الإسلامية بأسماء بلغارية مسيحية أو شيوعية .

وقد بدأت هذه الحملة بمحاصرة المليشيات الحزبية المصاحبة بالكلاب البوليسية والجيوش المدعمة بالدبابات لقرى الأتراك المسلمين لإرغام السكان بقوة السلاح أحياناً لأخذ بطاقات هوية جديدة ، وتوقيع إقرار بأنهم تابوا برضاهم وبدون ضغط . وقد ترتب على ذلك حدوث محاولات للتجمع والاحتجاج والتظاهر ضد هذه الإجراءات .

*** الاعتقال والإعدام :**

وقامت قوات الأمن بإطلاق النار على المتظاهرين ، مما أدى إلى حدوث عدد من الوفيات . وقد استطاعت منظمة العفو الدولية تدوين (مائة) من الأسماء التى سقطت قتلى .. كما تمَّ اعتقال عدد كبير من أبناء الجالية التركية لعدم تغييرهم أسماءهم ، وجرى إعدام بعضهم رمياً بالرصاص ، وبعضهم الآخر حُكم عليهم بالأشغال الشاقة فى معسكرات الاعتقال .

*** هذا هو السبب الحقيقى :**

ومن الأسباب التى أوردها التقرير لهذه الحملات المعتادة والمتكررة بين الحين والآخر : التمركز الإسلامى فى أماكن لها أهميتها الاقتصادية .

غير أن السبب الجوهرى والحقيقى لما يلاقيه المسلم فى بلغاريا هو الحقد الصليبى والإلحادى على الإسلام ، وهو حقد قديم وملفاته سوداء ببلغاريا ..

وتبدأ تلك الملفات من عام ١٣٩٣م عندما حكم الإسلام بالحق والعدل وبقى حاكماً فى شمال بلغاريا (٥١٥ سنة) ، وفى جنوبها (٥٤٥ سنة) .. ولم يسقط كحكم إلا حينما تمزقت أوصال الدولة العثمانية وتهشّمت أطرافها !!

**** والآن :**

وبعد أن كان عدد مساجد بلغاريا فى عام (١٨٧٦م) بالتحديد (٤٨٦٠) مسجداً ، دُمِّرَ أغلبها ، حتى لم يبقَ بكل أنحاء بلغاريا سوى قرابة الألف مسجد ، ومعطلة فيها إقامة الشعائر الإسلامية ، كما عُطِّلَتْ مدارس تعليم القرآن الكريم (٦٨٠) مدرسة ، وأُغلقتْ سائر المدارس الخاصة بالمسلمين (٤١١٢) مدرسة .

ولم تنته المعاناة بعد .. وإن كنا ما زلنا لا نعرف عنها إلا القليل ، بسبب الستار الحديدى المضروب حولها ، والتعتيم الإعلامى المفروض على أخبار المسلمين ، وذلك نهج متّبع ليس فى بلغاريا وحدها ، وإنما فى سائر الدول الاشتراكية ، وإن كان النهج الاشتراكى ببلغاريا أصبح الآن فى (خبر كان) !!

*** المعاناة مستمرة حتى نعلم بعكس ما كان :**

الآن يحكم بلغاريا رجل يحمل الدكتوراه فى الفلسفة ، وهو الدكتور (جيليو جيليف) ، وهو رجل اضطهد من قبل بسبب كتابه عن (الفاشية) .. واعترف أكثر من مرة بأن النظام الشيوعى السابق قد أجرم فى حقّ المسلمين هناك !!

فهل يأتى نظام (د. جيليف) بشىء يردّ اعتبار المسلمين البلغار .. أم أن المعاناة ستستمر ولكن بأشكال أخرى ؟!

يمكن أن نقول إن معاناة المسلمين البلغار لا تزال مستمرة حتى نعلم يقيناً بأنها انتهت إلى الأبد فى ظل النظام الديمقراطى الجديد .. فكم من نظم ديمقراطية نبتت لها أنياب ومخالب ؟ و (المسلمون) بكل أسف هم (الحائط المنخفض) الذى تصعد عليه (الكلاب) فى هذه الدنيا التى ضاع فيها العدل !!

المسلمون فى الأورجواى .. تحت ضغوط التنصير بلا مركز إسلامى !!

(الأورجـواى) .. أصـغـر دولة فى أمـريكا اللاتينيـة .. يطلقون عليها (كف اليد) أو (سويسرا أمريكا الجنوبية) ، التى تحتـضنها شـواطئ المحيط الأطلنطى ، و (نهـر لابلاتا) أعرض أنهار العالم !!

*** هذه هى الأورجواى :**

مساحتـهـا ١٧٦ ألف كيلو متر مـربع ، وهى مساحة صغيـرة إذا قُورنت بجاراتها .. تنتشر بسائر أرجائها مجموعات التلال المروية بواسطة الأنهار التى تصبُّ فى البحر ، حيث لا توجـد جبال عالية ولا سهول واسعة .. كذلك لا توجد غابات ولا مناطق صحراوية !! أما الهزات أو الزلازل الأرضية فهى غير معروفة على الإطلاق مما يساعد على الاستقرار بها .

والمناخ هناك معتدل على امتداد البلاد ، وتتراوح درجات الحرارة بين ٢٧ درجة مئوية فى الصيف ، و١٨ درجة مئوية فى الشتاء .

العاصمة (مونتڤيديو) ، وهى مدينة هادئة ، ويتمتع مواطنوها بمستوى معيشى اجتماعى مرتفع ، ويسكن بها ٤٤,٥ ٪ من مجموع سكان الأورجواى .

*** المسلمون ومشاكلهم :**

تاريخ المسلمين فى (الأورجـواى) تاريخ حـديث ، إذ إن أغلب السكان هم مواطنون قدماء ، زاد من عددهم هجرات كثيفة فى القرنين ١٨ ، ١٩م بالذات .

ولم يدخل الإسلام هناك إلا فى العصر الحديث ، مع بعض المصريين والسوريين واللبنانيين الذين هاجروا فى منتصف هذا القرن واستوطنوا هناك !!

ومما يؤسف له أن المسلمين هناك ممزقون ، بلا رابط يجمعهم ، خاصة أنه لا توجد مؤسسات إسلامية هناك ، ولا أية مركز إسلامى يجمع فرطهم وينظم شئونهم ويكون مرجعهم فى أمور دينهم .

وتواجه الأقلية المسلمة هناك (أكثر من ٢٠٠٠ مسلم) حملات تنصيرية هائلة تستهدف إذابتهم فى المجتمع المسيحى ، والقضاء على البقية الباقية من هويتهم .

* مجرد اقتراح :

وأنا أوجه اقتراحى لإنقاذ المسلمين بالأورجواى إلى رجال الأعمال بصفة خاصة .. فمن المعلوم والثابت تاريخياً أن رجال الأعمال المسلمين قديماً هم الذين نشروا الإسلام ، بتنقلاتهم ومشاريعهم التجارية التى أنشأوها هنا !!

وأحب أن أنبّه إلى أن فرص الاستثمار هناك هائلة خاصة فى مجالى الزراعة والثروة الحيوانية ، فمع أن التربة هناك خصبة وغنية وصالحة للزراعة ، فإنه لم يتم استغلال سوى حوالى ١٠ ٪ من مجموع الأرض الصالحة للزراعة .

كما أننى أهيب بالمؤسسات والهيئات الإسلامية العالمية محاولة إقامة مركز إسلامى هناك يقوم بنشاطات ثقافية واقتصادية كزراعة الأراضى وتشغيل مسلمين بها .

أمام رجال الأعمال المسلمين فرصة هائلة لاستثمار أموالهم فى دعم الأقلية الإسلامية فى الأورجواى ، بدلاً من إضاعتها فى صالات القمار والفسق وعلى العاهرات .

أسرار عملية « التنين » ضد مسلمي بورما !!

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ..

وهذا الاهتمام نوع من الانتماء .. والإحساس الراقى ، ولا بدَّ من اهتمام بإخواننا فى الدين ولو كان بمجرد الحزن لهمومهم ، لأن مَن يفقد هذه الدرجة الدنيا من الاهتمام بغيره من المسلمين لا يدخل فى مسماهم ولا حتى اعتباريتهم ، حسب منطوق الحديث النبوى الشريف .

* **وفى بورما** .. يواجه المسلمون منذ خمسين عاماً حربَ إبادة جماعية تشنها عليهم الحكومات البوذية المتوالية على حكم بورما .. فى مذابح متوالية يروح فيها عشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال .

ولا ينسى مسلمو بورما تلك المذبحة الشنيعة التى قام بها البوذيون ، حينما تمَّ جلاء القوات البريطانية عن بورما عام ١٩٤٢م ، فذبحوا فيها قرابة المائة ألف مسلم !!

لقد أحرقوا الرجال والنساء والأطفال أحياء ، وأخلَوْا مئات القرى من سكانها المسلمين ، وكانت هذه المذبحة بداية حرب الإبادة المستمرة دون هوادة حتى كتابة هذه السطور ، مما دفع الآلاف إلى الهجرة للدول المجاورة كبنجلاديش وباكستان وإلى دول الخليج .

* ومنذ عام ١٩٧٨م تصاعدت حرب الإبادة لاستئصال شأفة المسلمين من بورما ، وبدأت تأخذ الشكل المنظم المخطط له مسبقاً !! وبدأت حرب الإبادة بعملية أطلقوا عليها (عملية التنين) ، استعانوا فيها بعدد ضخم من أفراد القوات المسلحة والشرطة بالتعاون مع القوات الخاصة للنظام الحاكم هناك ، وقاموا باعتقال الآلاف من الرجال والنساء والأطفال وأوقعوا بهم صنوف العذاب .

واستمرت عمليات القتل والتشريد والاعتقال والتعذيب والاعتداء على أعراض النساء المسلمات واغتصاب الفتيات العذارى بشكل همجى بربرى يفوق كل تصور أو خيال .

وتنتهى عملية التنين مخلّفة وراءها مائتى ألف مسلم دون مأوى ، فضلاً عن إجبارهم على ترك بيوتهم لتصبح قرى المسلمين خراباً ينعق فيها البوم .

والخبر الوحيد المفرح وسط هذا الركام من الحزن المتدفق أن حوالى خمسة عشر ألفاً من هؤلاء البؤساء تمكنوا من اجتياز نهر (نان) بحثاً عن مأوى لهم فى بنجلاديش .

* والآن بدأ (جستابو بورما) عملية أخرى ، أو عمليات أخرى بمسمى (الثعابين الملتهبة) لإنهاء الوجود الإسلامى ببورما تماماً .

وأنا من موقع المسئولية كمفكر وكاتب عربى مسلم أستصرخ العالم الإسلامى والهيئات والمنظمات الإسلامية والعالمية ، وأطالبها بالتدخل الفورى والإنسانى لدى حكومة بورما البوذية لإيقاف المذابح المستمرة للمسلمين والمطاردات التى لا تتوقف ، ثم النظر فى كيفية مساعدة اللاجئين البورماويين .

* * *

ماذا يحدث لمسلمي كمبوديا ؟!

*** قتل العلماء المسلمين واجبٌ قوميٌّ شيوعى !!**

*** تحويل المساجد إلى حظائر للخنازير مهمات رسمية .**

*** يا دعاة حقوق الإنسان زُوروا (إنجوبان) و (إندويخصا) بكمبوديا !!**

بعد سقوط كمبوديا فى أيدى الشيوعيين ، ومنذ خمسة عشر عاماً والإسلام والمسلمون يُضربون بيدٍ من حديد ، وقد امتدَّ المخطط الإلحادى فى السنوات الأخيرة بكل القسوة وسائر أنواع الأذى للمسلمين !!

ورأيت من واجبى ككاتب ومفكر أن أكشف النقاب لكل ذى بصر ، عن بعض ألوان الأذى التى تصيب المسلمين يومياً .

* تمَّ طرد المسلمين عن قراهم ، وإجبارهم للجوء إلى الغابات والجبال .

* تم بالفعل تحويل مساجد المسلمين إلى حظائر للخنازير التابعة لمزارع الحكومة الشيوعية .

ـ ويمكن للجان تقصِّى الحقائق سواء من المسلمين ، أو من الدول المعنية بحقوق الإنسان ـ ولست أدرى أىَّ إنسان بالضبط يعنون ـ زيارة قريتى (إنجوبان) و (إندويخصا) ، ليتأكدوا بأنفسهم وعياناً جهاراً من سائر أنواع (السحق) و (المحق) و (السحل) وصنوف الإهانات و (القمع) و (الإذلال) للمسلمين ، وكيف تم الاستيلاء على مساجدهم عنوة ، وتدمير بعضها ، وتحويل البعض الآخر إلى (حظائر للخنازير) !!

* ويحدث الآن .. وحتى كتابة هذه السطور :

- منع المسلمين من أداء الصلاة ، وسائر أنواع الشعائر الإسلامية الأخرى .
- إجبار النساء المسلمات على الطلاق من أزواجهن المسلمين ، وتزويجهن وبناتهن بالإكراه من البوذيين والشيوعيين .
- إجبار المسلمين على أكل لحم الخنزير وتربيته ، ومنع اللحم المذبوح على الشريعة الإسلامية .
- منع المسلمين من استعمال اللغة العربية أو لغاتهم الخاصة ، والتنبيه عليهم بعدم قراءة القرآن الكريم .
- قتْل جميع علماء المسلمين الذين درسوا بجزيرة العرب ، أو بالأزهر الشريف بمصر ، والتخلص من الجيل الصاعد من أبناء المسلمين المقيمين فى كمبوديا ، الذين يدرسون الإسلام وتعاليمه ، واعتبار هذا (القتل) وكل وسائل التخلص منهم واجباً قومياً شيوعياً ، وآخر من تمّ التخلص منه شيخ الإسلام بكمبوديا الشيخ (عبد الله إدريس) ، الذى كان له جهاده الكبير فى دعم الحركة الإسلامية ومسيرتها بكمبوديا .
- إحراق جميع المصاحف الشريفة ، وكتب الأحاديث النبوية ، وكذلك الكتب الدينية بشتى شرائحها .

ومَنْ يرتفع صوته ضد هذا الإرهاب ، والمخطط الرهيب ، يكون مصيره الموت .. وما زال مسلمو كمبوديا بين فكّى (المطرقة والمنجل) ، اللذين تحطما فى روسيا نفسها وما زال الأغبياء يصرون عليهما ..

فمن لمسلمى كمبوديا يا مسلمون ؟!!

* * *

شعب الأراكان المسلم (بورما) يعيش مأساة لا آخر لها !!

*** مذابح للمسلمين بين الحين والآخر ، وقوانين للقضاء على الإسلام شكلاً وموضوعاً !!**

*** المسلمون هناك حقول تجارب لكل أحقاد الشيوعية والبوذية والعنصرية !!**

(أراكان) بلاد إسلامية تحولت بالاحتلال لتُصبح خامس ولاية من ولايات ما يسمى الآن الجمهورية الاشتراكية لولايات بورما المتحدة البوذية !!

وكانت (أراكان) دولة لها كل مقومات الدول منذ عام ١٨٢٣م ، ونسبة السكان المسلمين فيها تبلغ ٩٠ ٪ ، أما البوذيون فنسبتهم كانت فى ذلك الوقت ٥ ٪ ، حيث كانوا من النازحين من البلدان المجاورة لأراكان !!

*** ماذا تعرف عن الأَراكان ؟**

تقع (أراكان) على الساحل الشرقى من خليج البنغال ، ممتدة شمالاً وجنوباً طولاً ، وتنفصل عن مناطق بورما الأخرى بسلسلة جبال ، كما أن خليج البنغال ونهر (نان) هما الحدّان الغربيان لها حيث يفصلانها عن (بنجلاديش) .

ومساحة أراكان تقدر بحوالي ١٤٩١٤ ميلاً ، وأراضيها زراعية وغاباتها تمثل ثروة كبيرة ، وبها ثماني مدن كبيرة .

كما أن نسبة سكان أراكان كانت تقدر بحوالى ٢٢ ٪ ، بالنسبة لجملة عدد سكان بورما قبل دخول القوات البريطانية **ولضعف الحكم فى أراكان استولى البوذيون على الحكم وكوّنوا مملكة بورما !!**

*** فصل الأراكان عن الهند :**

عند الغزو البريطانى وقف شعب أراكان المسلم فى وجه الهجمات الثلاث التى

شنّها البريطانيون على أراكان وبورما فى الأعوام ١٨٣٤م و ١٨٥٢م و ١٨٥٥م ، حيث انتصر البريطانيون وصبُّوا جام غضبهم وحقدهم على مسلمى أراكان ولأغراضهم السياسية فصلت هذه المنطقة عن (الهند المتحدة) عام ١٩٣٧م .

*** بداية المأساة :**

من ذلك التاريخ بدأت مأساةُ مسلمى أراكان ، فشهد العام ١٩٤٢م أولى مذابحهم على أيدى القوات البريطانية ، حيث بلغت الضحايا أكثر من ثمانين ألف ضحية رغم مساندتهم للبريطانيين فى حربهم مع اليابان فى الفترة من ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥م ، بأمل أن يرفع عنهم الظلم وينالوا الاستقلال بعد انتهاء الحرب !!

*** البوذيون يتسلمون مقاليد الحكم :**

استمر اضطهاد الأراكانيين وتهميشهم حتى عامِ ١٩٤٧م ، عام المطالبة بالاستقلال ، حيث قتل البوذيون المفاوض المسلم ، وأُغلقَ البابُ أمام المسلمين ، وتجاهلتهم الحكومة البريطانية ، وتسلم البورماويون البوذيون مقاليد الحكم عام ١٩٤٨م ، وأُعلن عن قيام اتحاد جمهورية بورما بولاياتها الخمس ، وسُلِّم المسلمون لاستعمار بوذى عنصرى جديد !!

*** المذبحة الثانية :**

اتخذ البوذيون الوثنيون من أرض أراكان الإسلامية مقراً لإدارة مذبحة ثانية ضد المسلمين عام ١٩٤٩م ، مستعملة كلَّ وسائلِ البطش والقمع مما اضطر مئات الآلاف إلى اللجوء للدول الإسلامية المجاورة ، ومن بقى منهم عاش أسير العنصرية البوذية .

*** إذا أرادوا البقاء :**

أعلن (أونون) أول رئيس لبورما عشية الاستقلال عام ١٩٤٨م أن اسم جمهورية اتحاد بورما مشتق من بورما ، وهى للبوذيين ، ولهذا يجب على المسلمين القبول بالوثنية إذا أرادوا البقاء فى البلاد .

*** الحرب البوذية ضد الإسلام :**

أما القوانين التى فُصِّلت لإذلال الشعب الأراكانى واجتثاثه من جذوره الإسلامية فهى : تغيير حروف القرآن الكريم بحروف بورمية ، وتطبيق المناهج البورمية فى التعليم وفقاً للثقافة البوذية ، وإلغاء التعليم الإسلامى مع إغلاق المدارس والكتاتيب الإسلامية الموجودة فى مساجد أراكان ، وإجبار المسلمات على الزواج من وثنيين ، وإلغاء الأسماء الإسلامية والعربية وتسمى المسلمين بأسماء بوذية ، وتحريم الحجاب على المسلمات ، ومنّع المسلمين من نحر الأضاحى !!

*** مزيد من القوانين الجائرة :**

فى العام ١٩٦٢م استلم السلطة شيوعى بوذى آخر هو (الجنرال) (نى وين) فأصدر مزيداً من القوانين الجائرة ، هضم بها البقية الباقية من حقوق مسلمى أراكان ، وألغى البرامج الإذاعية الموجهة باللغة الأراكانية الروهنجية ، وصادر المطابع والصحف الإسلامية ، كما أمّمت السلطات الشيوعية البورمية أوقاف المساجد والمدارس الإسلامية والهيئات الخيرية المملوكة لشعب أراكان ، ومنعت طبع الكتب الإسلامية ، كما حرمت إدخالها من الخارج ، كذلك منعت سفر الطلبة المسلمين للدراسة خارج بورما وحجبت الوظائف العسكرية والمدنية عنهم .

وكان من جراء التأميمات والمصادرات التى قامت بها السلطات الشيوعية البورمية أن فقد المسلمون فى المرة الأولى ما نسبته ٩١٪ من ممتلكاتهم !!

*** كيف ضاعت ثروات المسلمين ؟**

كما ألغى الشيوعيون الأوراق النقدية من فئة الخمسين والمائة فى نفس عام الانقلاب الشيوعى ووعدت الشعب الأراكانى بالتعويض عنها بعملة جديدة ولم يَفُوا بعهدهم ففقد المسلمون كل ثرواتهم المتبقاة ، وأهلكهم الفقر والفاقة فمات الكثيرون منهم جوعاً !!

*** الاستيلاء على أراضى المسلمين :**

وقد قامت السلطات البوذية بمنح البوذيين الذين أتوا من الدول المجاورة أراضى

مَنْ فرَّ بدينه من مسلمى أراكان وسخَّرت من بقى منهم فى الأعمال الشاقة واعتُقل البعض فى معسكرات خاصة .. وأصبح الأراكانيون معرضين للاستجواب والاعتقال والتوقيف فى كل لحظة !!

*** حقول تجارب :**

فى يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٨٨م خلف الجنرال (ساوموبخ) الدكتاتور (نى وين) فى السلطة بعد حركة انقلاب عسكرى صورى ، لم ير فيه الأراكانيون أكثر مما قاسوا منذ واحد وأربعين سنة حيث أصبحوا حقل تجارب لكل أحقاد الشيوعية والبوذية العنصرية ، لم يسمعوا خلالها كلمة حق أو مناصرة من دول العالم ، أو حتى مجرد إشهار لقضيتهم بأجهزة الإعلام العالمية .

*** لاجئون بكل مكان :**

تقول التقارير : إن معظم أهل أراكان أصبحوا من اللاجئين المنتظرين أمل الاعتراف بهم كلاجئين وتقديم العون لهم .

ويتركز اللاجئون فى الدول المجاورة (باكستان وبنجلاديش) وبعض دول الخليج العربى ، وفى العديد من دول العالم .

*** بداية حركة الجهاد :**

الجدير بالذكر أن حركات الجهاد فى أراكان لم تتوقف طيلة هذه الفترة ، فقد تكونت أولى فرق الجهاد الإسلامى عام ١٩٥٣م بقيادة الشهيد (جعفر قوال) الذى استشهد عام ١٩٥٥م ، ثم توالت بعد ذلك الفرق الجهادية لمقاومة الحكم العنصرى البوذى ، وما زالت نار الجهاد ضد الظلم والإبادة تتقد فى قلوب أبناء أراكان .

ولكن أين المسلمون من إخوانهم بأراكان ؟ ومن يوصل صوتهم لمناشدة المنظمات والهيئات والوكالات الرسمية العالمية ؟!

إنها قضية إخوان لنا .. فى (قمقم التعتيم) ، فمتى تخرج (المأساة) إلى النور ؟!!

وجهة نظر هامة .. فى قضية تقسيم لبنان !!

* **المسلمون والمسيحيون منتشرون فى أقطار الأرض ، ويتعايشون بسلام .. فمن يزرع الأحقاد بينهما ؟!**
* **تجميع أتباع كل ديانة فى منطقة معينة أمر لا عقلانى !!**
* **المطالبة بوحدة الشعوب المسيحية المشرقية ، والانعزال عن المناطق الإسلامية مخطط صهيونى قديم !!**
* **المعركة الفكرية والحضارية التى يقودها دعاة تقسيم لبنان لن تنتهى لصالح العرب والمسلمين !!**

المسلمون فى لبنان دفعوا ويدفعون كل يوم ثمناً غالياً من أجل الحفاظ على مقومات لبنان ووحدة أبنائه ، وبرغم ذلك تنبعث بين الحين والآخر أصوات نشاز وناشزة تدعو إلى تقسيم لبنان إلى كنتونات طائفية ضيقة !! هذه الأصوات تحاول العودة إلى الوراء ، وتخريب كل جهد يرمى إلى إنقاذ لبنان من شرور الاحتلال والتبعية بهدف خلق مناخ محلى مضطرب تشحن فيه النفوس بالقلق وتدعو إلى إقامة ما يسمى بالمجتمع المسيحى تارة ، والمجتمع المسيحى الشرقى تارة أخرى !!

ومن خلال استقراء الأفكار وطروحات هؤلاء التقسيميين نرى طروحاتهم التالية : يقول هؤلاء : لا بد للمؤمنين بضرورة حماية قيم المجتمع المسيحى الحضارية أن يسألوا القيّمين على المجتمع المسيحى حول الإجراءات التى يتخذونها فى دراسة وتخطيط وإنجاز خطوات عملية فى تثبيت هوية الشعب المسيحى اللبنانى التاريخية والثقافية . ولا بد أيضاً من التساؤل عن مقدرة المؤسسات المسيحية على تأدية مهمتها فى تكريس الوجود المسيحى فى لبنان وحمايته من محاولات (الاختراق الفكرى) والتربوى والثقافى ، وما فعلته تلك المؤسسات لتبعث تراثنا القومى الحضارى ، ليس فى لبنان وحدها ، بل بالنسبة لسائر الشعوب المشرقية الشقيقة !!

*** بناء لبنان عبر جناحين :**

وهناك دعوات أخرى تطالب ببناء لبنان عبر جناحين متوازيين ، لكل جناح حقوقه ضمن مساحة فكرية جغرافية . والمقصود بالمساحة الجغرافية فى مفهوم دعاة التقسيم ، ومنهم (سامى فارس) رئيس تحرير جريدة (صوت المشرق) ـ التى تتبنّى الدعوة إلى قيام مجتمع لمسيحيى المشرق العربى ـ أن يكون لكل شعب من الشعوب أو فئة من المجتمعات البشرية مساحة جغرافية ، تتفاعل ضمنها ، وتعيش فيها حياتها الروحية والفكرية والوضعية والمادية .

ومن الشروط الأساسية لتنمية مجتمع ما : وجود هذا المجتمع ضمن بقعة أرض يتمكن فوقها أن يبنى نفسه ويكوّن مؤسساته ، ويغني ميزاته الحضارية والذاتية ، فأهمية الأرض تكمن فى أنها مساحة جغرافية تمكّن أفراد الشعب من التحرك واكتساب الخبرات الجديدة عن طريق الاحتكاك بمختلف المؤسسات الإنسانية والإدارية والعمرانية !!

*** صوت مسيحى :**

يقول (سامى فارس) : « المجتمع المسيحى فى لبنان له مكوناته الأساسية التى تستند إلى النظرة الشمولية للاهوت المسيحى ، وهى نظرة تنتقل من العقل الباطن إلى العقل الواعى » .

وتتصايح (صوت المشرق) بعدة مقالات خلاصتها : « نعم لاتحاد الشعوب المسيحية المشرقية ، وإعادة الحرية واستعادة الحقوق التاريخية والثقافية للشعوب المشرقية كلها » .

وتوقعت (صوت المشرق) حدوثَ نكسةٍ للشعوب المشرقية ، والنكسة المحتملة فى نظرها هى معركة حضارية فكرية ثقافية ستقرر مصير ما تبقى من شعوب غير عربية فى المنطقة يطلقون عليها اسم الأقليات نظراً لحجمها الديمجرافى !!

*** الإساءة إلى العرب واللغة العربية :**

ولايقف دعاة التقسيم فى لبنان عند هذه الحدود ، بل يتطاولون فى الإساءة إلى

العرب ولغتهم ، ويعتبرونها خطراً زاحفاً على الشعوب المسيحية المشرقية ، حيث جاء ذلك على لسان « صوت الشعب » ـ صحيفة مسيحية لبنانية ـ حيث تقول :

« والآن .. يجدر بنا التفحص جيداً فى خطر اللغة العربية على عقول الناشئة المسيحية ، إذ إن المشكلة ليست فى تذليل عقبات التعلُّم فى اللغة العربية ، إنما يجدر التنبه إلى الخطر الكامن فى التصورات الناتجة عن الكلمات العربية ، والتى تدخل متقنها ، إلى عالم تاريخى إحساسى إسلامى يصعب بعده الخروج سليماً من الحقل التحسسى العربى .

إن اللغة العربية قد غرقت فى لُجَّة الروحية الإسلامية ، فشربتْ منها حتى الثمالة ، واتحدت معها حتى صعب الانفصام جداً ، والأجدر بنا كشباب مسيحى وكشعب مسيحى وهيئات وقوى ومؤسسات أن نتخلى عن العربية لأصحابها الأصليين ، وأن نعود إلى لغتنا المشرقية ـ يعنون القبطية القديمة ـ الحية فى نبضات عروقنا ، وأحلام رؤيانا ، وأن نوثق الصلة والعلاقات باللغات الغربية ذات الصفة المسيحية التاريخية . إن العامل اللغوى خطير جداً ، لأنه يؤدى إلى قولبة الفكرة والذهنية الفردية والجماعية ، فإذا ثابرنا على اللغة العربية بنينا أجيالاً جديدة تلتزم العربية بكافة أبعادها وخسرنا نضالاً امتدَّ مئات السنين » اهـ .

*** بعيداً عن العصبية :**

وبمراجعة بعيدة عن الانفعال والعصبية لمواقف هؤلاء التقسيميين ، ترتسم أمامنا صورة مريرة لمستقبل هذا الوطن (لبنان) ، إذ المسيحيون فيه ومنذ عام ١٩٤٣م ـ منذ بدأت الدعاوى ضد الإسلام والمسلمين ـ وحتى اليوم لم يتبين لهم الرشد من الغى ، لذلك فهم يحاولون بناء لبنان المسيحى بمعزل عن لبنان المسلم ، بل ويتخطون ذلك إلى المطالبة بوحدة الشعوب المسيحية المشرقية .

*** أقلية .. لكن متحكمة :**

غريب أمر هؤلاء .. ومنبع الغرابة أنهم فى لبنان لا يشكلون إلا أقلية تتحكم فى رقاب الأكثرية ، وتسيطر على مقاليد الأمور ، وتتغلغل فى المناصب والمراكز

والمفاصل الأساسية من بنية المجتمع ، وعندما يطالبهم المسلمون ـ الأكثرية ـ بالمساواة والعدالة يدعون إلى وحدة المسيحيين المشرقيين .

*** لو كانوا يفقهون :**

ولو كان المسيحيون اللبنانيون يفقهون (القيمة الحضارية الإنسانية) التى يتعامل بها المسلمون مع المسيحيين فى المشرق العربى لما تركوا أصواتاً ناشزة كصوت (سامى فارس) ، ومن قبله (إدوارد حنين) و (كريم بقرادونى) ـ الآتى إلى لبنان من أرمينيا ـ لما تركوا هذه الأصوات تسىء إلى التسامح الإسلامى والرحمة الإسلامية التى أبداها المسلمون إزاء المسيحيين منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية وحتى اليوم .

*** أقلية مسيحية فى بحر إسلامى :**

وبنظرة جغرافية إلى التوزع السكانى فى الوطن العربى نجد مجموعات مسيحية قليلة فى بحر سكانى إسلامى ، تتمتع بنفس الحقوق التى يتمتع بها المسلمون .

وقد كان ـ ويبقى ـ من السهل تذويب هذه المجموعات فى بوتقة إسلامية بالذوق أو بالعافية والإرهاب كما يقولون ، أو على أقل تقدير يمكن ترحيل تلك المجموعات القليلة إلى مناطق فيها كثافة سكانية مسيحية ، **ولكن المسلمين الذين يستمدون قيمهم ومبادئهم من الدين الإسلامى الحنيف يترفعون دائماً عن التحكم فى رقاب هذه الأقليات ، ويعملون على مساواتهم بأنفسهم فى الحقوق قبل الواجبات تجاه الأوطان التى تنتمى إليها !!**

*** إذن هى منطقة إسلامية :**

وإذا ما أردنا محاكاة هؤلاء بنفس المنطق الذى به يقولون ، لكان رأينا أن هذه المنطقة منطقة إسلامية بحكم غالبيتها ، وعلى الأقليات أن تبحث عن مكان آخر تجد فيه غالبية تتجانس معها فى المعتقد وفى اللغة كما يطالب بذلك بعض قياداتها وزعمائها .

فالمسلمون فى بريطانيا ، والمسلمون فى فرنسا ، وفى عدد كبير من الدول الغربية أقليات بالنسبة لشعوب هذه الدول ، وتربط المسلمين بها روابط حضارية وفكرية

وثقافية ، هم أحق بالسُكْنى فى منطقة تُعرف تاريخياً بأنها منطقة عربية أولاً وإسلامية ثانياً ، من أناس لا تربطنا بهم أية روابط حسب زعمهم ، حتى اللغة التى ينكرونها ويتجنون عليها !!

*** أمور لا عقلانية :**

ولكننا نتكلم بالمنطق السليم لا بالمنطق المعكوس ، فنقول : إن المسلمين منتشرون فى أقطار الأرض ، وكذلك الحال بالنسبة للمسيحيين ، وهذا أمر طبيعى ، أما الأمر غير الطبيعى فهو تجميع أتباع كل ديانة فى منطقة ديمغرافية معينة ، فالإنسان الذى ولد وترعرع فى وطن ما ، هو ابن ذلك الوطن ، وإليه يجب الانتماء بغضِّ النظر عن أىِّ معتقد !! فكم من مسلم فرنسى .. وكم من مسلم أمريكى .. وكم من مسلم سويدى !!

أما توثيق الصلة والعلاقات باللغة المسيحية ، أو اللغة ذات الصفة المسيحية التاريخية ـ كما يرى دعاة التقسيم فى لبنان : فهل هناك لغة غير القبطية القديمة يمكن أن نصفها بأنها اللغة التاريخية للمسيحية ؟! فإن كان ذلك كذلك فأى لغة هى المقصودة : هل هى اللغة الإنجليزية ؟ أم اللغة الفرنسية ؟ أم اللغة الألمانية ؟ أم اللغة الإيطالية ؟ أم اللغة اليونانية ؟!!

ثم أتعلمون ما هى اللغة القبطية ؟! إنها خط وليست لغة .. فهى خط متطور عن الخط الهيروغليفى المعبر عن اللغة المصرية القديمة .. فاللغة القبطية هى نفس اللغة المصرية الفرعونية التى دخلت عليها بعض الكلمات التى أخذت من اللغة الإغريقية القديمة التى تختلف قليلاً عن اللغة الإغريقية الحديثة . ولقد استعارت الكتابة القبطية كذلك أحرف الكتابة الإغريقية وعددها أربعة وعشرون حرفاً ، وأضافوا لها ستة أحرف أخرى من الحروف المصرية الديموطيقية التى لا ينطقها اليونان . وكلمة قبطى لا تعنى على الإطلاق ـ كما يدعى الجهلاء ـ (مسيحى) أو (نصرانى) ، إنما هى مأخوذة من الكلمة الإغريقية (Aiguptios) التى تعنى (مصرى) ، كما أن أصل هذه الكلمة فى اللغة المصرية القديمة هو (كِمِتْ) أى الأرض السوداء ، كناية عن مصر صاحبة طمى النيل .

وقال المقريزى : عُرف المصريون بالأقباط نسبة لملك مصرى يدعى (قبط) . وقال غيره : نسبة لإقليم بالوجه القبلى معروف باسم (قبطوس) ولا تزال قرية صغيرة تدعى (قفط) بمديرية قنا ، مع العلم بأن الباء اليونانية تلفظ فاء . وقيل : إن كلمة قبطى مأخوذة من معنى (ختن) نسبة لأن المصريين استعملوا الختانة قبل ستة آلاف عام . وقيل أخيراً ما قلناه من أنها مشتقة من كلمة (إچيبتوس) اليونانية ومعناها مصر ، وذلك بعد الحذف والتحريف ، وهو الرأى الأصح .

* صوت عاقل :

كلها لغات يعتنق أصحابها ديانات تنتمى فى أصولها الأولى إلى السماء . وبرغم موقفنا الواضح كمسلمين من هذه الديانات فى وضعها الراهن فإننا لم نسمع يوماً أن الشعب الفرنسى أو الشعب الإنجليزى قد طالبا بالتحول إلى اللغة الأخرى ، لأن العلاقات التى تربط الشعبين الإنجليزى والفرنسى هى علاقات دينية صرفة . فأين يذهب إذن منطق الدعوة إلى توثيق الصلة بلغة المسيحية أو باللغات الغربية . ويحضرنى فى هذا المجال ما كتبه نقيب المحررين اللبنانيين (ملحم كرم) فى افتتاحية (الموندای مورننج) فى عددها رقم (٥٧٦) عن اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ، ففى كلامه وهو المسيحى ما يكفى للردّ على المتغربين والمتجنّين على العربية .

يقول (ملحم كرم) : « اللغة أولاً وقبل كل شيء قناة اتصال بين المستمع والمتكلم وبين القارئ والكاتب فى كل الأزمنة وفى كل الأمكنة ، وهكذا اللغة العربية التى تعدُّ واحدة من أقدم اللغات المعروفة ، مما يمكننا من الاتصال مثلاً بأول وأشهر الشعراء العرب أمثال امرئ القيس والآخرين، وإذا أراد أحد كتابة نص ما ـ فى اللغة العربية الآن ـ يمكنه التأكد بأنه سيصل إلى الأجيال القادمة ، ومثل هذا الاتصال يتجاوز حدود الوقت ويربط بين الماضى والحاضر والمستقبل » .

* إنها أعظم لغة :

« واللغة العربية هى لغة الملايين من العرب المنتشرين فى القارات الخمس ، وهذا هو المقصود بالاتصال فى مختلف الأمكنة » .

ويستطرد (ملحم كرم) وبهذا المفهوم قائلاً : « ... إن اللغة العربية هى أعظم لغة استخدمها الناس بالمقارنة مع بعض اللغات الأخرى التى هى الآن فى حكم المنقرضة أمثال اللغة اليونانية واللغة اللاتينية !! أما بالنسبة للغات التى يقال عنها إنها لغات حديثة وحيَّة ، فهى لا تصلح للاتصال فى كل الأوقات وكل الأزمان ، فنحن بحاجة إلى قاموس لفهم نص إنجليزى أو فرنسى كتب منذ قرنين ، ومثال على ذلك فإن لغة (مونتين) كما هو الحال مع لغة شكسبير انقرضت أو ماتت منذ زمن بعيد ، ولا يمكنها أن تكون صلة وصل بالنسبة للأجيال الجديدة ، حتى التراكيب فى اللغة الفرنسية واللهجة المتكلم بها تختلف فى فرنسا وبلجيكا وسويسرا وكندا » !!

*** ليست خطراً :**

واللغة العربية بالمقابل هى واحدة فى أىّ زمن وفى أى مكان ، إنها لغة مرنة تَمدُّ جسراً سهلاً بين الواقعية والتجرد ، وهذا ما دفع بعدد كبير من الأجانب الذين تعلموا اللغة العربية إلى وصفها بأنها « لغة ساحرة » .

فالعربية إذن ليست خطراً على عقول الناشئة المسيحية ، لأنها لغة حية ، لغة تواصل ، ولم ينفرد بها المسلمون ، وإن كانوا تشرَّفوا بها وتشرفت بهم عبر الرسالة السماوية التى حملها محمد ﷺ ، فإن ذلك لا يلغى الحقيقة التاريخية الناصعة التى تثبت أن اللغة العربية كانت قبل مجيء الإسلام بآلاف السنين ، وأن السكان فى الجزيرة العربية آنئذ كانوا يتكلمون اللغة العربية ، وفيهم الجاهلى الوثنى ، والطبيعي الملحد ، والمسيحى واليهودى ، فكيف كان التواصل بين هذه الجماعات كلها على اختلاف ما يدينون به إلا عبر هذه اللغة الحية ؟!

*** العقلاء يقبلون :**

ولا شك أن المثابرة على اللغة العربية يعنى بناء أجيال جديدة يلتزم بها بكافة أبعادها .. وهذا أمر يقبله المثقفون والمفكرون المسيحيون كالمطران (جورج خضر) والنائب (نصرى المعلوف) !! ففى ما يخص العربية وتأثيرها على المسيحيين يقول المطران (جورج خِضر) : « لا شك أن الحضارة العربية تأثرت كلياً بالإسلام ، وهذه الحضارة لا تعقِّدنا بل اذهب فى قبول هذه الثقافة إلى أبعد حدٍّ ممكن ... » .

*** حوار العقل والممكن :**

أما النائب (نصرى المعلوف) فيقول : « إننا نحن المسيحيين اللبنانيين نتفهم الإسلام كعقيدة ودين وإيمان بالله ، وإن المسلمين أيضاً يتفهمون أننا متلاقون جميعاً فى هذا الإيمان » .

والعربية ـ عند المعلوف ـ هى ميزة وعلاقة حضارية لغوية إنسانية اجتماعية تاريخية وليست عرقية ، ولا تقف حائلاً أمام كل إنسان يعبد الله كما يحب ويرغب !!

*** هذا هو موقف المسلمين :**

إن موقف المسلمين فى لبنان هو ضد تقسيمه إلى كنتونات أو جزر طائفية ، هذا الموقف يجعلهم دائماً يجهدون للحفاظ على تماسك المجتمع اللبنانى غير مجزء أو متنافر ، وهم يعضون على الجراح التى لم تندمل من أجل وحدة العرب والمسلمين ، لا من أجل تفرقهم وتشتتهم عملاً بسياسة الحركة الصهيونية العالمية الداعية إلى تفتيت المنطقة العربية إثنيات أو أقليات ومذاهب .

*** إنه مخطط صهيونى :**

والمسلمون فى لبنان لن يسمحوا للمخططات الصهيونية بأن تبصر النور ، لأن قيام الكانتونات فى لبنان يعنى تجزئة الوطن العربى إلى بقع مذهبية ودينية متناحرة خاصة أنها تسعى لإثارة المسيحيين فى مصر ، والبربر فى الجزائر ، والأكراد فى العراق ، والسنة والشيعة فى لبنان وسوريا والعراق والبحرين ، إلى جانب إقناع المسيحيين بإقامة تكتل فى لبنان يستقطب المسيحيين فى سوريا والعراق والأردن ، وهذا ما نشتمه من أفواه الدعاة إلى المجتمع المسيحى المشرقى !!

*** احذروا هذا المصير :**

وهنا لابد أن نلفت انتباه المسلمين وقادتهم إلى الخطر المتمثل بتلك الطروحات ، وإن مصير أى شعب مسلم فى كل مكان يقبل هذه الأفكار الخطيرة هو نفس مصير الشعب الفلسطينى الذى شرد من وطنه ولا يزال .

على عتبات فلسطين .. والفكر اليهودى !!

فلسطين .. والدوامة الهائلة !!

دعم العدو الصهيونى قواته بقوات إضافية يبلغ عددها (ستة آلاف) جندى وضابطٍ آخرين ، من جيشه المدجّج بالسلاح ، لتعزيز قوات جيشه (الفاشلة) والتى تُقدَّر بعشرات الألوف ، والمتورطة منذ سبع سنوات فى (حرب وحشية) ضد الشعب الفلسطينى الباسل .

وهدف اليهود من وراء هذا التصعيد وهذه الوحشية المتصاعدة هو الضغط الشديد على الشعب الفلسطينى ، لإرغامه على قبول (الاستسلام والإذعان) للحل الصهيونى الذى تتبناه أيضاً الدوائر الاستعمارية فى الغرب ، وهو الحل الذى لا يعدو أن يكون (محاولة صهيونية) أو (مشروعاً صهيونياً) للقضاء على آمال شعب فلسطين فى الحرية وفى تحرير الأرض المحتلة .

ويبدو أن اليهود ، ومن ورائهم حلفاؤهم فى الغرب الاستعمارى يقدرون ـ وبئس ما يقدرون ـ أن هذا الضغط سيفيد ، إلا أن الشعب الفلسطينى العظيم أصبح (كالدوامة الهائلة) التى تبتلع كل مزيد من الضغط ، وكل مزيد من الأساليب الوحشية !!

إن العدو لو أرسل كل جيوشه النظامية والاحتياطية فلن يتمكن من كسر (شوكة) الانتفاضة العظيمة لسبب بسيط ولكنه شديد التعقيد ، وهو أن (روح الجهاد الإسلامى) هى التى أشعلتها ، والإسلام لا يعرف الاستسلام ، ولا يعرف (أنصاف الحلول) ، ولأن الإسلام يؤمن بأن (فلسطين إسلامية عربية) ، وستظل هكذا إن شاء الله ، مهما عاث بها البغاة فساداً ، فدولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة .. فهل يفهم هذا (أحفاد القردة والخنازير) ؟!!

رجل من غزة !!

التقيت به في القاهرة .. وبرغم ضيق وقتي إلا أنني أجبرت نفسي على لقائه لقاء مطولاً ، ففي قلبي شوق جارف لأيّ قادم من بلادنا الحبيبة (فلسطين) .. فبرغم أنني مصرى إلا أنني أشعر بوجوب أن أكون فلسطينياً وأفغانياً حتى تعود (فلسطين) و (أفغانستان) !!

قصّ عليّ كيف أن هذه الانتفاضة الإسلامية الفلسطينية استطاعت أن تكسر سائر الحواجز النفسية التي صنعتها الدعاية اليهودية وأبواقها وعملاؤها شرقاً وغرباً .. وكيف أنها أكدت الحضور الإسلامي !! وأكد لي بأن الانتفاضة الفلسطينية (إسلامية مائة بالمائة) ، وأن المساجد هي التي تحركها ، وأن نداءات التكبير والتهليل وصيحات التوحيد يرددها الجميع كباراً وصغاراً .. رجالاً ونساء .. وأنها تخلع قلوب الصهاينة من أماكنها .

وقال الرجل القادم من (غزة) : إن العدو (تنبه) إلى أن (الإسلام) هو الذي حرّك الشعب الفلسطيني فعمد إلى المساجد يقتحمها ويمنع الناس من الاجتماع بها أو حتى الصلاة فيها !! بل إن (شامير) الإرهابي كان يعلن ليلاً ونهاراً بأن (المسلمين) المتعصبين هم من وراء هذه الانتفاضة ، ومن بعده (رابين) و (بيريز) ، وستتوالى السلسلة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً !!

ولا عجب في نعت (شامير) ومن بعده للمسلمين بالتعصب ، فهم حرام عليهم التعصب لدينهم ، أما هو فحلال له التعصب ليهوديته وطاغوتيته !! وحرام على صاحب الحق أن يطالب بحقه وحلالٌ له أن يسرق ما شاء !! لا عجب ، فهذا هو منطق اليهود بكل زمان وبكل مكان !! لكن العجب حقاً من وسائل الإعلام العالمية سواء المقروءة أو المسموعة أو المرئية في محاولتها (التعتيم) على (إسلامية) الانتفاضة ، وإسلامية (الجهاد) الفلسطيني ، في نفس الآن الذي تدّعي فيه (الحيدة) و (النزاهة) !!

لهذا .. يروِّج اليهود للفكر العلمانى !!

(العلمانية) هى دعـوة إلى إقامة الحيـاة على غيـر الدين ، وتعنى (اللادينية) أو (الدنيوية) ، وهى اصطلاح لا صلة له بكلمة (Science) **ولا بالمذهب العلمى** (Scientism) .

بدأت هذه الدعوة أول ما بدأت فى أوربا ، وعمَّت أقطار العالم بتأثير من اليهود والشيوعيين .. وكان من دعاتها (چان چاك روسو) ، و (داروين) اليهـودى ، و (نيتشـه) اليهـودى ، و (دور كـايم) اليهـودى و (فـرويـد) اليهـودى ، و (كارل ماركس) اليهودى ، و (چان بول سارتر) اليهودى !!

فاليهود بناة الفكرة وأصحابها ومروِّجوها بالتالى ولا عجب !!

*** الأفكار والمعتقدات :**

بعض العلمـانيين لا يعترف بوجود الله ألبتة ، والبعض الآخر يؤمن بوجوده ، مصحوبة عقيدته بانقطاع علاقة الله بالحياة والأحياء .

ودعاة العلمانية يروجون لفكرة أن الحياة تقوم على أساس العلم المطلق ، وتحت سلطان العقل والتجريب ، ولا يعترفون بسواهما فى الحكم على الأشياء ، كما يخططون دائماً لإقامة حاجز سميك بين عالمى الروح والمادة ، ويعتبرون القيم الروحية قيماً سلبية ، كما يروجون دائماً لفكرة فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادى بحت .

والعلمانيون يعتمدون مبدأ الميكيافيلية فى فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق ، وهو أن الغاية تبرر الوسيلة ، ومن ثَمَّ فهم يعملون بدأب على نشر الإلحاد والإباحية والفـوضى الأخـلاقـيـة وتهـديم كـيـان الأسـرة باعـتـبـارها النواة الأولى فى البنيـة الاجتماعية .

*** حربهم للإسلام :**

والعلمانيون يعملون على حرب الإسلام فى كل مكان ، والطعن فى حقيقته ، وتشويه صورته ، والطعن فى القرآن الكريم والنبوة عامة ، وبالأخص نبوة محمد ﷺ ، كما يروجون لفكرة أن الإسلام استنفد أغراضه ، وأنه عبارة عن مجرد طقوس وشعائر دينية ، وأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني ، كما يتبنون سائر الأفكار أو الحركات المضادة للإسلام ، والتى تعمل على تقويض أركانه .

*** فليحذر شبابنا :**

إن العلمانيين تسللوا بأفكارهم إلى بلادنا الإسلامية ، ووجدوا من يعينهم على ترويج أفكارهم من خلال تعميم نظرية العداء بين الدين من جهة والعلم من جهة أخرى ، لتشمل الدين الإسلامى ، على الرغم من أن الدين الإسلامى لم يقف ضد الحياة والعلم كما وقفت الكنيسة ضدهما ، وكانت سبباً مباشراً فى تولد هذا التيار المسمى بالعلمانية .

فليحذر شبابنا بالذات .. ولينتبه .. ولْنُحصِّنْهُم بالفهم والوعى .. فهناك هجمة يهودية وإلحادية فكرية قادمة ، تتستر برداء (الحرية والإخاء والمساواة) ، بينما هى لا تريد شيئاً من ذلك مطلقاً .

* * *

روح الإسلام تشعل الانتفاضة !!

كما صنع الأزهر ورجاله ، وكما كان الإسلام هو الدافع بقيمه وروحه الجهادية لتحرير مصر وبلاد الشام من ظلم إنجلترا وفرنسا ، ففى فلسطين المحتلة أصبح (المسجد) و (شريط الكاسيت) سلاحى التعبئة المعنوية للانتفاضة الفلسطينية ، فبواسطة الأشرطة ومن خلال (مآذن المساجد) تصدر التعليمات وتذاع الأناشيد الدينية الجهادية أيضاً .

وعلى سبيل المثال فإن الشباب الفلسطينى فى (نابلس) ـ كبرى مدن الضفة الغربية (٤٥ ألف نسمة) ـ يستمدون بهاتين الوسيلتين الشحنات المعنوية اللازمة لمواصلة (النضال ضد المحتل) الذى يزداد ضراوة بين يوم وآخر !!

ويبدو أن هذه الوسيلة قد حلّت محل (إذاعة صوت القدس) التى تقوم السلطات الإسرائيلية بالتشويش عليها .

وليس مصادفة أن يصبح (المسجد) مركز تعبئة للجهاد الإسلامى ضد اليهود !! فالمسجد كان قاعدة الانطلاق للجهاد ولأعمال الدنيا من عهد محمد ﷺ .. فلا عجب أن يعود الشىء لأصله !!

وفى (نابلس) حيث يوجد ما لا يقل عن (ثلاثين) مسجداً ، تحول (مكبر الصوت) .. أعنى (مكبر صوت المؤذن) بالذات إلى عنصر رئيسى فى تعبئة الشباب المسلم وتنظيم المظاهرات .

واللطيف فى الأمر أن صيحة (الله أكبر) عندما تصدر عن المؤذن ، ترددها خلفه الجموع ، ويكتشف الحاضر ـ وهو لا يعلم شيئاً عن هذه الروح ـ أنها (إشارة البدء) التى ينهالون بعدها بالحجارة على الجنود الإسرائيليين .

وفى هذه المدينة ، التى يُعدُّ كل حى فيها قرية مستقلة بذاتها ، أصبح المسجد

وسيلة الإعلام والاتصال الوحيدة ، فهو يذيع أسماء آخر الضحايا الذين ارتفعوا شهداء ، ويصدر التعليمات الرئيسية للحركة اليومية ، ويعلن انضمام (متعاونين) جدد إلى الانتفاضة بهدف واضح هو تشجيع الآخرين !!

إذن .. لا جدال فى أن روح الجهاد الإسلامى هى السبب فى إيقاد فتيل الشعلة ، وهو يعبر عن نفسه بوضوح وريادة .. وشعاراته أصبحت تغطى جدران المساجد ، بل أصبح واضحاً أن من أهم المنظمات الإسلامية العاملة وراء إشعال الثورة ومدِّ لهيبها ، منظمة (الجهاد الإسلامى) ، ومن أهم شعاراتها (نعم .. للقسّام) ، وهى إشارة إلى (الشيخ عز الدين القسّام) الذى كان أحد زعماء الانتفاضة الفلسطينية ضد الانتداب البريطانى فى فلسطين عام ١٩٣٦م .

* * *

يا ضمير العالم : إنهم (يقمعون) حتى (التعليم) بفلسطين !!

(١)

من العجيب أن القمع الصهيونى لشعبنا الفلسطينى المسلم ، لا يقف عند حدٍّ !! ولا يقتصر على فئة أو جانب دون آخر : فى محاولات يائسة لوقف هذه الانتفاضة المتعملقة التى تحدَّت العدو الصهيونى وقالت بملء فيها : لا ، للاغتصاب والاحتلال والإرهاب .

* وقد لا يعرف كثير من قرّائنا الكرام أن هذا القمع قد امتدَّ إلى جوانب التعليم والثقافة . وفى مجال القمع الثقافى والتعليمى ـ إن صح التعبير ـ يغلق العدو المدارس ويحولها إلى (ثكنات عسكرية) و (معسكرات اعتقال) .

* وتعليقاً على هذه (الفظائع الإجرامية فى حق العلم والثقافة) قال أحد زعماء المستوطنين الصهاينة بكل صلَف وغرور وعنصرية : « إن العلم لا يليق بالعرب » .. وهى كلمة أربأ بقلمى أن يرد عليها ، لأن (قميئاً) مثله لا يستغرب صدور مثل هذه الكلمة عنه .

* ولكن .. هل يعلم السادة القراء .. والضمير العالمى .. ودعاة العلم والثقافة وحريتهما بالعالم : أن اليهود أغلقوا حتى الآن (٦٠) مدرسة ، وأنهم أحرقوا (٩) مدارس ، وأتلفوا مكتبات ومختبرات ومقاعد عشرات المدارس ، وأن هذا (الإفساد) و (الدمار) امتدَّ حتى إلى (دور الحضانة الخاصة بالأطفال) !!

* والأعجب من كل هذا أن (الطلاب الفلسطينيين) لم يستكينوا ، فقد واجهوا هذا (القمع التعليمى والتثقيفى) بمحاولة فتح المدارس وكسر القرارات التى تمَّ بها (إلغاء حق التعليم لأجل غير مسمى) !!

والأدهى أنه عندما نجحت هذه المحاولة اقتحمت قوات القمع الصهيونى عدداً من المدارس التى عاد إليها طلابها ، والذين تناقص عددهم أصلاً بسبب اعتقال الكثير منهم ، واستشهاد البعض ، أو إصابته !!

هل تعلم الدنيا أنهم اقتحموا المدارس فأطلقوا النار على طلابها ، وألقوا بقنابل الغاز داخل الفصول ، وتسببوا فى استشهاد العشرات وإصابة المئات منهم !!

(٢)

*ومع استمرار هذا (القمع الفريد من نوعه) لحركة التعليم والثقافة بفلسطين ، كان (ردُّ الفعل العظيم) لدى نساء فلسطين المسلمات العظيمات .

لقد قامت أمهاتنا وأخواتنا المسلمات بفلسطين بفتح (بيوتهن) لاستقبال من تبقى من الطلاب والطالبات فى القرى والمدن ، وتنظيم فصول خاصة لاستكمال الدراسة . جنَّ جنون عدونا الصهيونى ، فأصدر قراراً بمنع تنظيم أى (حلقات دراسية) خارج المدارس ، فى ظل سريان قرارات إيقاف الدراسة .

وفى مواجهة هذا القمع الهمجى البربرى يواجه الطلاب مصيرهم العلمى بمزيد من (الإصرار) و (التصميم) و (التحدى) .. حتى قال أحد الطلاب المداومين على حضور الفصول المنزلية وضرب قوات الاحتلال بالحجارة : « لن نخسر سنة دراسية واحدة مهما عملوا » !!

وأضاف البطل : « حتى لو توقفنا .. فإننا سنعتبر هذه السنة خدمة إلزامية فى جيش الانتفاضة » !!

إنها كلمة يجب أن تُنقش بحروف من (نور) على صفحات من (ذهب) .

نعم يا أخى .. لن تخسر شيئاً ، لأنك ستربح المستقبل كله بإذن الله ، بهذا الجهاد .

** الروعة هنا .. تتجلى فى هذه الثقة .. وهذا الأمل .. وتلك التضحية .. والتى بها يقرأ طلاب العلم بفلسطين فى كتاب (الجهاد) ، و (يعبِّدون) طريق العودة للوطن إليهم .

وإن ممارسات القمع الصهيونية ضد (العلم والثقافة) والمدارس والجامعات تؤكد من زاوية أخرى للعالم أجمع (الطبيعة) العنصرية والهمجية للعدو الصهيونى ، فإنْ لم يعِ (الضمير العالمى) هذه الحقيقة ، ويعمل على (قمع الشر) فإن هذا الشر لا يستهدف أبناء فلسطين وحدها إنما يستهدف كلَّ من ليس يهودياً !!

(الستاتيكو) .. قضايا الجدران المقدسة !!

قديماً صدر كتاب مكتوب عن الحالة الراهنة فى الأماكن المقدسة فى فلسطين ، وبخاصة فى القدس . يسمى (الستاتيكو) بقلم (ل. ج. كست) قائمقام القدس الأسبق ، ومعه ملحق عن الحالة الراهنة فى كنيسة المهد بقلم (السيد عبد الله كردوس) قائمقام بيت لحم الأسبق ، ووضع ديباجته (هـ. سى. لوك) الذى كان يشغل منصب السكرتير العام لحكومة الانتداب بفلسطين سنة ١٩٢٩م .

* وقد جاء فى الصفحة الثالثة من الديباجة :

إن المادة (١١) من معاهدة برلين نادت بعدم انتهاك الأماكن المقدسة وحالتها التى تكون عليها ، وعبارة (ستاتيكو) اتخذت لنفسها مغزىً واسعاً بهذا الخصوص ، حيث يلتجأ فى جميع القضايا التى تنشأ بين هذه الجدران المقدسة والمتنازع عليها بكثرة .

وجاء فى مقدمة الكتاب المذكور أن المادة (١٣) من صكّ الانتداب البريطانى على فلسطين تقضى بأن على عاتق السلطة المنتدبة مسئولية الحفاظ على الحقوق القائمة فى الأماكن المقدسة ، وأن الحكم الإسلامى امتاز بالتسامح إزاء المسيحيين واليهود وكانوا فى نظر الإسلام جميعاً أهل كتاب يعبدون الله ، وقد فرض الرسول ﷺ عدم اضطهادهم » .

وقد جاء فى مبحث (حائط المبكى) من الكتاب المذكور أن اللجنة الصهيونية فى أوائل الاحتلال البريطانى لفلسطين حاولت نقل ملكية حائط المبكى إلى اليهود ، ولدى أخذ رأى الحاكم العسكرى البريطانى منع ملاحقة الموضوع بسبب الوضع الحساس للرأى العربى والإسلامى ، وقد تبين أن شخصية يهودية بارزة

(لم يذكر اسمها) راجعت بعض المسلمين ذوى العلاقة (بعرض نقدى) ، فتهيج الرأى العام الإسلامى على إثر ذلك بصورة خطيرة ، ووصلت تعليمات من وزارة الخارجية بأنه يجب عدم إثارة الموضوع .

ولكن الصهيونيين حاولوا عدة مرات أخرى تغيير الوضع بالنسبة للأماكن المقدسة ، وركزوا جهودهم على حائط المبكى وأخذوا يجلبون كراسى ومصابيح وستائر على غير العادة السابقة ، حتى يتخذوا من ذلك ذريعة للادعاء بحقوق أخرى فى ذلك المكان ، فتنبه المسلمون لحيلتهم ، وقدموا الاحتجاج تلو الاحتجاج ، واستمرت المراسلة بين المجلس الإسلامى الأعلى وبين حكومة الانتداب من سنة ١٩٢٢م إلى سنة ١٩٢٩م ، حيث أدى التوتر إلى انفجار عربى مسلح رهيب ضد الجاليات اليهودية فى القدس وغيرها من المدن الفلسطينية .

وعلى إثر ذلك أرسلت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق تُعرف بلجنة (شو) نسبة إلى رئيسها .

وقد أوصتْ تلك اللجنة بإرسال لجنة خاصة لتمحيص حقوق العرب واليهود فى ذلك المكان ، وقد رفعت الحكومة البريطانية إلى مجلس عصبة الأمم طلباً للموافقة على تلك اللجنة ، وفى ١٤ يناير سنة ١٩٣٠م اتخذ مجلس عصبة الأمم قراراً تضمّن أن مسألة حقوق ومطالِب اليهود والمسلمين فى حائط المبكى يستدعى حلاً سريعاً ونهائياً ، لذلك قرر أن يُعهد إلى لجنة بتسوية هذه الحقوق والمطالب ..

وفى أبريل سنة ١٩٣٠م وافق المجلس على تأليف اللجنة من :

(١) « اللورد لوفقون » وزير الشئون الخارجية الأسوجى سابقاً، وعضو مجلس الأعيان فى أسوج .

(٢) « تشارلز بارو » نائب محكمة العدل فى جنيف (سويسرا) ، ورئيس محكمة التحكيم النمساوية / الرومانية المختلطة .

(٣) « س. فان كمين » عضو البرلمان الهولندى وحاكم الساحل الشرقى لجزيرة سومطرة سابقاً .

وقد حضرت اللجنة للقدس فى ١٩ يونية سنة ١٩٣٠م وأقامت شهراً كاملاً ، واستمعت لعدد كبير من الشهود العرب واليهود ، كما اطلعت على جميع الوثائق المقدمة إليها من الفريقين ، واتخذت عدة تدابير للتحرى والوقوف على الحقيقة ، واستمعت إلى مرافعات المحامين البارزين الذين أحضرهم الفريقان ، وقد أتمت تقريرها فى أول ديسمبر سنة ١٩٣٠م ، وقد تضمن ما يلى :

(١) للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى ، ولهم وحدهم الحق العينى فيه ، لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف .

(٢) للمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط ، وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامى لجهات البر والخير .

(٣) أدوات العبادة التى يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط لا يجوز بحال من الأحوال أن تعتبر أو أن يكون من شأنها إنشاء أى حق عينى لليهود فى الحائط أو فى الرصيف المجاور له .

(٤) لليهود حرية السلوك إلى الحائط الغربى لإقامة التضرعات .

* * *

حائط المبكى مِلْكٌ للمسلمين .. واليهود يعلمون !!

كانت (مؤسسة الدراسات الفلسطينية) فى بيروت قد أصدرت كتاباً اسمه (الحق العربى فى حائط المبكى بالقدس) ، تضمن وقائع الجلسات التى قدمتها اللجنة الدولية الموفدة من عصبة الأمم المتحدة ، كما تضمن تقريرها الذى قدمته إلى عصبة الأمم عام ١٩٣٠م ، ولقد اقترن تقرير اللجنة بموافقة مجلس العصبة المتحدة عليه وإقراره ، كما أقرته حكومة بريطانيا العظمى بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين . وأصدر ملك بريطانيا على أساسه المرسوم الملكى المعروف باسم (مرسوم الحائط الغربى لسنة ١٩٣٠م) ، ولقد جرى نشر هذا المرسوم فى حينه فى الجريدة الرسمية لفلسطين ، كما أنه منشور فى مجموعة القوانين الفلسطينية المعروفة باسم (مجموعة درايتون) والتى كانت معتمدة رسمياً من قِبَل حكومة الانتداب .

وقد تجدر الإشارة إلى أن دستور فلسطين آنئذ صدر بموجب مرسوم عن ملك بريطانيا ، وجاء مرسوم الحائط الغربى لسنة ١٩٣٠م مكملاً لمرسوم دستور فلسطين .

والعجيب فى الأمر أن الصهاينة عندما أقاموا دولة إسرائيل فى سنة ١٩٤٨م أبقوا معظم التشاريع التى كانت سارية المفعول فى عهد الانتداب نافذة ، ومنها مرسوم الحائط الغربى لسنة ١٩٣٠م .

ومن ذلك يتبين أن النزاع بين المسلمين واليهود حول الحقوق المتعلقة بحائط المبكى أو البراق كما يسميه المسلمون قد فصل فيه قضائياً ، ولا يجوز إثارته مرة أخرى ، ولا الادعاء بما ينافى ذلك القرار الصادر عن لجنة وافقت عليها عصبة الأمم ، وأصبح ذلك القرار وثيقة دولية يجب الانصياع لها والعمل بمقتضاها من كل دولة تحترم نفسها أو تريد العيش مع مجموعة دول العالم بسلام وأمان .

ولكن سلطات الاحتلال الصهيونى ضربت بكل ذلك عرض الحائط بما قامت به من هدم حارة المغاربة الموقوفة من قِبَلِ (أبى مدين الغوث) والمتوفَّى فى القدس سنة ١٩١٧م ، وهدم المسجدين الموجودين هناك والاستمرار فى الحفريات فى ساحة المبكى ، ومحاولة هدم مبانٍ أخرى حول تلك الساحة .. كل ذلك عدوان صارخ وإمعان فى العدوان على المقدسات الإسلامية ، وانتهاك لحرمة القرار الدولى الذى حسم النزاع فى موضوع المبكى ، ودليل واضح على النوايا المبيتة من السلطات الإسرائيلية ، والتى أصبحت معروفة لكل ذى ضمير حى ، حتى من اليهود أنفسهم !!

فالكاتب اليهودى الأمريكى (موشى منوهين) نشر مؤخراً فى الولايات المتحدة الأمريكية كتاباً بعنوان : (انحطاط اليهودية فى عصرنا) ، كشف فيه بصراحة تامة مخازى الصهيونية وفضائحها وجرائمها الوحشية ابتداءً بمذبحة دير ياسين ، ومروراً بمجزرة (كفر قاسم) ، وانتهاءً بالمجازر البربرية التى ارتكبتها إسرائيل فى عدوان الخامس من حزيران ـ يونيو وما بعده !!

وقد استهل كتابه بهذه المقدمة : « لقد أطلقت على هذا الكتاب عنوان (انحطاط اليهودية فى عصرنا) ، ولكن كنت أفضِّل له عنواناً آخر : القومية اليهودية جريمة تاريخية رهيبة ولعينة » .

وبعد أن يؤكد (موشى) مستنداً إلى التاريخ والتوراة أن عرب فلسطين الذين أصبحوا اليوم لاجئين فى الكهوف والمخيمات خارج حدود وطنهم ، وأرض آبائهم وأجدادهم بسبب السياسة الصهيونية هم المالكون الحقيقيون لفلسطين . يختم المؤلف كتابه بقوله :

« ولما كانت الحقيقة كلها يجب أن تقال مهما بدتْ مريرة وجارحة وقاسية ، فإننى أقول : إن المطامع الصهيونية ولعنة القومية تسببت حتى الآن فى وقوع ضحايا أبرياء كثيرين ، وأنا لا أعنى بالضحايا الأبرياء عرب فلسطين وحدهم ، بل يهود فلسطين أيضاً ، ويهود المهاجر كذلك ، الذين دفع بعضهم وسيدفع باقيهم يوماً ما وغالياً جداً ثمن أخطاء زعمائهم وجرائمهم الرهيبة » .

وليقرن الكاتب اليهودى (موشى) الفعل بالقول ، فقد تبرأ من ابنه (يهودى منوهين) الموسيقار العالمى المعروف لكونه اشترك فى الفرقة الموسيقية القومية الإسرائيلية !!

بقى أن أقول : إنه يوجد فى دولة الكيان الصهيونى طائفة من اليهود المتدينين تعتقد فعلاً أن (المبكى) حق خالص للمسلمين ، وليطابقوا المعتقد بالسلوك فهم يمتنعون عن زيارة المبكى إلا إذا سمح لهم المسلمون بذلك ، لعدم اعترافهم بالسلطات الإسرائيلية سلطة شرعية ، فكأنهم الجماعة اليهودية الواعية التى تعترف بحقائق التاريخ ولا تنكرها .

* * *

أسرار مؤسسة (هيكل أورشليم) لهدم المسجد الأقصى !!

ما هى قصة مؤسسة (هيكل أورشليم) التى أُسِّستْ خصوصاً للقيام بعمليات الحفريات تحت المسجد الأقصى ، أو تدمير قبة الصخرة بأية وسيلة ، وتحت أى ظروف ؟!!

لنعرف الحقيقة عن هذه المؤسسة ، لا بد من كشف وجهها الآخر وهو (لجنة الإنجيليين المهتمين بشئون العبادة على جبل الهيكل) .

* **الحقيقة انكشفت بإعلان** : فى فترة ماضية ، ظهر إعلان شغل ربع صفحة من صحيفة (الجيروزاليم بوست) الإسرائيلية ، أثار انتباه كثير من المراقبين الذين يقومون برصد الشئون الإسرائيلية .

كان عنوان الإعلان : (رسالة مفتوحة إلى رئيس الوزراء والشعب الإسرائيلى) ، وقد قامت بنشره مجموعة أطلقتْ على نفسها (لجنة الإنجيليين المهتمين بشئون العبادة على جبل الهيكل) .

الإنجيليون هؤلاء بدأوا رسالتهم بالاحتجاج على القبض على (٤٥) مسلحاً يهودياً حاولوا احتلال المسجد الأقصى بالقدس ، واعتبروا اضطرار الحكومة الإسرائيلية إلى اعتقالهم خوفاً من عواقب هذا العمل على الصعيدين العربى والإسلامى (نكسة خطيرة للحرية الدينية فى إسرائيل والعالم) .

وبَدتْ البغضاء من أفواههِم حينما صرحوا فى إعلانهم بأنه : (إذا وُضع حدٌ لأبناء وبنات صهيون ، وحِيل بينهم وبين الوصول إلى هضبة صِهْيَوْنَ المقدسة ، فإن عودة شعب الله المختار إلَى أرضه تصبح عبثاً لا معنى له ، ذلكَ أن (أورشليم) تنتظر قدوم اليهودى وحده لا غير) !!

وقد وقّع الرسالة كلٌ من (تيرى رايز نهوفر) و (دوج كريجر) و (چيمس ديلوش) ، الذين وُصِفوا فى الإعلان بأنهم مدبرو (لجنة الإنجيليين) .

*** ما هى لجنة الإنجيليين ؟**

هى فى حقيقتها واجهة لمؤسسة تُدعى (مؤسسة هيكل أورشليم) ، التى أُقيمت فى (الولايات المتحدة الأمريكية) و (إسرائيل) ، بهدف إعادة بناء هيكل سليمان فى القدس ، وقد قام (رايز نهوفر) و (كريجر) بالإشراف على بناء المؤسسة فى الولايات المتحدة الأمريكية .. وأما رئيس فرع القدس فهو (ستانلى جولفود) الذى كان عضواً فى عصابة (شتيرن) فى الأربعينيات .

وقد وصف (رايز نهوفر) فى مقابلة أُجريت مع (جولفود) هذا بأنه (إرهابى متمكن من فنه) ، أما (تشاك سميث) الذى يرأس كنيسة (كلفارى) فى (كاليفورنيا) ، فقد أضاف عن (جولفود) ما يكشف عن شخصيته بل وخطته ، فقال : « هل تريدون ثورياً حقيقياً ؟ جرِّبوا (جولفود) .. إن خطته بما يتعلق بهيكل سليمان تشتمل على تهريب عدد من قطع من الديناميت والمتفجرات لنسف قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، ثم ادعاء ملكية الأرض التى ينهض عليها هذا الأثر الإسلامى » !!

وقد بان من بين السطور فى تصريح لأحد المتعاونين مع (رايزنهوفر) ويُدعى (لامبردولفين) الذى يعمل فى مؤسسة (ستانفورد) للأبحاث فى كاليفورنيا ، أن (جولفود) هذا كان من وراء محاولة احتلال هيكل سليمان التى جرت فى العاشر من مارس سنة ١٩٨٣م ، وكان أبطالها أكثر من (٤٥) مسلحاً من أعضاء ما يُسمى بـ (عصبة الدفاع اليهودية) التى كان يرأسها المحروم (مائير كاهانا) الذى كان لا يهدأ له بال إلا بعد تدمير قبة الصخرة فدمره الله وهدَّ بنيانه ، هو فى قبر من نار .

الخطير فى الأمر أن (رايزنهوفر) و (كريجر) أوضحا أن رسالتهما المفتوحة فى الصحافة الإسرائيلية ستكون بمثابة (ضوء أخضر) للمحاولات الرامية إلى جعل عملهم يكتسب مشروعيته القانونية فى إسرائيل وأمام العالم !!

*** لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو : ما حقيقة مؤسسة هيكل أورشليم ؟!**

الواقع أن مؤسسة (هيكل أورشليم) كانت منظمة سرية تعمل فى الخفاء لإرهاب الفلسطينين ، ومن أجل هدفهم الأسمى وهو الاستيلاء على المسجد الأقصى .. وظل أمرها طيّ الكتمان حتى نشرت عنها لأول مرة ، وعن حقيقتها الخبيثة وأهدافها اللعينة وبالوثائق الصحفية الأمريكية (نانسى كوكر) .

وانكشف للعالم أن (مؤسسة أورشليم) منظمة تقوم بتنسيق أعمال الإرهاب التى يقوم بها المستوطنون اليهود فى الضفة الغربية ضد الفلسطينيين ، ويقوم على إدارة مكتب المؤسسة فى القدس (ستانلى جولفود) الذى يتمتع بصلات قوية مع زعامة جماعة (جوش إيمونيم) و (عصابة الدفاع اليهودية) ، بالإضافة إلى منظمات أخرى سرية لم ينكشف أمرها حتى الآن ، وذلك فيما يتعلق بالتمويل والتوجيه التكتيكى وحتى الدفاع القضائى فى المحاكم !!

**** وأحد أبرز أقطاب هذا النشاط فى إسرائيل تاجر الماس واسمه (فيوسا بتيندبرج) الذى ينحدر من أصل بلجيكى ، ويسكن فى القطاع القديم من القدس .**

وقد قام هذا التاجر مع شخصية غامضة تعتبر الممول الأول والرئيسى لعمليات هدم الأقصى ، إلا أن مصادر عليمة أكدت أن اسمه الحقيقى هو (إدوارد ريكانانى) ، رجل أعمال يهودى ، قام بتمويل عمليات هدم الأقصى ، بل وبتمويل عمليات الإرهاب ضد الفلسطينيين فى الضفة الغربية بشكل عام .

وقد علمت أن من أقطاب (مؤسسة هيكل أورشليم) شخصاً يهودياً اسمه (زمى سلونيم) الذى أسس بفلسطين مستعمرة خاصة من يهود الولايات المتحدة الأمريكية لتشجيع حركة شراء الأراضى العربية فى الضفة الغربية ظاهراً ، والاستيلاء عليها فى حقيقة الأمر بالإرهاب .

كما أن من المشتركين فى هذه المؤسسة عضوة الكنيست (جيئولا كوهين) ، و (هنان فورات) ، أما الأكاديميون الذين يساهمون فى عمليات تلك المنظمة بخبراتهم العملية والعلمية ، فمنهم : البروفسور (موشى شارون) والبروفسور (هارل

فيش) ، والبروفسور (آشر كاوفمان) والبروفسور (جابرييل باركى) .. مع تمنياتنا لهم جميعاً بالدمار بقضاء الله على أيدى شباب الحجارة الفلسطينيين !!

وللتستر والابتعاد عن الغضب الإسلامى المباشر والعقاب العربى المباشر ، وللتعمية على عيون الإنسان العالمى ، فقد أخذت عمليات هدم الأقصى التى بدأتها تلك المنظمة ..صورة عملية رسمية وهى : حجة (التنقيب عن الآثار) ، والمشرف على عمليات التنقيب الأثرية الجارية على قدم وساق منذ عشرين سنة وحتى الآن كلب يهودى حقير هو حاخام يُدعى (جويدس) حاخام المدينة القديمة ، وأما فى الضفة الغربية فإن الذين يشتركون فى العمليات الإرهابية الخاصة بالإضافة إلى إسهاماتهم السرية المباشرة أو غير المباشرة فى دعم عمليات هدم الأقصى ، فهم : الحاخام (دوف ليور) والحاخام (إيجال إربيل) والحاخام (لويس رابينوفتش) .

وقد صرح بعض الخبراء بأن الهدف من عمليات البحث عن الآثار ليس حتى القيام بحفريات من حول جدران المسجد ، فهذا هو السبب الظاهر الذى يلفتون به الانتباه وتُقام من أجله الضجة العربية والإسلامية ، إنما الهدف الحقيقى هو إيجاد ثغرة أو منفذ ، أو تدبير طريقة معينة للحفر مباشرة تحت قبة الصخرة التى يدّعون وجود قدس الأقداس اليهودى تحتها عن طريق حفر أنفاق متعددة .

واللطيف فى الأمر أن هذه الأنفاق المتعددة قد قام الفلسطينيون المسلمون الآن بإغلاقها بالإسمنت ، ولكن مصدراً حاقداً بمؤسسة (هيكل أورشليم) صرح بأن هذا الإغلاق إنما هو إغلاق مؤقت ، وأكّد نفس الكلام رئيس فرع القدس الإرهابى (جولفود) ، وعندما سُئل عن موعد فتح الأنفاق قال : « لا أريد مناقشة عملياتنا الآن » !!

ويقول مصدرٍ له اطلاع على حفريات (جويدس) تحت المسجد الأقصى : « ما إن يمضون قدُماً فى الحفر تحت الحائط الشمالى حتى يصل الأمر إلى المرحلة التى يقوم عندها الفلسطينيون المسلمون بإغلاق النفق بالإسمنت » ويشير هذا المصدر إلى حادثة جرت قبل فترة وتكررت مثل وقائعها حتى ما قبل انتفاضة الأبطال الفلسطينيين ، عندما سمع المصلُّون فى (مسجد عمر بن الخطاب)

أصوات حفر فاصطدموا بجماعة الحاخام (جويدس) ، وبدأ شوط من العنف بين الفريقين ، ومنذ ذلك التاريخ الذى يعود إلى عشر سنوات لم يتوقف نشاط الحفر إلا بعد الانتفاضة العملاقة للمارد الفلسطينى المسلم .

وصرح نفس المصدر بأنه برغم الانتفاضة فإن النية على ما يبدو متجهة بوسيلة ما إلى استكمال عمليات الحفر و حيث إن الممول الرئيسى لمنظمة هيكل أورشليم المعروف بـ (إدوارد ريكانانى) قد بدأ شراء المواد اللازمة لإعادة بناء الهيكل اليهودى على أنقاض قبة الصخرة ، حتى قال (ريكانانى) : « الأرز من لبنان .. والرخام من إيطاليا .. من أجل أن نبدأ الحفر والبناء صباح الغد » !! ولا يدرى أحد متى هو الغد المقصود هذا ؟!!

وبناء على أقوال مصادر عليمة أؤكد بأن عمليات الحفر من جديد التى تستهدف تدمير الأقصى قد تبدأ سراً ، وبوسيلة جديدة ، ومن مكان غير مطروق ، فى ذكرى معينة لها علاقة بنا نحن المسلمين كذكرى الإسراء والمعراج ، أو تحويل القبلة فى شعبان ، أو لها علاقة بهم هم كالخامس من يونيو (حزيران) ، أو فى العاشر من رمضان ، رداً على المسلمين .

وأنا أهيب بالعالم الإسلامى أن يتنبه لهذا الخطر الذى يتحرك سراً وينشط فجأة ، فالكيان الصهيونى لا يأبه بالمجتمع الدولى ، وإلا فماذا فعلت إدانة الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٨١م ، لعمليات الحفريات الإسرائيلية فى مدينة القدس ؟ وماذا فعل اعتبار ذلك خرقاً لمبادئ القانون الدولى واتفاقيات جنيف الرابعة المقررة سنة ١٩٤٩م !!

إن تخليص المسجد الأقصى من أسْر اليهود ، والحفاظ عليه مهمة العالم الإسلامى ومسئوليته .

اللهم قد بلَّغنا .. اللهم فاشهد .

لِنَعْلَمَ .. وحتى لا ننسى !!

(١)

٢١ أغسطس ١٩٦٨م .. يجب ألا ننسى نحن العرب والمسلمين هذا التاريخ !!

فهو تاريخ الحريق الأول الذى اندلع فى المسجد الأقصى صباح الخميس ٢١ أغسطس ١٩٦٨م ، وكان بلا شك تدبيراً يهودياً متعمداً ، مع سبق الإصرار والترصد ، وليكون الشرارة الأولى التى تفضح مخطط اليهود لتدمير هذا المسجد المقدس .

ومن ثَمَّ تَلَتْهُ سلسلة محاولات أخرى ، ذلك لأنه جزء من مخطط عام رسمته الصهيونية ، والتزمت بحرفيته وتنفيذه إسرائيل ، لتهويد فلسطين ، وطرد العرب المسلمين وتهويد بيت المقدس والقدس .

وزعماء اليهود وكهنتهم يعالنون بذلك معالنة صريحة منذ ظهور أسطورة الوطن القومى اليهودى فى النصف الثانى من القرن الماضى .

وأساس مخططهم هذا : تخريب الآثار والمقدسات الإسلامية أو حتى غير اليهودية عامة ، تأسيساً على اعتقادهم الخرافى بأن الله أقطعهم هذه الأرض وأفردهم بها !!

ولـمَّا كان هيكل سليمان الذى يُصرُّون على إعادته قد تلاشى وجوده من آلاف السنين ، وهم يعتقدون أن المسجد الأقصى قد أقيم فى نفس مكانه ، فالأمر عندهم يقتضى هدم المسجد ، ليقيموا الهيكل على أطلاله .

وقد مضى اليهود فى تنفيذ هذا المخطط بعد احتلالهم مدينة القدس بقسميها ، فأطلقوا آلات الحفر الثقيلة ، لتضرب فى أعماق الأرض من حول المسجد ضرباً يزلزل أركانه ، بدعوى البحث ـ علمياً ـ عن معالم الهيكل والآثار الدفينة !!

ورأى العرب هذا الخطر يحيط بأولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى رسول الله ﷺ ، فتعالت صيحاتهم قلقاً ـ وما أكثر صيحات العرب ـ واستنكاراً وتحذيراً !!

وإن كان موقف العرب مقصوراً على الصياح والاستنكار والشّجْب والتحذير والرفض ، إلى آخر كل هاتيك السلبيات ، إلا أن الرصاص الذى لا يصيب يخيف ، والسهم الذى لا يصيب قد يرعب ، خاصة مَنْ طبعه الجبن وديدنه الخوف ، فاتخذت هيئة الأمم ـ بناء على شكوى العرب ـ أكثر من قرار يلزم إسرائيل بحماية المقدسات الدينية ، والكف عن الأعمال التى تهدد سلامة المسجد الأقصى .

وهنالك كانت إسرائيل قد بلغت حدّاً من العدوان علي ما حول المسجد الأقصى يكاد يؤدى إلى انهيار بناء المسجد ، فخشيت أن تَصْدق توقعات العرب ، ويسوء موقفها أمام هيئة الأمم والرأى العام العالمى لمسئوليتها ـ كحكومة احتلال ـ عن المحافظة على المقدسات والآثار الدينية ، وخروجاً من هذا الموقف المخزى والمأزق الحرج ، اتجه تفكيرها إلى وسيلة أخرى ـ وإسرائيل لا تنقصها الوسائل ـ تحقق لها ما تريد من تهرب ، وتنفى عنها المسئولية المباشرة ، فكان هذا الحريق المفاجئ !!

(٢)

وكان فى تقدير إسرائيل أن جريمة الحريق ستقع فى غفلة من الشهود ، لبكور وقتها ، ومن ثَمَّ تراخت فى أعمال الإطفاء الرسمى لعل النار تلتهم المسجد عن آخره ، فتبلغ بذلك غايتها بلا جهد ولا مسئولية !!

وللتعمية وإخفاء الحقيقة استبقت التحقيق ، بدعواها أن الحادث وقع قضاء وقدراً (بسبب ماس كهربائى) فلا جريمة هنالك مطلقاً ، وهل اليهود يعرفون الجرائم ؟!

ولكن يشاء الله ـ جلّت حكمته وتعالت قدرته ـ أن شهد الذين بكّروا للصلاة بالمسجد بأنهم رأوا شاباً غير عربى يخرج من المسجد مهرولاً ، كالهارب من شىء مفزع ، فى نفس لحظة اندلاع النار وظهور لهيبها وتأجُّج شررها !!

فاضطر المسئولون الإسرائيليون إلى الادعاء بأن تحرياتهم دلَّت على أن مرتكب الحادث شاب مسيحى مهاجر من استراليا ، ويعمل برعى الغنم فى إحدى مستعمرات اليهود بفلسطين . وإمعاناً فى التضليل زعموا أن الشاب اعترف بالجريمة ، وعلَّلها بأن الله أمره بذلك !!

ولكن التأليف المسرحى ، وكذلك الإخراج كانا فاشلين ، مما زاد من وضوح الرؤية وكشف بصمات اليهود على جسم الجريمة كفاعلين أصليين .

فالشاب مسيحى ، ويتلقى الأمر من الله مباشرة ـ كما يدَّعى أو كما يدَّعون ـ ومعنى ذلك أنه (مجنون) أو (متدين متطرف متعصب) !!

وهذا المعنى وحده خليق بأن نطرح تساؤلاً : إذْ كيف تطوع له نفسه هجرة وطنه (استراليا) حيث أهله وعشيرته ووطنه وكنائسه ودينه ؟ فضلاً عن أن استراليا ذاتها قارة فسيحة الأرجاء ، زاخرة بالخيرات ، بل وإليها يهاجر الطامحون وطالبو الرزق والعمل والثراء ؟!

ونحن لم نسمع ، كما لم يسمع غيرنا ، أن واحداً قد عاش فى استراليا ثم هاجر منها ، فكيف لو كان هذا (الواحد) استرالياً أصلاً ، من صلبها وابناً من أبنائها ؟

ثم إن إسرائيل ليست فى شيء من الثراء والاستقرار ، فهى مجتمع صغير ، بل وصغير جداً ، وغير مستقر ومائج بالفتن والقلاقل والعنصرية والأخطار ، ولولا المساعدات الخارجية لجاع اليهود ، وماتوا من تلقاء أنفسهم .

فأمر هذا الشاب فى هجرته إلى إسرائيل من استراليا غريب غاية الغرابة ، وتشتد الغرابة حين يكون عمله كمهاجر هو رعى الغنم لليهود ، وتتعاظم الغرابة ويتضخم الشذوذ حين يعايش اليهود ويخدمهم وهو مسيحى ، يختلط بهم ويقرأ فى كتبهم معتقداتهم التى تحضهم على لعن المسيح والمسيحيين واستحلال دمائهم وأموالهم!! ففى التلمود وهو من كتبهم المؤلفة المقدسة لديهم عبارات : « ... إن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار ... » ، وهنا عبارات عفنة

خادشة لطهارة العذراء البتول مريم تعففت عن نقلها !! « ... وإن الكنائس النصرانية قاذورات ، والواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وإن قتل المسيحى من التعاليم المأمور بها ، وإن العهد مع مسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود القيام به ، وإن من الواجب ديناً أن يلعن اليهودى ثلاث مرات يومياً رؤساء المذهب النصرانى ... » .

ثم نصوص ونصوص كثيرة أخرى مُعبِّرة عن حقد اليهود وكراهيتهم للمسيحيين ، يشتمل عليها هذا التلمود الذى يقدسونه ، ويقدمونه حتى على التوراة نفسها !!

(٣)

وهذا الشاب المسيحى المُدَّعى ـ لا يمكن أن يقتنع العقل السليم مع التسليم جدلاً بوجود هذا الشاب الموهوم ـ بأنه فاته ولو عن طريق التلقين أن اليهود هم الذين خانوا السيد المسيح وتآمروا على قتله ، وإن آمنا نحن المسلمين بنجاته !!

وإنما الأقرب إلى العقل والمنطق والفهم الصحيح ـ إن وُجد هذا الشاب ـ أنه عميل استطاعوا أن يأفكوه عن دينه وعقله بإحدى المغريات الكثيرة التى توافق هوى أمثاله من الشباب الماجن ، وفى مناهجهم المخططة وبروتوكولاتهم المشهورة أحلُّوا المال والنساء والخداع والكذب لفتنة الناس وتسخيرهم لأهوائهم ، فلو كان صحيحاً أنه مُشْعِل النار بالمسجد الأقصى فمن هو الفاعل على وجه الحقيقة ؟!! إنما هو دُمْيَة وأداة فى اليد اليهودية التى فتنته ورسمت له ، ودفعت به ، ووضعت الوقود فى يده ، ومن أيسر الأمور إقناعه ـ وهو عميلهم المقيم معهم ـ بأنه فى أمن وعافية ونجاة من العقاب ومأمن من الغوائل ، فهم أصحاب السلطات والقانون !!

ويؤكد هذا التصور ما نشرته الصحف اليومية العالمية من تصريحات أُذيعت وكُتبت أدلى بها والد الشاب عقب ذيوع خبر الحادث بأن ولده لا يرتبط بأى منظمة دينية ، وأنه لم يكن يشارك حتى فى الصلاة بالكنيسة ، وهذا الاعتراف وحده دالٌّ على ضعف الوازع الدينى لدى الشاب ، وأضاف الوالد الاسترالى أن

وزارة الخارجية الاسترالية أبلغته أن إسرائيل ستقدم لابنه كل مساعدة ، كما أن ابنه كتب إليه يبلغه ذلك .. والله تعالى أعلم بالحقائق . فإسرائيل التى اخترعت التوراة والتلمود قادرة على اختراع هذه التمثيلية وإدتخام الصحف العالمية بها .

وفى كل الأحوال وجب ألا ننسى هذا الحدث ، كما يجب أن نعلم أن مخطط التخريب ما هو إلا فريضة واجبة لدى اليهود ، وما سلسلة المحاولات المتكررة لوضع قنابل فى المسجد أو الحفر حوله أو تحته إلا حلقات فى سلسلة طويلة متصلة حلقاتها ، ما لم يقم المسلمون بردع هذه الشرذمة ، ولن يكون ذلك إلا بتكتل العرب وتجمُّعهم حول كتابهم والالتفاف حول سنَّة نبيهم محمد ﷺ .

وهنا أذكر ما قاله الشيخ جمال الدين الأفغانى وهو يدعو الشعوب الإسلامية للتكتل من أجل التخلص من الاستعمار : « إن ملايين المسلمين من الكثرة بحيث لو تقاربت وتجمعت وكانت (بعوضاً) لاستطاعت بالطنين واللسع فقط أن تطرد المستعمرين ، وتحرر نفسها من ذلِّ الاستعمار » !!

* * *

وثيقة صهيونية منذ ٧٠ عاماً تكشف نوايا الصهيونية فى الشرق العربى المسلم !!

وثيقة صهيونية قديمة ، وقعت مؤخراً بين يدى الدكتور (هشام شرابى) ، وهو أحد أبرز المفكرين الفلسطينيين فى أمريكا ، يعمل أستاذاً فى جامعة (چورج تاون) فى (واشنطن) العاصمة الأمريكية .

وكانت هذه الوثيقة الصهيونية قد نُشرت باللغة البولونية فى مجلة (راشيفت) بتاريخ ٤ يناير (تشرين الثانى) سنة ١٩٢٣م ، أى منذ ثلاثة وسبعين عاماً ، إلا أنها تشرح بطريقة مذهلة حقيقة الصراع العربى الحالى ضد الصهيونية .وقد نشر مؤخراً الدكتور (هشام شرابى) مقالاً بمجلة أمريكية حول هذا الموضوع تحت عنوان : (وثيقة صهيونية خطيرة : الجدار الحديدى) .. وأقدم لكم ملخصاً لأهم ما جاء فى هذه الوثيقة .

* كاتب الوثيقة الصهيونية (فلاديمير چابوتنسكى) يهودى روسى هاجر إلى فلسطين عام ١٩١٤م ، وتوفى عام ١٩٤٠م ، وهو ينادى بضرورة وجود تنظيم عسكرى يهودى وأهمية استعمال العنف فى فلسطين لاستيطانها ، وكان اعتقاده الراسخ هو أن التفاهم بين العرب واليهود أمر مستحيل ، على الأقل إلى أن تقوم الدولة اليهودية فى فلسطين وتتمكن من فرض سيطرتها على العرب ، لأنه ـ وعلى حد قوله ـ « كيف يمكن أن يقبل عرب فلسطين بمحض إرادتهم تحويل فلسطين من بلد عربى إلى بلد تسوده أكثرية يهودية » ؟!

* وعلق هذا الصهيونى على عملية الاستيطان فى فلسطين بأن الحركة الصهيونية منذ الأزل تهدف إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين وتوسيع عملية الاستيطان فيها .. حيث قال : « إن للاستيطان هدفاً واحداً ، وهذا الهدف يرفضه الفلسطينيون العرب ، هذه هى طبيعة الأمور ، ومن المستحيل تغييرها » !!

* ويقرر (جابوتنسكى) فى وثيقته التاريخية بأنه : « إذا كان التفاهم مع الفلسطينيين أولاً مستحيلاً ، فلا بد من التفاهم مع العرب الآخرين ، الذى سيفتح الباب للتفاهم مع الفلسطينيين ، على أن تستمر الحركة الصهيونية بعملية الاستيطان والتوسع فيها غصباً عن الفلسطينيين العرب كما نفعل الآن » !!

(يلاحظ أن ذلك الكلام منذ سبعين عاماً مضت ومع هذا فكأنه يقال اليوم) .

* واعترف (چابوتنسكى) منذ ذلك الوقت بأهمية التعاون والتحالف بين الصهيونية والدول الاستعمارية الأخرى ، ويرى أنه ضرورة حيوية لعملية الاستيطان الصهيونى ، الذى ـ كما قال : « يتطلب قوىً دفاعية خارجيةً تدعم قوى المستوطنين المحلية لتُشكِّل الجدار الحديدى الذى لا يستطيع السكان الأصليون اختراقه » .

* وأخطر ما فى الوثيقة هذا التقرير من (چابوتنسكى) حيث يقول : « إنه فقط عندما يفقد العرب فى فلسطين أى أمل بالتغلب على الحركة الصهيونية يصبح لديهم الاستعداد للتفاوض والتفاهم مع المستوطنين اليهود ، والاتفاق معهم على صيغة من التعايش ، وأى اتفاق تتوصل إليه الحركة الصهيونية مع العرب يجب أن يكون نتيجة واقع ملموس يُفرَض عليهم ولا يختارونه هم بإرادتهم » !!

وأردف (چابوتنسكى) قائلاً : « آنذاك تتم تنحية (الجماعات المتطرفة) وتأتى الجماعات المعتدلة ، طالبة التفاوض حول المسائل العملية كالضمانات ضد التمييز والمساواة وموضوع الحكم الذاتى ، وعندئذ يصبح عقد اتفاق مع العرب أمراً ممكناً وعملياً ... » !!

أما فيما يتعلق بتعليقى أو تحليلى لهذه الوثيقة ، فأنا أعتقد أن الوقائع الحالية والأحداث الجارية تؤكد أن أفكار منظِّرى ومفكِّرى الصهيونية وكلامهم وآراءهم ليس مجرد كلام وآراء وإنما هى قواعد ذهبية يعملون من أجل تحقيقها .. ولعل ما يحدث الآن أكبر تأكيد على ما يراد بنا .. ولكن الله غالب على أمره .

أرض اللبن والعسل .. أم أرض (الحجارة) في مواجهة الإرهاب !!

كانت مراسلة الإذاعة الإسرائيلية (سارة فرينكل) تتجول فى المستوطنات الإسرائيلية التى أُنشئت بشتى مناحى فلسطين المسلمة .. وتحدثت إلى مستوطن يهودى من أصل روسى انخدع أول الأمر بالدعاية الصهيونية التى صوّرت له لذة العيش فى أرض اللبن والعسل ، فجاء إليها مهاجراً .

* سألته : كيف تجد العيش هنا ؟

قال بصراحة : إننى لم أعُد أطيق العيش هنا وأرغب فى العودة إلى بلدى الأصلى ، لا أريد العيش فى هذا الجحيم .. ماذا تريدون منى ؟ اتركونى أرحل !!

والتعليق على مثل هذا الكلام لا ضرورة له ، لأن أرض (اللبن والعسل) وَهْمٌ عاشه اليهود ، ولستُ أدرى كيف سوّلت لهم أنفسهم أنهم سينالون (اللبن والعسل) وأصحاب الأرض أحياء ؟!!

لقد تحولت أرض (اللبن والعسل) إلى أرض (الحجارة) .. والحجارة وحدها فى مواجهة (الآلة العسكرية الإرهابية اليهودية) !!

وكل محاولات اليهود الآن ، وتماديهم فى إجرامهم ، وذبحهم لإخواننا الفلسطينيين ، إنما يريدون بها (إجبار) الفلسطينيين على (حمل السلاح) ليصرخوا أمام العالم من جديد ويبكوا ويقولوا : (اعذرونا .. فنحن فى حالة دفاع عن النفس) !!

ولكن (الذكاء الفلسطينى) يؤازره (الصبر العظيم) كان من وراء إحباط هذا المخطط ، ليستقر فى ضمير (العالم) ـ إن كان له ضمير ـ أن فلسطين لن تُدرّ اللبن والعسل إلا لأصحابها الحقيقيين ، وإلا فإنها ستظل (أرض الحجارة) فى (مواجهة الإرهاب) .

في مواجهة الخطر الصهيوني :
الكيان اليهودى كيان توراتي : قام في كل اتجاهاته على التوراة !!

لكى نستطيع أن نواجه ـ أو حتى نعايش ـ الكيان الصهيونى ، رأس الحربة الشيطانية ـ بتحدٍّ مكافئ له ـ ينبغى أن ندرس طبيعة هذا الكيان ، من حيث نشأته ، ومن حيث طبيعته ، ومن حيث توجهاته .

وأستطيع أن أقرر بكل حزم أن المجتمع الصهيونى هو مجتمع توراتى تماماً ، من حيث نشأته ، ومن حيث طبيعته ، ومن حيث توجهاته .

** ومسألة توراتية المجتمع واضحة تمام الوضوح فى كل قواه السياسية ، وكافة الاتجاهات ، يمين ويسار ، وحتى ملحدين .

*** « وُجد هذا البلد تنفيذاً لوعد الرب ذاته ، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود » !!**

هذا تصريح لـجولدا مائير ، لجريدة (لوموند) الفرنسية ، بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٧١م ، مع ملاحظة أنها كانت رئيسة حزب العمل الإسرائيلى .

*** « لقد وُعدنا هذه الأرض ، ولنا الحقُّ فيها » !!**

تصريح لمناحم بيجين فى أوسلو ، ونشرته صحيفة (داقار) ، عدد ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٨م ، وكان بيجين يومها من كتلة الليكود .

*** « إذا كنّا نملك التوراة و وإذا كنا نعتبـر أنفسنا شعبَ التوراة ، فينبغى أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة ، بلاد القضاة ، أرض أورشليم وميرون وأريحا ، وأماكن أخرى » !!**

تصريح موشى دايان لجريدة (جيروزاليم بوست) ، فى ١١ أغسطس سنة ١٩٦٧م .

** وهكذا تردد ودائماً على ألسنة الزعماء الصهاينة نفس العبارات ، سواء كانوا من اليمين أو اليسار ، أعضاء فى حزب العمل أو فى كتلة ليكود ، ناطقين باسم الجيش ، أو باسم الحاخامات !!

*** التوراة وراء كل شىء :**

والتوراة ترسم فى إسرائيل كل شىء !!

التوراة ترسم ثقافة الأطفال فى المدارس ، وبناءً على توجيه (بن جوريون) فإن الدين اليهودى يُدرَّس كمادة إجبارية فى البرامج الدراسية .

حتى الزواج فى إسرائيل زواج دينى ، ولا يوجد زواج مدنى ، كما أنه لا يُوجد فى إسرائيل دستور ، لأن (التوراة) هى (القانون الأساسى للدولة) !!

كما أن التوراة ذاتها تُعرِّف هوية المواطن ، وتحدد مَنْ مِنْ هؤلاء الإسرائيلى ، ومَن الدخيل !! وهى ذاتها تحدد الحدود ، بل وتبرر الحرب والإرهاب .. وعلى حد قول حاخام برتبة نقيب كتب فى صحيفة (هاآرتس) عدد ٥ / ٧ / ١٩٨٢م يقول : « **علينا أن لا ننسى أجزاء التوراة التى تبرر هذه الحرب ، فنحن نؤدى واجبنا الدينى بتواجدنا هنا ، فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً ، وهو أن نغزو أرض العدو** » .

حتى المذابح ابتداء من دير ياسين وحتى صابرا وشاتيلا ، ومذبحة القدس ، تبررها التوراة .. وكيف لا .. وسفر يشوع ، الأصحاح (٢١) يقول لهم : « **... ومزِّقوا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف** » !!

*** هذه هى الحقيقة .. فاعلموا وافهموا :**

وهكذا .. فإنه يبدو لكل صاحب بصر وبصيرة أن طرح شعار دولة علمانية ديمقراطية فى إسرائيل هو مجرد إلهاء وتعمية ، فالكيان الصهيونى كيان توراتى حتى النخاع !!

وبالتالى فإن من يريد سحب الأرضية الإسلامية فى مواجهة الكيان الصهيونى ، كمن يدفن رأسه فى الرمال عن واقع يجاهر به العدو ، وهو يريد مواجهة مجتمع يهـودى بأسلوب فاشل حتماً ، فهـو حين يسحب سلاح الجماهير المسلمة منها لا يسحب سلاح الصهاينة منهم ، وبالتالى فهى خيانة أو جهل .

وعليه ، فـإننا حين نعلن أن الصـراع يجب أن يكون قـرآنيـاً إنما نعطى تحـدياً مكافئاً ، فضلاً عن أن أمتنا وعبر تاريخها الطويل لا تتحرك إلا من خلال قرآنها .. إن المغالطات التوراتية بكل ما فيها من إرهاب وعنصرية لا يمكن أن تصمد مطلقاً أمام (حضارة القرآن الكريم) .. فجرّبوا (الإسلام) ولو مرة ، فسوف تدوم !!

* * *

بين الحقائق والتزييف عن خروج وعودة اليهود إلى فلسطين المسلمة !!

*** اليهود اضطُهدوا بكل مكان ما عدا عند العرب والمسلمين !!**

*** هذا هو سر مناصرة العالم المسيحى لليهود !!**

المتخصص فى الدراسات العبرية وتاريخ الصهيونية يستطيع أن يخرج بمفهوم أن الفكرة الصهيونية منذ نشأتها قد استغلت فى التأثير على الرأى العام العالمى ـ وبخاصة العالم الغربى ـ أمرين مهمين لهما أثرهما القوى من الناحية الانفعالية وتأثيرهما الفعال فى أفكار الكثيرين ممن لم يطلعوا على حقيقة الصهيونية كفكرة والصهاينة كتجسيد لها .. هذان الأمران هما :

١ ـ الاضطهاد الذى أصاب جماعة اليهود فى روسيا فى أواخر القرن الماضى .

٢ ـ ما جاء فى الكتاب المقدس (العهد القديم) من أن أرض كنعان قد وُعدوا بها على لسان إبراهيم ، وأنهم منها سيخرجون وإليها يعودون .

*** محاولات بلا جدوى :**

حقيقة إن اليهود كانت لهم محاولات لدى سلاطين العثمانيين ليكتسبوا الحق فى الأرض بأى ثمن ـ الأرض التى وُعدوا بها على حدٍّ زعمهم ـ ولكنها محاولات بلا جدوى . وجاء اضطهاد الروس لتلك الجماعة من اليهود الذين يعيشون بينهم والذين كانوا يمثلون فى ذلك الوقت ثلثى اليهود فى العالم كله ، فقُتل منهم الكثيرون ، ورحل عدد منهم إلى أمريكا الشمالية وإلى أوربا ، وعدد آخر رحل إلى (فلسطين) العربية المسلمة ، وعاونهم فى بناء حياتهم فى فلسطين (البارون روتشيلد) ، وكان من أكبر رجالاتهم وأثراهم !!

وأخذ اليهود (يُهلّلون) و (يُضخّمون) الاضطهاد الواقع عليهم فى كل مكان . وفى عام ١٨٩٠م تمكن الصحفى اليهودى (تيودور هرتزل) من كتابة

(كتيب) يتحدث فيه عن الدولة اليهودية ، ووزّع هذا الكتاب بين طلاب الجامعات من اليهود ، وبين هؤلاء الحالمين بالعودة إلى أرض صِهيون .. ومنذ ذلك الوقت أصبح (هرتزل) زعيم حزب يهودى ، ومن دعاواه ولدت الأفكار الصهيونية ومن دعاوى القدماء .

* ما بعد فشل المنظمة الصهيونية :

وبعد سبع سنوات من فشل المنظمة الصهيونية بقيادة هرتزل فى التأثير على أى من القوى المؤثرة من الحكومة البريطانية بإقامة هذا الوطن لليهود فى فلسطين ، تلقت عرضاً فى سنة ١٩٠٣م بإقامة وطنٍ قومى بشرق إفريقيا ، ووقع (الاختيار) على (أوغندا) .. وكان هرتزل نفسه سعيداً جداً بهذا العرض ، فهو ـ فى نظره ـ انتصار فى حد ذاته ، ولكنه توفى قبل تنفيذ أى شيء ، وبعدها أصرّ المؤتمر الصهيونى عام ١٩٠٥م ، على أن (فلسطين) هى أرض صِهْيَوْن ، وأرض صهيون هى المقر الوحيد الذى لا حيدة عنه لليهود !!

وجاءت الحرب العالمية الأولى حاملة وعد بلفور ، ونشطت الحركة الصهيونية فى انجلترا وأمريكا بصفة خاصة ، واكتسبت التأييد الكثير للنشاط اليهودى (المضلّل) ، وترويج الدعايات المدروسة ضد العرب والمسلمين ، ورافق هذا (عدم الوعى) لدى من يتهيأ اليهود للانقضاض عليهم !!

* وما بعد النازية :

وجاءت الحركة النازية وأصاب اليهود على أيديهم ما أصابهم ، وكانت فرصة أخرى استغلتها الحركة الصهيونية (بالتضخيم والتهويل والافتراء) استغلالاً لا حدّ له فى التأثير على الرأى العام العالمى ، حتى أعمته عن الحقيقة وأنسته ما سيترتب على قيام دولة يهودية من مآسٍ تصيب الآخرين بلا ذنب منهم ولا جريرة ، وممن لم يسيئوا يوماً إلى اليهود فأخرجوهم أو ظاهروا علي إخراجهم من ديارهم ، ونسى العالم كله وخاصة فى أوربا وأمريكا أن اليهود اضطهِدوا فى كل مكان حلّوا فيه ، ما عدا عند العرب والمسلمين ، فقد اضطهِدوا من الروس فى زمن القياصرة ، ومن

الفرنسيين ومن الإنجليز ومن الألمان .. نسى العالم هذا أو تناساه بعد أن نجح اليهود فى تخدير عقولهم وملء أدمغتهم بأسطوانات الإنسانية !!

ولست هنا بصدد مناقشة هذا الاضطهاد وأسبابه مناقشة موسعة ، لأننى أعتقد أن أغلب السادة القراء يحيطون علماً به ، فالسرُّ من ورائه السلوك المعروف عن اليهود من حب للسيطرة على العصب المالى لأية دولة ، واستغلال للمال ، والعيش كجماعة منعزلة تكوِّن لنفسها دولة داخل الدولة ، كذلك وسائلهم الخبيثة لمحاولة السيطرة على الحكم فى كل مكان يتواجدون به ، والعمل على استقطاب سلطة إصدار القرار عن طريق رأس المال وإفساد الذمم وبيع الضمائر .. فهو لم يكن اضطهاداً للجنس اليهودى من حيث هو جنس يهودى ، ولكنه اضطهاد لجماعة بسبب سلوكها وسوء تصرفاتها ، ولكن اليهود نجحوا فى إبرازه اضطهاداً للجنس ، وأبانوا للعالم كله أنهم فى حاجة إلى العطف والرحمة والاستقرار ، ولن يتحقق شىء من هذا إلا إذا عادوا إلى أرض (كنعان) .

*** لماذا فلسطين بالذات ؟**

وبغضِّ النظر عن أن هذا طَمْسٌ لوقائعِ التاريخ ، وتزوير للوقائع والحقائق ، فإن هناك سؤالاً يُلِحُّ على الخاطر وهو : لماذا تصرُّ الصهيونية على أن اكتساب الحماية للجنس اليهودى لا يتحقق إلا فى فلسطين ؟!

هنا تبدو أهمية الاعتماد على الأمر الثانى الذى أشرت إليه فى مطلع كلامى ، فهو من وجهة نظرهم مكمل للأول ومحقق لآمالهم ، ومن ثَمَّ رفضوا شرق أفريقيا لإقامة وطنهم القومى ، لأن التوراة تقرر أن فلسطين هى وطنهم .

والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد له تأثيره وهيمنته على العقل المسيحى ، إذ ركيزة المعتقد فيه (أطفئْ شمعة العقل واعتقد وأنت أعمى) !!

وما دام الكتاب المقدس نصَّ على أن اليهود سيخرجون من أرض الميعاد وسيعودون إليها، إذن وجب إعادتهم إليها .. ولا عليهم بعد ذلك أن يتشرد أقوام ، وأن يهيم آخرون على وجوههم فى هذه الأرض الواسعة ، وأن يُيتَّم أطفال ، وتثكل

أمهات وتُرمِّل نساء ، وبخاصة إذا كانوا من أمة محمد ﷺ .. فهو الذى مزّق دينهم كما يتصورون ، وهذا هو سر مناصرة العالم المسيحى لليهود سواء عن اقتناع أو غير اقتناع ، مع أن محمداً ﷺ هو الذى ردّ إلى المسيحية نقاءها ووحدانية ربها ، ونزّه المسيح عليه السلام ، وأمه القانتة مريم الغالية على كل قلب مسلم !!

* على فرض صحة الكتاب المقدس :

فلماذا يا أمريكا ويا أوربا تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟!

على فرض صحة الكتاب المقدس وهو غير مسلَّم به كله ، حتى لدى مدارس نقد الكتاب المقدس ذاتها ، فهل لم يحدث فى تاريخ بنى إسرائيل أن أُخرجوا ثم عادوا ؟! وبذلك تحقق ما كان قد أشار إليه الكتاب !!

إن التاريخ ووقائعه شاهدُ صِدْقٍ .. فالعرب والمسلمون لم يُخرجوا اليهود من ديارهم فى أرض صهيون (عُنوةً) .. بالقوة والإرهاب .. ولم يشردوهم ، حتى يكون لهم الحق فى العودة بعد هذا الإخراج !!

والكتاب المقدس نصَّ على أن إخراجهم سيكون (عنوة) ، فلماذا إذن تُفَسَّر العودة المقصودة على أنها إعادة بناء دولتهم ولو على أكتاف أقوام آخرين !!

إن التاريخ يحدثنا أن اليهود قد فتحوا أرض كنعان ، ثم استقروا بفلسطين حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .. وكانوا يعيشون جماعاتٍ فى نظام قبلى ، تخضع كلِ جماعة لأكبرهم سِنّاً وتجربة ، ثم توحدت كلمتهم ، وحكمتهم جماعة سُمُّوا فى التاريخ اليهودىَ (بالقضاة) !!

وظلوا فى صراع دائم مع أهل فلسطين الأصليين ، يتغلبون عليهم أحياناً ، ويغلبهم هؤلاء أحياناً أخرى .. وحين استقر لهم الأمر حيناً ظهرت فيهم الملكية على يد (شاءول) حوالى سنة (١٠٤٠ ق. م) ، وبعد ملك سليمان دبّ الخلاف بينهم وانقسمت دولتهم إلى مملكتين : واحدة فى الجنوب وعاصمتها (أورشليم) ، وهى مملكة يهودا ، وأخرى فى الشمال وعاصمتها (سامرا) ، وهى مملكة (إسرائيل) !!

ولم تَدُمْ دولة الشمال طويلاً إذ استولى عليها (الأشوريون) ، وأخذوا الكثير من سكانها أسرى إلى أرض (آشور) .. وهذا هو أول إخراج لليهود عنوة من ديارهم . أما مملكة يهودا في الجنوب فقد ظلت زمناً بعد انقضاء دولة إسرائيل ، وبعد أن دالت دولة الأشوريين ، وجاء (بَخْتنصَّر) ملك (كلديا) وأغار على بيت المقدس وخرّبه ، وأسر من بني إسرائيل كثيراً وأجلي الباقين عن البلاد .. وهذا ما عُرف في التاريخ باسم (السبى البابلى) ، وبذلك أُخرج ثانية بنو إسرائيل عنوة وإرهاباً ، وأُنزلوا منازل غير منازلهم .

** وقد ظل اليهود فى الأسر حتى دالت دولة البابليين بتغلب الفرس عليهم في عهد (كورش) سنة ٥٣٩ ق م ، وأَذِنَ لمن أراد من اليهود بالعودة إلى فلسطين ، فعاد الكثيرون وعمروا البلاد مرة أُخرى مع أهلها الأصليين .

أليس هذا إخراجاً وعودة ؟!!

أليس هذا ما عناه الكتاب المقدس على فرض صحته ؟!!

هذه هي وقائع التاريخ ، لكن الصهاينة دأبوا على إلباس الحق بالباطل والسخرية من عقول الغير ؟!

*** هذه هى الحقيقة :**

وعاش اليهود فى ظل الفتح الإسلامى فى خير ونعمة ، وما عُهد فى التاريخ الإسلامى مرة أن المسلمين طردوا اليهود من فلسطين أو فرضوا عليهم الخروج .. فأين إذن الخروج الذى أُكرهوا عليه من العرب أو المسلمين حتى يعودوا إلى أرض تركوها باختيارهم وقتما كانوا يخرجون بحثاً عن الرزق ، وكانوا يعودون دون أن يقول لهم أحد : لِمَ عُدتم ؟ إن حقائق التاريخ تدحض كل زيف ، وعلى فرض صحة الكتاب المقدس جدلاً ـ وهو فرض بعيد وغير صحيح ـ كما أسلفنا ـ فى الوعد بالخروج والعودة .. فالخروج والعودة قد وقعا وانتهيا منذ آمادٍ وأزمانٍ ، والعرب مجنى عليهم ، والدين والإنسانية براء من تزييف اليهود . ولئن لم يعد الحق إلى نصابه بوقفة جادة من العالم الأمريكى والأوربى ـ وهذا مستبعد جداً ـ فلن يبق طريق أمامنا يا مسلمون ويا عرب سوى الجهاد .. فهل وعينا ؟!!

على عتبات لغتنا الجميلة

اللغة العربية بين جهل أهلها .. وتجهيل أعدائها !!

كما بذلت الصهيونية العالمية مبالغ ضخمة لخلع (السلطان عبد الحميد) ، لأنه رفض ما عرضه عليه (هرتزل) سنة ١٩٠٣م بشأن تخصيص قطعة من الأرض الفلسطينية لليهود مقابل ملايين الجنيهات الذهبية ، بذلت الصهيونية مبالغ ضخمة وطائلة لإحياء التوراة لغةً وعقيدةً من جهة ، وإماتة القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعاً من جهة أخرى ، لأن العرب والمسلمين لا يمكن أن يُغلَبوا من قلّة أبداً ما داموا متمسكين بالذكر الحكيم !!

وبدأت الأصوات الناشزة المريبة تدعو إلى العامية وتحتج بأن كل قطر عربى له لهجته العامية الخاصة به ، فللعراق ولمصر وسوريا ولبنان لهجات خاصة بكل قطر منها .. ولكل قطر من أقطار المشرق العربى ، والمغرب العربى لهجة خاصة بسكانه ، فلماذا يعانى العرب من الازدواجية والتعدد فى اللغة مما يعرقل تعلُّم التلاميذ .

ولستُ أعرف دعوة أسخفَ ولا أتفه من هذه الدعوة .. لأن الفصحى هى التى تجمع شمل العرب شرقاً وغرباً لا اللهجات ، وكم قابلتُ من مغاربة وجزائريين أو من أهل الإمارات العربية وجزيرة العرب فما كنت أفهمهم ولا يفهموننى إلا بتكلمنا بالفصحى .. فإذا تكلمنا العامية وبلهجاتنا الخاصة فقد مزقنا الشمل وجعلناه بدداً . والفصحى هى لغة القرآن الكريم ، وهو همزة الوصل بين العرب والمسلمين بكل مكان ، فلمصلحة مَنْ نقطع هذه الصلة القوية ؟!

*** ومن أطرف ما حدث : كنت أحاضر فى باريس ، ونزل من سويسرا للترحيب بى صديقى وتلميذى الأستاذ (هانى عبد الدايم) ، وتحدث نصف ساعة مع**

الصديق المغربى (مهدى سميلالى) ، فقال لى هانى : أنا لم أفهمه ، وقال مهدى : أنا لم أفهمه ، وكانت الآفة أن هانى حدثه بالعامية ومهدى حدثه بالفصحى ، فقلت لهانى : حدِّثه بالفصحى كى يفهمك ، فحدثه بالفصحى بمعاناة فتجاوب معه مهدى !! والحادثة على بساطتها تبين لنا إلى أى مدى تجمع الفصحى بين الشعوب العربية ، خاصة أن مهدى تربى فى فرنسا ويجيد الفرنسية أكثر من العربية !!

ومن حق أعداء العرب والمسلمين أن يدعوا إلى العامية حتى تصبح الفصحى غريبة بين أبنائها ، ومن ثَمَّ يصبح القرآن غريباً ، ولكن ما عذر أبناء العرب والمسلمين الذين يشايعون أعداءهم فى هذا المجال ؟ أيمكن أن يكون هؤلاء جهلاء ؟ أيمكن أن يكونوا مُغرَّراً بهم ؟ إنهم مثقفون ثقافة عالية كما يزعمون ، أو كما يزعم مَنْ وراءهم من الأيدى الخفية التى تشيد بهم صباح مساء ، وتنعتهم بنعوت العلماء !!

وظهرت مع الدعوة إلى تبنِّى اللهجات العامية دعوة مريبة أخرى لا تقل خطراً عن الأولى ، وهى كتابة الفصحى بالحروف اللاتينية . وحجة دعاة استعمال الحروف اللاتينية أنها حروف عالمية والكتابة بها أسهل من الكتابة بالحروف العربية وأنه قد استبدل (كمال أتاتورك) فى تركيا الحروف اللاتينية بالحروف العربية فنجحت تجربته .

وهؤلاء أقول لهم : الحروف العربية عالمية من باب أَوْلى ، لأن العرب يستعملونها ويستعملها معهم مئات الملايين من إخوانهم المسلمين ـ من غير العرب ـ فى كثير من الدول الإسلامية . ويكفى أن تكون عالمية لأن القرآن الكريم مكتوب بها وهو البيان الإلهى للعالم أجمع . أما الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية بحجة أن الكتابة بها أسهل من الكتابة بالحروف العربية ، فهذا غير صحيح أبداً ، فهناك حروف عربية غير موجودة فى الحروف اللاتينية ، والكتابة بالحروف العربية أسرع من الكتابة بالحروف اللاتينية ، والتجربة خير برهان عملى على ذلك .

وتجربة (كمال أتاتورك) لم تنجح مطلقاً ، ويكفى أن تجربته قضت قضاء تاماً

على التراث التركى ، فأصبحت مصادره تباع بالوزن للبقالين ، ولا أحد من الجيل التركى الحاضر يستطيع قراءتها والاستفادة منها ، وبهذا جنى (أتاتورك) على الأتراك بحرمانهم من تراثهم الفكرى والحضارى الأصيل .

كما أن الحروف العربية لها جمالها الخاص ، وجَرْسُها الخاص ، وفنها الخاص ، حتى ليمكن اعتبار الخط العربى نوعاً من النقوش الجميلة الرفيعة والإبداعية ، وكثير من الأوربيين يفهمون هذه المعانى إلى حدٍّ أن بعضهم أقام معارض فنية لصنوف الخط العربى !!

والواقع أن محاولة الطعن فى لغة القرآن الكريم قديمة قِدَم نزول القرآن ، فقد بدأت بيهود يثرب ، ثم امتدت إلى (عبد الله بن سبأ) اليهودى الذى عاصر الإمام (على بن أبى طالب) رضى الله عنه وتبناها (الشعوبيون) بعد الفتح الإسلامى العظيم ، وكانت موضع حقد الصليبيين أيام الحروب الصليبية ، وبعد ذلك عمل من أجلها المستشرقون فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لأهداف استعمارية ، فكتب (ولهلم سبيتا) سنة ١٨٨٠م كتابه (قواعد اللغة العامية فى مصر) متنبئاً فى هذا الكتاب بموت الفصحى كما ماتت اللاتينية من قبل . وفى سنة ١٨٨١م انبرت مجلة (المقتطف) تدعو إلى كتابة العلوم بالعامية ، زاعمة أن الفصحى (لغة النُّخبة) وليست (لغة الشعب) !!

وحشد الاستعمار القديم كل قواه لتطويق الفصحى ، ففى سنة ١٨٩٩م جعل التعليم فى المدارس العصرية بمصر وبعض أقطار المشرق بالإنجليزية ، وفى أقطار المغرب العربى بالفرنسية ، ولم يكتف الفرنسيون بالمدارس بل فرنسوا الشارع والمكتبة والمكتب والكتب . ويمضى المخطط إلى غايته ، فيدعو مهندس الرى الإنجليزى بمصر (وليم كوكس) إلى إحلال العامية محل الفصحى ، فيتساءل : « لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين إلى الآن ؟ »

ويجيب على نفسه : « إن الفصحى هى السبب الكامن وراء هذا التخلف ، لأنها ليست لغة إبداع علمى ، ولأنها لغة عزلت الجماهير الهائلة عن محاولات الفعل والخلْق » !!

ثم يزعم العبقرى أن الحل الذى لا بديل عنه هو طرح الفصحى والتمسك بالعامية !!

وفى سنة ١٩٠١م نشر القاضى الإنجليزى (ولمور) كتابه : (العربية المحكية فى مصر) ، لضرب الفصحى والترويج للعامية .

وفى سنة ١٩٢٥م عاد (ويلكوكوس) إلى الميدان من جديد ، فترجم الإنجيل إلى العامية ، ونشر رسالة بالإنجليزية يزعم فيها أن مصر وشمالى أفريقيا وسوريا ومالطة تتكلم (البونية) القديمة لا (العربية) . وألف بالعامية كتابه (الأكل والإيمان) الذى صدرت منه ثلاث طبعات إلى سنة ١٩٢٩م .

وتصاعدت محاولات إضعاف الفصحى تمهيداً للقضاء عليها بظهور (كُتَّاب) بالعربية ، يطعنونها من الخلف بخناجر مسمومة . ففى الربع الثانى من القرن العشرين تبنَّى الكاتب المصرى (سلامة موسى) مهاجمة الفصحى بأسلوب أشد إثارة من طرق المستشرقين الأجانب ، فزعم أن الفصحى لا تخدم التفكير العلمى والفلسفى وليست قادرة على إيجاد مجتمع علمى ولا على التفكير السديد ، وهى لغة الانفعالات والعواطف والماضى والمبالغة والكراهية والمترادفات والإطناب والتعقيد ، وزعم « أن مئات السنين تخطوها الأمة إذا اتخذت الخط اللاتينى الذى يكسبها عقلية المتمدين ويجعل دراسة العلوم سهلة وهى خطوة نحو الاتحاد البشرى » !!

وضرب (إميل شميل) على نفس الوتر ، فزعم أن الفصحى وصلت إلى مرحلة العجز الكامل عن مواكبة التطور الحضارى ، ولذلك فلا بد من هجرها إلى لغة أجنبية أكثر قرباً من التطور الحضارى ، وأن العربية ماضية فى طريقها إلى الموت كما ماتت من قبلها لغات كان لها نفس الخصائص والمكونات كاليونانية والسريانية والكلدانية ، وأن اللغات الأوربية فيها تراث على مستوى أروع من التراث العربى ، فلا خوف من التخلى عن تراثنا إذا تخلينا عن العربية !!

هكذا بكل بساطة يردد (شميل) هذا ، شطب العربية من الوجود ، وأصبح الحل العبقرى هو اتخاذ اللغات الأوربية لغة للعرب دون خوف على التراث وعلى

رأسه القرآن الكريم ، مع أن كل لغات العالم لا توفى شيئاً بروح وبلاغة القرآن الكريم ، وحين نترجم القرآن للغة أخرى فإننا ننقل المعنى لا أكثر ولا أقل ، لأنه لا توجد لغة فى العالم كله تستوعب أعماق القرآن الكريم سوى اللغة العربية !!

ولكن .. لماذا يدّعى (شميل) أن العربية ماتت ولا يدعى نفس الادعاء بالنسبة للغة العبرية ؟!

* * *

وظهر (عبد العزيز فهمى) الذى دعا إلى العدول الكامل عن الحرف العربى إلى الحرف اللاتينى توخياً للسهولة المزعومة ، وتمشياً مع الفكر الحديث واستغناء عن عبثية الضبط بالشكل ـ على حد سوء أدبه فى التعبير ـ إلى صوابية الضبط بالحروف . وانتهز (سلامة موسى) دعوة (فهمى) فشنَّ حملة ضارية على الحرف العربى ، وكانت خطورة آراء (سلامة موسى) تأتى من أنه كاتب عربى ، لكن (عبد العزيز فهمى) كان أكثر خطراً لأنه مفكر مسلم عربى ، وهو يدرك ـ بدون شك ـ خطورة مثل هذه الدعوات على الأمة العربية والإسلامية .

* ومن المعروف فى تاريخنا المصرى أن دراسة العلوم كلها فى مصر كانت باللغة العربية منذ الفتح الإسلامى حتى عهد محمد على . بل إن الفاهم النابه فى شئون اللغات السامية يدرك لأول وهلة أن اللغة المصرية القديمة ما هى إلا فرع عن العربية أو أصل لها ، ولهذا موضع آخر فى دراسة أخرى . واستمرت الدراسة بالعربية بمصر حتى جاء الاحتلال الإنجليزى ، وبدأ التدريس بالإنجليزية بناءً على قرار استعمارى سنة ١٨٨٩م ، وقاوم المصريون هذا القرار ، ولما تولى سعد زغلول نظارة المعارف المصرية سنة ١٩٠٦م أصدر قراراً قومياً بإلغاء القرار الاستعمارى ويقضى بتعريب التعليم فى جميع المراحل التعليمية ، ولكن الإنجليز حاربوا تعريب التعليم العالى وأخرجوا سعد زغلول عندما أصرَّ على التعريب !! وجاءت حكومة الثورة وكان من حسناتها لا شك قرارها القاضى بتعريب التعليم .

* * *

ثم حدثت مفاجأة شاذة فى مؤتمر (بيروت) الذى عُقد فى شهر يونية سنة ١٩٧٣م ، فدعا إلى الاقتصار على الجملة الاسمية ، وقبول المفردات العامية فى اللغة المكتوبة ، والاكتفاء فى جمع المذكر السالم بصيغة الياء والنون ، وتوحيد صيغة الأسماء الخمسة ، فيقال مثلاً (أبو) فى الرفع والنصب والخفض ، وجميع التراكيب العامية والكلمات . وفى نفس المؤتمر ظهر من يدعو إلى تسكين أواخر الكلمات هروباً من صعوبة الضبط وتملصاً من قوانين الحركة فى اللغة .

* ونلاحظ أن القاسم المشترك الظاهر بين جميع الدعاة إلى العامية والحروف اللاتينية من العرب المسلمين هو عدم التزامهم بتعاليم الإسلام أولاً ، وانتمائهم إلى جمعيات مريبة كالماسونية ثانياً ، وارتباطهم الوثيق بالولاء لجهات أجنبية ثالثاً !!

ولا لوم على دُعاة العامية والحروف اللاتينية من الأجانب ومن العرب غير المسلمين لأنهم يصاولون لغة القرآن الكريم من أجل هدفهم فى هجر القرآن ، ولكن اللوم كله يقع على دعاة هذا الضلال من المسلمين ، إذ لا أجد لهم عذراً مقبولاً ولا حجة مقنعة .. ونسأل هؤلاء : هل من المصادفة أن تتفق محاولة إحياء التوراة لغةً وعقيدةً مع توقيت محاولة إماتة لغة القرآن الكريم تمهيداً لهجره ؟ أيمكن أن يصدِّق أحد أن اللغة العربية تعجز عن حمل رسالة العلم والحضارة ؟!

لقد استوعبت العربية جميع الحضارات السابقة فأصبحت لغة الحضارة والعلم وكانت الجسر الذى عبرت فوقه الحضارات والعلوم إلى أوربا كما يقرر ذلك المنصفون من العلماء الأجانب . وقد غزت العربية لغات العالم كله وكان العلم والحضارة من وسائلها فى هذا الغزو . وقد صدرت (معاجم وقواميس) فى جميع اللغات العالمية وغير العالمية تسجل المفردات العربية فى تلك اللغات ، وآخر ما صدر من تلك المعاجم (معجم المفردات العربية فى اللغة الروسية) !!

إن الراهب الفرنسى (جربرت) ترك فرنسا وقصد الأندلس ليزداد من مناهل العلم الإسلامى العربى بها ، واستوطن إشبيلية ، ثم استوطن قرطبة ، ولما أكمل تحصيل ما أراد من العلوم رحل إلى روما وعلا شأنه بفضل العلوم الإسلامية العربية حتى ارتقى منصب البابوية باسم البابا (سلفستر الثانى) عام ٩٩٩م ، وتبعه كثير

تجد قائمة بهم فى مخطوطات الفاتيكان . ومنهم القس الألمانى الكبير المسمى (ألبير الكبير) وكان أستاذاً للفلسفة واللاهوت بجامعتى باريس وكولونيا ، وألّف كتابه الضخم (مآثر العرب) الذى يعتبر مفتاحاً للمعرفة بالغرب وبدايات الثورة العلمية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ومنهم الراهب الإنجليزى (روجر بيكون) الذى أوصى قومه بتعلم العربية إن أرادوا فلاحاً وتقدماً ، وكان من عشاق مؤلفات ابن الهيثم .

إن اللغة العربية لغة حية ، وليست بحاجة إلى إحياء ، إنما المسلمون والعرب هم الذين يحتاجون للإحياء ، ولست أخاف على العربية من أعدائها لأنها محفوظة بحفظ الله كتابه الكريم ، وهو محفوظ أبداً ، ولكنى أخاف على أبناء العربية من جهلهم بها ، فالضعف ليس فى العربية ولكن الضعف فى العرب والمسلمين !!

واللغة العربية لغة سهلة ميسرة ، وإتقانها عبادة من أجلّ العبادات ، وتعلُّمها عِزٌ وفَخارٌ ، ولقد أتقنها كثير من العجم إتقاناً رائعاً بسهولة ، فكيف يصعب إتقانها عَلى العرب ، وهى لغتهم وهم أبناؤها ؟!!

* * *

الفهـــرس

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

****

المؤلف فى سطور

ـ من مواليد الشرقية (الإسماعيلية) سنة ١٩٥٧م .

ـ نشأ وتعلم بالقاهرة .

ـ حاصل على ليسانس الآداب ـ قسم اللغات والدراسات الشرقية ـ جامعة القاهرة .

ـ بدأ حياته الوظيفية بجريدة أخبار اليوم محرراً ومراجعاً ، ثم ارتقى إلى(دسك) الأخبار ، كما عمل بمجال الدعوة محاضراً .

ـ عمل بجريدة الندوة بالمملكة العربية السعودية ، وارتقى حتى أصبح مشرفاً عاماً على صفحة يومية بها ، ورئيساً لقسم المراجعة والتصحيح ، كما عمل مستشاراً إعلامياً .

ـ رُشِّح من هيئات دولية لإدارة المركز الثقافى العربى بنيوزيلاندا ، واعتذر لارتباطه بمصر

ـ قدم استقالته من الأعمال الوظيفية ليتفرغ لإدارة أعماله الخاصة ، وللعطاء العلمى والثقافى .

ـ له مئات المقالات والأبحاث فى الدين والأدب واللغة والسياسة والاجتماع ، ونُشرت بالصحف والمجلات المصرية والعربية .

ـ عضو نقابة الصحفيين المصرية .

ـ عضو المنظمة الصحفية العالمية (O. I. P) .

ـ يؤمن بأن ما كان من القلب وصل إلى القلب ، وما كان من اللسان لم يتجاوز الآذان .

العنوان الدائم لمراسلات الكاتب

ج. م. ع / القاهرة
منيل الروضة ـ ٦ شارع على شريف
الرمز البريدى ١١٤٥١

هذا الكتاب

- الفاتيكان أعظم مخزن على وجه الأرض للوثائق السماوية الصحيحة غير المحرَّفة ، وثائق الأجيال السابقة من أول صحف إبراهيم عليه السلام .
- وها نحن نقف على عتبات هذه الدولة الصغيرة نستجلى بعض أسرارها ، ونكشف الغطاء عن معلومات مثيرة وخفايا عديدة وراء أسوار هذه الدولة التى تتحكم فى مسيحى الغرب .
- ولن نقف على عتبات أبواب الفاتيكان فقط ، ولكن سنقف على عتبات أخرى ، لا تقل أهمية أو إثارة عن سابقتها .
- هذا الكتاب سيُطوِّف بك شرقاً وغرباً وجنوباً بين فلسطين ولبنان وبورما والسودان ، لتعيش مع مسلمى هذه الدول .
- سيقف بك الكتاب على عتبات أمور اجتماعية تعيشها فى مجتمعك ويعيشها غيرك بين التفاؤل والتشاؤم ، وحديث عن الصحفيين والكرة بقلم كاتب تتسم كتاباته بالسلاسة وبالأسلوب الصحفى الشيق .

دار البشير

دار البشير ـ القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع